بسم الله الرحمن الرحيم

تداوليـة الاقتبـاس

دراسة في الحركية التواصلية للاستشهاد



تداولية الاقتباس

دراسة في الحركية التواصلية للاستشهاد

الدكتور
منتصر أمين عبد الرحيم



الطبعة الأولى
1435هـ - 2014م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: (2013/3/901)

302

عبدالرحيم، منتصر أمين
تداولية الأقتباس / منتصر أمين عبدالرحيم. - عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، 2013
(233) ص.
ر.إ.: 2013/3/901.
الواصفات: /اللسانيات // اللغة العربية /

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرس والتصنيف الأولية
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ردمك: ISBN: 978 - 9957 - 74 - 270 - 6



دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع

الأردن - عمان - وسط البلد - مجمع الفحيص التجاري
تلفون: 4655877 6 962+ - فاكس: 4655875 6 962+
موبايل: 5525494 79 962+ -ص. ب 712577 عمان
الموقع الإلكتروني: www.darkonoz.com
إيميل: dar_konoz@yahoo.com - info@darkonoz.com

المحتويات

إهداء

إلى ابنتي العزيزة علياء

المقدمة

ظلت اللغة ومازالت ترتحل مزهوة بدورها ونشاطها وإبداعاتها من جيل إلى جيل ومن منهج إلى منهج ومن نظرية إلى نظرية، ومن اقتباس إلى اقتباس لتؤدي أدوراً قد كتبها الله لها، فمع الاقتباس تنعكس اللغة على ذاتها، وتضطلع بدور جديد في رحلتها الأبدية، لتصنع من خلاله إبداعاً جديداً يزيد من بهائها وقدرتها على الأداء والإنجاز.

ولعل موضوع الاقتباس من الموضوعات التي عني بها فلاسفة كبار ممن يهتمون باللغة وقضاياها، فقدموا نظريات عديدة لفهم الاقتباس باعتباره جهازاً لغوياً إبداعياً يكتسب تلك السمة من قدرة الكلمات والجمل والخطابات على الوقوف بين الأقواس مزهوة هي الأخرى بدلالتها الجديدة وإنجازها الذي تتكسر على أعتابه قيود الزمان والمكان، فتغدو قادرة على التكرار والولادة من جديد.

وفي براغ كان مولد الوظيفية ونموها ومنها ارتحلت إلى أقطار عديدة، وفي هذه المدرسة قدم اللغوي البارع يان فرباس مفهوم الحركية التواصلية *Communicative Dynamism* وكانت الجملة هي الوحدة الوظيفية التواصلية محل تطبيق هذا المفهوم فتم تحليلها إلى عنصرين أساسيين؛ أحدهما معروف للسامع ويحمل درجة منخفضة من حيث الحركية التواصلية، والعنصر الثاني له القدرة على إثراء السامع بمعلومات وأفكار وغير ذلك مما يتعلق بالعنصر الأول، ويحمل هذا العنصر درجة عالية من درجات الحركية التواصلية.

وكان لتطبيق أفكار هذه المدرسة وتطويرها صدى كبير على نتائج

البحث في جمل اللغة وأدوارها التواصلية، ولكن ظل التركيز على الجمل في حال إبداعها وفي سياقها البكر وليس في حال تكرارها وقدرتها - من خلال الاقتباس - على الوقوف بين قوسين في سياق بديل ذي مكونات مختلفة وأطر اجتماعية ومعرفية خاصة؛ إذ إن الطبيعة الاقتباسية الفاعلة في تشكيل هذا النوع من العبارات تأبى مثل هذا التقسيم الوظيفي، وليس معنى هذا أنه يستحيل تقسيمها إلى موضوع ومحمول، ولكن هذا التقسيم وحده لن يكون فاعلاً في فهم حقيقة استخدام هذه العبارات والمقاصد التي ينطوي عليها حيث إن مثل هذا الفهم يتطلب فحص العلاقة بين العبارة وخطاباتها الحاضنة، ومن ثم تطرح الدراسة منظوراً بديلاً يتم من خلاله الكشف عن أبعاد الحركية التواصلية الخاصة بعبارة الاستشهاد داخل سياق الاستخدام.

وعلى الجانب الآخر نرى المقاربات الخطابية باختلاف أطيافها البحثية تشير إلى علاقة وطيدة متعددة الأبعاد بين العبارة والخطاب، وطرحت - في ظل هذه العلاقة - مجموعة من المحددات والمفاهيم التي تشير إلى أبعاد هذه العلاقة والمؤثرات التي تحكمها، فالعبارة تتضمن خصائص تركيبية ودلالية تشكل بنية المعلومات الخاصة بها، والخطاب بدوره يتضمن سمات دلالية وتداولية تتشكل منها بنيته، وهما متفاعلان من أجل التعبير عن فهم محدد لسياق الخطاب ودلالته من جانب، ودور هذه العبارة كوحدة من وحدات بنائه من جانب آخر.

ولما كانت عبارة الاستشهاد تنطوي على آلية الاقتباس والتكرار فإن الحركية التواصلية لهذا النوع من العبارات تختلف من سياق إلى آخر؛ إذ تضاف إليها في إطار الخطاب الجديد أبعاد جديدة، تحددها على نحو واضح مجموعة الخواص السميائية والدلالية والتداولية التي تميزها داخل هذا الخطاب على النحو الذي تعبر به هذه الخواص عن دور العبارة في إثراء معرفة المتلقي أو تعديلها من خلال ما تحمله من معلومات تعكس حركيتها التواصلية في صلتها بسياقها البديل واستخدامها الجديد.

إن الاقتباس فعل لغوي قائم على التكرار المتباين وله من الاستعارية ما يجعله يمزج بين معنى المتكلم ومعاني الخطابات المشتركة، ومن ثم فإن بيان أبعاده التداولية اقتضى في هذه الدراسة المزج بين نظرية أفعال الكلام والأدوار الكلامية داخل المقاربة الخاصة بتحليل المحادثة ومفهوم التداخل السيميائي؛ وذلك من أجل الكشف عن الحركية التواصلية للاستشهاد بوصفه فعلاً كلامياً له دوره المميز داخل الخطاب.

وجاءت هذه الدراسة في بابين، الباب الأول بعنوان «الحركية التواصلية والاقتباس»، وهو باب نظري يشتمل على فصلين؛ أولهما يعرض لمفهوم الحركية التواصلية وتطور مجاله داخل اللسانيات من لسانيات الجملة إلى لسانيات الخطاب فحمل عنوان «الحركية التواصلية من الجملة إلى الخطاب»، وجاء الفصل الثاني بعنوان «الاقتباس: البلاغة والنص والتدولية» حيث تتبيّن فيه الأبعاد البلاغية والنصية والتداولية لكل من الاقتباس والشاهد والاستشهاد ، وما يحيط بها من عوامل تؤدي دورها في فهم وتأويل الاقتباس داخل الخطاب.

أما الباب الثاني فحمل عنوان «تداولية الاقتباس وفعل الاستشهاد»، وهو باب تطبيقي اشتمل على أربعة فصول وزّعت وفق الغرض التداولي من توظيف الشاهد داخل الخطاب ليصير استشهاداً له غرض تداولي محدد تطبق عليه المناهج السابقة المقترحة، فجاء الفصل الأول «الاستشهاد بين الرصد وفعل المنافرة» ليبيّن دور الاستشهاد في عملية الرصد كما حددها دو بوجراند والتعبير عن المنافرة والسخرية من خلال شاهد قرآني، والفصل الثاني «الاستشهاد وفعل الرفض» حاولت فيه بيان دور الاستشهاد بوصفه فعلاً لغوياً يخدم المتكلم في إنجاز فعل الرفض من خلال التجاوب بين شاهدين أحدهما قرآني والآخر حديثي، والفصل الثالث «الاستشهاد وفعل التبرير» يبيّن دور المثل بوصفه استشهاداً في تحقيق فعل التبرير، أما الفصل الرابع «الاستشهاد وفعل التأكيد» فبيّن دور الشاهد الشعري بوصفه فعلاً يقصد إلى التأكيد على قضية محددة.

ومن مصطلحات الدراسة التي يجب التنبيه عليها في هذا السياق:

- ❖ **الاقتباس**: هو العملية التي يتم من خلالها نقل عبارة من خطاب محدد إلى آخر.
- ❖ **الشاهد**: هو العبارة المقتبسة التي تم نقلها وتوظيفها داخل الخطاب البديل/الجديد.
- ❖ **الاستشهاد**: هو الغرض الإنجازي *Illocutionary Point* الخاص بالعبارة المقتبسة الذي يجمع بين المعاني الناجمة عن استخدام العبارة داخل الخطاب البديل/الجديد، وهو فعل كلامي تختلف قوته الإنجازية *Il-locutionary Force* باختلاف سياقات الخطاب التواصلية.

وبعد، لا يفوتني في سياق هذه المقدمة أن أزجي شكري العميق إلى الأساتذة الكرام الذين شرفت بمناقشة بعض حيثيات هذه الدراسة معهم وهم: الأستاذ الدكتور محيي الدين محسب (مصر)، والأستاذة الدكتورة آمنة بلعلى (الجزائر)، والأستاذ الدكتور محمد نهار العلي (الأردن)، والأستاذ الدكتور حافيظ إسماعيلي علوي (المغرب)، كما أتقدم بجزيل الشكر إلى أسرتي الصغيرة على دعمها وجميل صبرها.

الباب الأول

الحركية التواصلية والاقتباس

الفصل الأول

الحركية التواصلية من الجملة إلى الخطاب

إن التركيز على الأنظمة المجردة لمبادئ استخدام اللغة تعطي صورة غير واضحة لما تعنيه تلك المبادئ في عملية استخدام اللغة.

(مارك جارنر)

كان هنري فيل في مقارنته لترتيب الكلمات بين اللغات القديمة وترتيبها في اللغات الحديثة قد أشار إلى مبدأ مهم مؤداه أن «لعلاقات الأفكار بعضها مع بعض تأثيرا لا ريب فيه على تنظيم الكلمات في الجمل»(١)، وذلك على النحو الذي يكون به التعبير عن فكرة ما يتطلب نمطا محددا من ترتيب الكلمات داخل الجملة التي تعبر عن هذه الفكرة، كما رأى فيل أن هناك «معلومات رئيسة تقدم بشكل متساو لكل من المتكلم والسامع، تشكل الخلفية التي يتقابل عليها كلاهما، وجزء آخر من الخطاب يشكل بياناً للملفوظ كما يسمى على وجه الدقة، وهذا التقسيم يوجد في جميع ما نقوله»(٢).

ولعل فكرة هنري فيل تتلخص في القول بأنه خلال عملية التواصل توجد لدى كل من المتكلم والمستمع معلومات مسلمة يتساويان في امتلاكها

---

(١) دو بوجراند وآخرون (١٩٩٢) ص٤٤.

(2) see Alvin Leong Ping (2003): P.262.

ومعرفتها بجانب معلومات أخرى جديدة تضيف بياناً جديداً عن هذه المعلومات.

ولقد تابع أعضاء حلقة براغ اللسانية أفكار هنري فيل هذه وقاموا بتجديدها، ومن هؤلاء: ماثيوس، ودانيش، ويان فرباس، وغيرهم، وتنظر حلقة براغ اللسانية إلى اللغة «وفق ثلاثة مستويات هي: المستوى النحوي، والمستوى الدلالي، والمستوى الكلامي. والمستوى الأخير يبين كيف يتفاعل المستوى النحوي والمستوى الدلالي في عملية الاتصال اللغوي، وضمن نطاق هذا المستوى الثالث برزت فكرة المنظور الوظيفي للجملة»[١]، وتشير هذه التسمية حسب دو بوجراند وآخرين إلى أنه «في وسع عناصر الجملة أداء وظيفتها من خلال إبرازها المعرفة التي تستثيرها تلك العناصر ضمن منظور الأهمية أو الجدة، ففي كثير من اللغات نجد العناصر التي تحمل الأهمية أو الجدة أو المادة غير المتوقعة مرجأة إلى القسم الأخير من الجملة»[٢].

ويرى جندل وآخرون أن المنطوقات دائماً ما تكون بشأن «شيء ما» يتصل بالمعلومات التي يفترض المتحدث أن السامع يدركها، وأن هذه المنطوقات تشمل كذلك المعلومات التي يقدمها المتحدث على أنها ذات علاقة جديدة بهذه الموضوعات[٣].

ونستنتج مما سبق أن ما يبدو مهماً أو جديداً أو غير متوقع من عناصر الجملة نجده في مواقع متأخرة عن العنصر الذي تبدأ به الجملة، ولعل ما سبق وإن كان يصدق على بعض اللغات إلا أنه لا يصدق على لغات كثيرة حيث قد يشغل العنصر المهم أو الجديد وغير المتوقع المواقع الأولى في الجملة، على أية حال تم في ضوء ما سبق تقسيم الجملة إلى عنصرين

---

(١) انظر د. يحيى أحمد (١٩٨٩): ص٧٥-٧٦.

(٢) دو بوجراند وآخرون (١٩٩٢) ص٤٥.

(3) adapted from Nicole Tersis & Shirly Carter-Thomas (2005): P. 479.

هما: الموضوع، والمحمول[١]، وأشار يان فرباس إلى أن السمة المميزة لمقاربة حلقة براغ هي النظر إلى الموضوع على أنه حامل لأقل درجة من الحركية التواصلية[٢]؛ وعليه يمكن النظر إلى المحمول على أنه الحامل لأعلى درجة من الحركية التواصلية.

ويشير مفهوم الحركية التواصلية بناء على هذا إلى «خاصية من خاصيات الاتصال تتجلى في سياق تنمية المعلومات التي يراد التعبير عنها؛ ذلك أنه في عملية الاتصال اللغوي تتعدد العناصر التي تدخل في تكوين الجملة، وهذه العناصر لها إمكانية متفاوتة في إثراء المستمع... وهذا انعكاس للطبيعة الديناميكية لعملية الاتصال اللغوي»[٣]؛ ومن هنا فإن المنظور الوظيفي يرى أن بنية الجملة بمختلف عناصرها تعمل كمجال تواصلي في حين تشكل هذه العناصر ما يمكن أن يطلق عليه الوحدات التواصلية وكلاهما يعمل من أجل الوصول إلى المقصد التواصلي.

فمعنى ما سبق أن عناصر الجملة هي وحدات تواصلية يريد المتكلم أن يتم نقلها وتصور ما تعبر عنه من جانب المستمع على أساس أن ما هو

---

(١) تشير الدراسة هنا إلى أن بنية المعلومات التي تحملها الجملة توصف لدى باحثين عديدين باستعمال أسماء مختلفة حسب الرؤى النظرية التي ينطلقون منها، فهي عند دانيش *Danes 1974* وهاجج *Hagege 1978* المسند والمسند إليه، وعند هاليداي *Halliday 1994* المعطى والجديد، وعند جندل *Gundel 1985* ورينهات *Reinhat 1980* وتشومسكي *Chomsky 1965* الموضوع والتعليق، وعند فان دايك *van Dijk* المحور والتفسير. *see Nicole Tersis & Shirly Carter-Thomas (2005): P.479* ولمزيد من مصطلحات هذه البنية وتطورها بداية من عام ١٩٠٥ على يد الفيلسوف رسل *Russell*، وعام ١٩٢٩ على يد اللغوي ماثيوس *Mathesius* إلى عام ١٩٩٩ لدى هندريكس *Hendriks* انظر *Ivana Kruijff-Korbayova & Mark Steedman, 2003,P.12.*

(2) see Alvin Leong Ping (2003): P. 262.

(٣) د. يحيى أحمد (١٩٨٩): ص٧٧.

مشترك بينهما وغير جديد هو ما يوضع في المواقع المتقدمة، وأن ما هو جديد أو مهم وغير متوقع يتم تمثيله في المواقع المتأخرة من الجملة؛ فالموضوع يحمل درجة حركية تواصلية أقل بسبب أن محتواه أو مرجعه معروف من قبل المستمع ومتوقع أو من السهل استنتاجه، بينما يكون المحمول حاملا لدرجة أعلى لأنه ليس كذلك.

فالآلية المنطقية المتبعة وفق عامل الحركية التواصلية الخاص بعناصر الجملة أن يوضع المحمول مع حركية أكبر تعبر عن أهميته أو جدته بعد الموضوع الذي يحمل درجة حركية أقل، ولكن هذه الآلية كما ذكر سابقا لا تشمل بطبيعة الحال جميع اللغات.

المآخذ التي تتعلق بالحركية التواصلية:

في ظل التطورات التي تحظى بها اللسانيات النصية ودراسات التواصل وتحليل الخطاب، وردت مجموعة من المآخذ التي تتصل بتقييم المنهجية الخاصة بالمنظور الوظيفي للجملة بوجه عام، والموضوع الخاص بالحركية التواصلية على وجه خاص، وذلك على النحو التالي:

١: علق هاينه من وفيهفيجر على إسهام مدرسة براغ الخاص بالمنظور الوظيفي للجملة بأن هذا الاتجاه وإن كان يسعى في محاولة جادة لإدراك أبعاد توزيع المعلومات في الجملة حسب قواعد محددة فإنه مع ذلك «يبقى اتجاه هذا الإسهام مبدئيا تركيبيا محضا يعود دائما إلى القواعد التصنيفية في لغة معينة، لكنه في الوقت نفسه يعد محاولة لتأسيس هذا الانتظام النحوي في حقل الاتصال»[(١)].

٢: أما والس تشايف فرأى أن مناقشات المظهر الوظيفي تنطوي على عملية فحص تنظر إلى أهداف الأفعال التواصلية، ولكنها تتحاشى في ذات الوقت أي إطار اجتماعي أو عوامل معرفية أخرى، واستشهد تشايف

---

(١) هاينه من وفيهفيجر ترجمة د. فالح بن شبيب العجمي (١٩٩٩) ص ٣٠-٣١.

على هذا بقول فرباس (١٩٩٢، ص ١٠٧)، الذي ذكر فيه: «لا أدرس العلاقة بين الحركية التواصلية ونظائرها الأخرى في عقل مستخدم اللغة، ولكني لا أعتقد أن مستخدم اللغة لا يساهم في تطوير الخطاب»، وعليه فإن الحركية التواصلية تفترض دونما تطوير واضح نظرية عن استخدام اللغة[1].

طريق التطوير:

نشأت فكرة تقسيم الجملة إلى مسند ومسند إليه، وتقسيم المعلومات التي تتضمنها إلى معلومات «قديمة/مسلمة»، وأخرى «جديدة»، ويأتي المسند في الغالب أولاً ثم يعقبه المسند إليه، وهذا ينبع من الحقيقة القائلة بأن «المرء يبدأ كلامه بالمعلومات المعروفة لدى المتلقي أو التي سبقت الإشارة إليها أو التمهيد لها في السياق، ثم يضيف بعد ذلك المعلومات الجديدة التي يظن أنها كفيلة بإثراء القارئ أو السامع»[2]؛ ومن ثم تكون المعلومات المعروفة داخل الخطاب هي تلك المعلومات التي يمكن استعادتها حيث تم التعبير عنها فعلياً وقدمت في سياق مناسب وتسمى عناصرها بالعناصر الثيماتيكية. أما المعلومات الجديدة فهي التي لا يمكن استردادها أو استعادتها، وتسمى عناصرها بالعناصر الريمية.

ويرى هاينه من وفيهفيجر أن بناء (المسند والمسند إليه) في الجمل ليس ثابتا إذ يمكن للمنطوق أن يقدم أيضا من منظور آخر اعتمادا على السياق الذي يتضمن هذا المنطوق مما يصح به استنتاج أن محيط النص يؤثر في بناء الجملة المفردة[3].

---

(1) see W. L. Chafe (1994): P.161-185.

(٢) د. يحيى أحمد (١٩٨٩): ص٧٧.

(٣) انظر هاينه من وفيهفيجر ترجمة د. فالح بن شبيب العجمي (١٩٩٩) ص ١٣.

أبعاد التطور:

من خلال مجموعة الانتقادات التي تم توجيهها إلى بعض أبعاد المنظور الوظيفي للجملة والحركية التواصلية، توجه العلماء إلى بحث إمكانية تطوير بعض هذه الأفكار، واستخدامها في وصف ظواهر نصية وخطابية أخرى، كما ساهمت الأبحاث النفسية بجانب كبير فيما يتعلق ببنية المعلومات التي تحملها الجملة أو النص، وفيما يلي تعرض الدراسة لهذه المقاربات.

أولاً: لسانيات النص:

لعل أولى الخطوات نحو الإفادة من مفهوم الحركية التواصلية ونقل مجاله من إطار الجملة إلى إطار النص، هي الخطوة التي قام بها دانيش، فكما يشير هاينه من وفيهفيجر قام دانيش بنقل مبدأ البناء النحوي هذا إلى النصوص، واكتشف أن ثقلا خاصا يعطى للموضوعات بالدرجة الأولى للتعريف بوحدة النص، ولما كان تعاقب الموضوعات داخل النص ليس ممكنا في كل الحالات؛ «بل يكون كل موضوع تال دائما عائدا بشكل ما إلى وحدة (الموضوع – المحمول) السابقة، ويشير بذلك (حتى وإن أعيد الموضوع نفسه حرفيا في الجملة التالية) إلى أن السامع قد عرف أكثر عن المعنى العام للنص مما كان عليه الحال في الجملة السابقة؛ لذا فإن دانيش قد خرج من تتابع الموضوعات في النص بمبدأ تقدم النصوص (الاستزادة من المعلومة) الذي يعرف بتعاقب الموضوعات ويمكن تبعا لهذه الخلفية أن يحدد النص بوصفه سلسلة من الموضوعات»[(١)]، وقسم دانيش تعاقب الموضوعات في النص إلى خمسة أنواع اثنان منها يمكن اشتقاقهما من بقية الأنواع؛ وعليه كانت الأقسام الرئيسة لهذه الأنواع ثلاثة هي:

[١] **تعاقب الموضوعات الأفقي**، وفيه يصبح المحمول في الجملة الأولى موضوعا في الجملة التالية، وبالطريقة نفسها يكون المحمول في

---

(١) هاينه من وفيهفيجر ترجمة د. فالح بن شبيب العجمي (١٩٩٩) ص ٣٠-٣٤.

الجملة الثانية نقطة البداية لموضوع الجملة الثالثة.

[٢] **التقدم بموضوع** مستمر، وفيه يعاد موضوع الجملة الأولى دائما بصيغ مختلفة في كل مرة، ويرتبط بأبنية جملية جديدة؛ وبهذا يصبح نوعا من الموضوع الثابت في كامل النص.

[٣] **التعاقب بموضوع متفرع**، وفيه لا يمكن معرفة أبنية (الموضوع - المحمول) من الجمل السابقة مباشرة، بل تخضع جميعها إلى موضوع شامل / موضوع علوي.

ويخلص هاينه من وفيهفيجر إلى أن نموذج المنظور الوظيفي للجملة القائم أصلا على قواعد تركيبية صارمة في تفسير أنواع التقدم (الموضوعي) مبنى على أساس دلالي اتصالي، وإلى أن هذا الإسهام من قبل دانيش قد أعطى اللسانيات النصية دوافع جديدة؛ لذلك أصبحت الدراسات حول تقدم النص أحد المكونات الثابتة في إجراءات تحليل النص.

أما هاليداي في استثماره لفكرة المسند والمسند إليه التي نشأت في إطار مدرسة براغ فقد قدم لنا مصطلحين جديدين هما: المعطى، والجديد، وبالرغم من أنه يرى أن هذين المصطلحين على علاقة بمصطلحي الموضوع والمحمول إلا أنه يفرق بينهما على النحو الذي يرى فيه أن الموضوع هو ما أختاره، كمتكلم، كمركز للتحول. أما المعطى فهو ما تعرفه أنت، كمستمع، أو ما تصل إليه بسهولة[١].

والحقيقة أن هاليداي قدم تعريفاته لكل من المعطى والجديد بالشكل الذي جاءت به مبنية على توقعات المتكلم «فالمعلومة «المسلمة» هي تلك التي يعتبرها المتكلم قابلة لأن نحصل عليها، إما بالإحالة إلى ما سبق من النص أو بالعودة إلى المقام. أما المعلومة «الجديدة» فهو يراها رئيسة لا بمعنى أنها لا يمكن أن تكون قد سبق ذكرها، وإن كان هذا هو الغالب، بل بمعنى أن

---

(1) see Alvin Leong Ping (2003): P. 262.

المتكلم يقدمها وكأنها غير قابلة لأن نحصل عليها من الخطاب السابق»[١].

إن التصور السابق عن بنية الجملة لدى حلقة براغ كان ذا صدى كبير لدى علماء النص حيث نقل هذا التصور «من مستوى تتابع الجملة إلى مستوى تتابع النص، واحتضنه التوليديون، وتوسعوا في توظيفه، ويحاول هوكيت أن يربط بينهما (الموضوع والمحمول) وبين السياق والنص، فأعاد صياغة فكرة الجملة الوظيفية من خلال مصطلحي: الموضوع، ويعنى لديه المعلومة التي عرفت من السياق، سواء عدت موضوعاً أو محمولاً، والتعليق ويعنى المعلومة الجديدة في النص بغض النظر عن التمييز السابق»[٢].

أما فان دايك فيرى أنه في جملة ما يمكن أن يكون جزء من المعلومة معروفاً وجزء آخر جديداً، هذه المعلومة الجديدة يطلق عليها غالباً تفسير (أو بؤرة) الجملة، والمعلومة المعروفة المحور، ومن الملاحظ أن المحور يمكن أن يتغير باستمرار في التتابع، وفي الغالب يمكن أيضاً ألا تكون وظيفة محور مستمرة، أي تسقط في أجزاء مختلفة من الجملة، وأخيراً يمكننا أن نتساءل أيضاً عن أي شيء تدور الفقرة ككل، ونعنى بذلك موضوع النص[٣].

ويرى كذلك أنه «من أجل التعبير عن استمرارية الخطاب، يجب أن تكون كل جملة من جهة المبدأ متناولة للعلاقات بين المعلومات المتقدمة (أي معلومات قديمة) وأخرى متأخرة (جديدة) أعني كموضوع وتعليق عبر التخطيط المبسط:

<< أ، ب >، < ب، ج >، < ج، د >... >>

أو << أ، ب >، < أ، ج >، < أ، د >... >> [٤].

---

(١) براون ويول: ترجمة د. محمد لطفي، د. منير التريكي (١٩٩٧) ص ٢١٤.

(٢) د. سعيد حسن بحيري (١٩٩٧): ص ٣٧.

(٣) فان دايك: ترجمة د. سعيد حسن بحيري (٢٠٠١)، ص ص [٦٨-٧٣].

(٤) فان دايك: ترجمة عبد القادر قنيني (٢٠٠٠)، ص ١٣٨.

ويتشابه التخطيط الأول مع القسم الأول من أقسام تقدم النص عند دانيش (تعاقب الموضوعات الأفقي)، أما الشكل الثاني من هذا التخطيط فيتشابه مع القسم الثاني الذي قدمه دانيش وهو (التقدم بموضوع مستمر) ولا يعنى هذا أن فان دايك قد غفل عن القسم الثالث (التقدم بموضوع متفرع) حيث بينه – من وجهة نظري – من جانب آخر قسم فيه النص إلى بنية صغرى وبنية كبرى.

وإذا كنا قد نجد في سياق نص ما بعض الموضوعات تسير بشكل مستمر، وبعضها الآخر يسقط أثناء التتابع[١]، فإن نصاً له هذه الخاصية أو الطريقة في رسم تتابعاته يحتاج إلى أن يكون متماسكاً، ويتحقق هذا التماسك بحسب فان دايك «حين يمكن أن تفسر كل قضية في التتابع مفهومياً أو ما صدقياً، مرتبطة بتفسير قضايا أخرى في التتابع أو قضايا خاصة أو عامة متضمنة من خلاله»[٢].

ولعل موقف درسلر من هذا التصور لا يختلف كثيراً عما جاء عند فان دايك، إذ إنه يرى «أن الأمر يتعلق – هنا – باستخدام جملة ما في سياق لغوي وسياق غير لغوي من خلال اعتبار خاص لتوزيع معلومات قديمة ومعلومات جديدة في الجملة، إذ إن المعلومات القديمة (المحور) تقدم في الأغلب من خلال جمل سالفة للنص ذاته.. (فهو) يشير إلى فكرة جوهرية في التحليل النصي، وهي ارتباط جمل نص ما بعضها ببعض من خلال ارتباط موضوعاتها، ويراد من ذلك تحقيق وصف مضموني للنص»[٣].

وأما كوخ فقد دعا إلى تجزئة عناصر النص تجزئة محددة من الناحية اللغوية، ومبنية بناء متدرجاً، وقد أطلق على هذه العناصر الوحدات النصية، ومن بينها «الموضوع لما قد عرف من السياق، والتعليق للمعلومة

---

(1) see Douglas W. Maynard (1980): P.263 ff.

(٢) فان دايك ترجمة د. سعيد حسن بحيري (٢٠٠١)، ص ٧١، وانظر *van Dijk (1980)*

(٣) د. سعيد حسن بحيري (١٩٩٧) ص ٣٨.

الجديدة.. غير أن تجزئة النص قد ارتكزت على معايير أخرى تجاوزت الوصف الشكلي وقدمت تصوراً أكثر شمولاً وتماسكاً في بعض الاتجاهات»[١].

ويشير روبرت دو بوجراند إلى أن المنظور الوظيفي للجملة يمكن بصورة تامة أن يسمى المنظور الوظيفي للنص بوصفه ضابطا لتشكيل الجمل بجانب أمور أخرى[٢]، كما يشير إلى أنه لا حاجة بنا إلى توقع أن يكون لكل جملة معهود في مقابل مستفاد ما لم نصل إلى تحديد هذه المفاهيم في ضوء المواقع في نطاق الجملة أولا (مثلا: تشومسكي ١٩٦٥، وهاليداي ١٩٧٥)، ونحن في هذه الحالة لا نعد باحثين عن الإعلامية، وعلى أقصى تقدير نستطيع هنا أن نستكشف المعهود من وجهة النظر الموقعية، والمستفاد من وجهة النظر الشاملة دون ارتباط بعناصر طول الجملة[٣].

كما يرى أن «سياقات العبارات والاتصال هي مكونة من أقوال ذات طبيعة نصية تامة، وليست طبيعة جملية إلا بصورة جزئية، وكما قال جيرى مورجان (١٩٧٥ : ٤٣٤): ليست الموضوعات مركبات اسمية في جمل، ولكنها بنود من المعلومات يستعملها الناس»[٤]، كما أشار دو بوجراند وآخرون إلى أن أحد الجوانب الخاصة للتفاعل بين النحو والإعلامية ومقامات الاتصال قد لقي توكيدا من المنظور الوظيفي حيث إن «وضع المواد في قطاعات التركيب والجمل المتقدمة أو المتأخرة يوحي بالأولويات النسبية ودرجات الإعلامية للمحتوى التحتي الذي تستند إليه»[٥].

ولعل القول بأن سياقات العبارات والاتصال مكونة من أقوال ذات

---

(١) د. سعيد حسن بحيري (١٩٩٧) ص ٣٨.

(٢) روبرت دو بوجراند ترجمة د. تمام حسان (١٩٩٨)، ص ٢٨٤.

(٣) نفسه ص ٢٨٤ – ٢٨٥.

(٤) روبرت دو بوجراند ترجمة د. تمام حسان (١٩٩٨) ص ٢٨٦.

(٥) بوجراند وآخرون ١٩٩٢ ص ١١٣.

طبيعة نصية تامة على حد تعبير دو بوجراند يشير إلى ما قصده برانهام وبييرس من القول بأن كل فعل تواصلي هو «النص» الذي يقود «المعنى» من سياق التوقعات والتقييدات التي يمارس من خلالها، وفي نفس الوقت تتحدد السياقات وتستدعي وتعدل من خلال النصوص(١).

ولكن إذا اتفقنا على أن أخص خواص تصور حلقة براغ يكمن في قدرة الجملة عبر بنيتها الثنائية (مسند ومسند إليه) على التعبير عن الأشياء من حولنا، والتي يخصها المتكلم بهذه الجملة أو هذا النص، فإنه في إطار ما يسمى بـ«فهم الخطاب» تتعلق هذه البنى بالمبادئ التي تمكن السامعين من تحديد فهمهم داخل السياق الثابت الذي يتساوق مع مبدأ التناسب لدى جريس، وهو المبدأ الذي يمكن تلخيصه في «أن يظل المتكلم يتحدث عن نفس المكان، والزمان، ونفس الأطراف المشاركين، ونفس الموضوع، ما دام لم يعلن بما لا يدع مجالاً للشك عن حدوث تغيير في السياق، ولم يشر إلى ما إذا كان هذا السياق مناسباً، أو غير مناسب لما كان يتحدث عنه سابقاً»(٢).

ثانيا: دراسات تحليل الخطاب والمحادثة:

أشار دورانتي – في بحثه عن الأبعاد الاجتماعية والثقافية التي ينطوي عليها الخطاب، والذي ألح فيه على أهمية دراسة الخطاب في إطار سياقه الاجتماعي والثقافي الذي أفرزه من جانب، ويتحكم في تحديده وتأويله من جانب آخر – إلى أنه خلال فترة السبعينيات من القرن الماضي «أثبت عدد متزايد من اللغويين أن بعض مظاهر الجملة كترتيب الكلمات، والزمن، والموائز الشكلية، والتوافق اللفظي، وغيرها يمكن أن تفسر تفسيرا جيدا من خلال دراسة استخدامها داخل الخطاب»(٣) بالمعنى الذي يكون فيه

---

(1) see Karen Tracy (1998): P.3f.

(٢) براون ويول: ترجمة د. محمد لطفي، د. منير التريكي (١٩٩٧) ص٨٠.

(3) see A. Duranti (1985): P.193.

استخدام اللغة يلعب دورا فاعلا في تحديد نواحي عديدة من تراكيب الجمل ودلالتها وسياقاتها التداولية.

كما أشار إلى أن ثمة محاولات ضمن نظرية النحو المستقلة لاستعمال مفاهيم الخطاب (مثلا كتقديم تشومسكي للموضوع *Topic*) في قواعد بناء الجملة في النحو التوليدي، ولعل معظم هذه الدراسات، كما يرى دورانتي، تميل إلى تصور الخطاب من خلال مظاهر بنيوية ونفسية دقيقة، وليس من خلال مظاهر ثقافية اجتماعية واسعة(١).

وعلى هذا النمط يشير إلى «أن مفهوم الموضوع، وهو مفهوم رئيس في عديد من المشاركات المبكرة في تحليل الخطاب، كان دائما ما يحدد من خلال الإشارة إلى الوضع الذي يتخذه اسم ما بخصوص مسند ما، بمعنى، ميل الموضوعات للظهور في موضع ابتدائي من الجملة (على سبيل المثال كريدر ١٩٧٩، جيفون ١٩٧٦، هافكينسون وهيمان ١٩٧٤، ماك فيني ١٩٧٧) أو من خلال تقديم تصورات نفسية كالذاكرة، والوعي، ومركز الانتباه (تشايف ١٩٧٦، ١٩٧٩، كلارك وهافيلاند ١٩٧٧، لي وسمبسون ١٩٧٦)»(٢).

ويبدو أن دورانتي يرى هنا أن «موضوع جملة ما» أو «موضوع خطاب ما» لا تكفي في تحديده تلك الأنماط التركيبية الروتينية التي يستخدمها المتكلم في سبيل إنجازه مقصدا تداوليا محددا، ولا تكفي في تحديده كذلك تلك التصورات النفسية التي قدمتها البحوث النفسية في مقارباتها لموضوع

---

(1) adapted from A. Duranti (1985): P.193f.

وأرى أن تقديم تشومسكي فكرة الموضوع والمحمول يتفق مع ما تصبو إليه النظرية التوليدية من أهداف، وهو ما يفهم من قول تشومسكي: «إن أفكارا كالموضوع *Topic* والمحمول *Comment* أو الفاعل *Subject* والمسند *Predicate* هي خصائص عالمية للغة، تعكس حقيقة أن الجملة الخبرية تدور حول شيء ما تسند إليه شيئا آخر»، انظر تشومسكي ترجمة وتعليق وتقديم د. محمد فتيح (١٩٩٣) ص٨٠.

(2) see A. Duranti (1985): P.194.

الجمل أو محمولها، ولكن بنظر دورانتي هناك عوامل أخرى تؤثر في تركيب ودلالة الخطاب، ربما لا تنفرد بالكشف عنها، بل تتعاون مع هذه التصورات في رسم حدودها وأبعادها الاجتماعية والثقافية.

ويميل دورانتي وفق هذا الطرح إلى انتهاج المقاربة الإثنوجرافية في التعامل مع اللغة؛ إذ علق على الدراسات السابقة موضحا أنها حينما ناقشت العلاقة بين المتكلم والمتلقي كانت هذه العلاقة نصية أو معرفية، ولكنها لم تكن اجتماعية، إذ انتسب كل منهما إلى الأبعاد الخاصة بمعالجة المعلومات، ولم ينتسب إلى الوظائف الاجتماعية التي ينفذونها في سبيل تشييد متعاون للواقع[١]. وهذا معناه خلو هذه المعالجات من أبعاد كثيرة تتحكم في حجم ومقدار هذه المعلومات من جانب، وفي الكيفية التي ترد عليها في سياق اجتماعي محدد من جانب آخر.

كما ميز الأسئلة النظرية التي كانت تنطلق منها هذه الدراسات بقوله: «وعادة ما تكون الأسئلة المطروحة كالتالي: هل المعلومات التي يتم توصيلها، المشتركة أو غير المشتركة، القديمة أو الجديدة، العرفية أو غير العرفية المضمرة بالنسبة للمشاركين تكون مستخدمة في خطاب خاص ؟»[٢].

دورانتي أشار بصورة واضحة في الاقتباس التالي إلى مجموعة من العوامل البعيدة عن مجال القواعد، وهي التي يظهر معها بوضوح تفاعل كل من بنية اللغة والبنى الشعورية والاجتماعية، والعلاقة بينهما التي تؤثر في تشكيل بنيات اللغة وتحدد دلالتها، يقول: «وتظهر دراسات عديدة حول أنماط ترتيب الكلمات أنه من الممكن، بل في الحقيقة من المفيد، أن ينظر إلى تتابع العناصر داخل منطوقات واقعية كنتيجة لعوامل تركيبية وشعورية واجتماعية، وأظهرت دراسة شيفلن ١٩٨١، وفيلد وشيفلن ١٩٨١ أنه في لهجة *Kaluli* يوجد ترتيبان مسموح بهما لترتيب الكلمات في الجملة المتعدية

---

(1) adapted from A. Duranti (1985): P.194.

(2) see Ibid., P.194.

المكونة من ثلاثة مقومات: مفعول + فاعل + فعل، وفاعل + مفعول + فعل، وعلى أساس البيانات الطبيعية عن التفاعل الأسري يظهر بوضوح أن الاختيار ما بين هذين النمطين لترتيب الكلمات ليس مشروطا فقط بأي من هذه العناصر هو موضع الاهتمام، ولكنه أيضا مشروط بأسلوب خاص وفعل كلامي ينتج عبره المنطوق؛ فترتيب الكلمات (فاعل + مفعول + فعل) يفضل في صناعة العروض، والمضايقة والثرثرة بينما يفضل الترتيب (مفعول + فاعل + فعل) في التقرير والإعلان وفي الرواية والقصص»[١].

إن فكرة الحركية التواصلية ركزت بصورة أو بأخرى على مدى مساهمة وحدات الجملة المرتبة ترتيبا محددا في إثراء معلومات متلقي هذه الجملة؛ إذ يكون تركيز المتكلم في هذا التتابع مقصورا على وحدة محددة، فإذا تم تغيير ترتيب هذه الوحدات داخل الجمل، تغيرت تبعا لهذا الوحدة التي يكون عليها التركيز من قبل المتكلم أو المتلقي، وتم وضع قواعد تركيبية صممت لهذا النوع من الترتيب.

ولكن المسألة بحسب دورانتي ليست فقط قاعدة تركيبية، ونمط ترتيبي محدد من خلال تركيز المتكلم على عنصر، أو وحدة داخل هذا الترتيب، ولكن المسألة لها منابع أخرى، إذ هي محكومة من وجهة نظر دورانتي بسياق ونمط اجتماعي وثقافي معين يميل إلى استخدم نمط معين من أنماط هذه التتابعات الجملية داخل إطار الخطاب، ويقدم دورانتي الدليل التطبيقي الذي يظهر صحة هذه الرؤية حيث توصل في دراسته مع إلينور أوشز ١٩٧٩ إلى «أن ترتيب الكلمات في اللغة الإيطالية (المتحدثة في روما بين الأصدقاء وطلبة الجامعة) يكون حساسا للتنظيم المتعاقب للأدوار داخل المحادثة»[٢].

ويخلص دورانتي من خلال ما سبق إلى اعتبار الخطاب منتسبا ومكونا

---

(1) Ibid., 194.

(2) see A. Duranti (1985): 194.

من مظاهر خاصة للمنظمة الاجتماعية ومكونات المتحدثين الثقافية ورؤيتهم عن العالم[1]، كما خلص إلى أن غياب اهتمامات ثقافية اجتماعية واضحة ومتسعة عن معظم تحليلات اللغويين للخطاب سوف يصبح إشكالية إذا اهتممنا بقواعد الخطاب التي ربما تكون شيئا آخر أكثر من قواعد الجملة كخطوة إضافية أو أعلى، ولكن ربما تقود بدلا من هذا الطريق إلى قواعد اتصالية تتصل بالخطاب كبنية لغوية، وبه أيضا كعملية اجتماعية[٢].

– وفي أحد المسارات التي يمكن النظر إليها على أنها تطوير لفكرة «المسند والمسند إليه» في مجال الخطاب يمكن الإشارة إلى دراسة باتريشيا لون، وكارليتا سميث، حيث قدمتا معالجتين تهتمان بالنظر في معايير المناسبة والقبول داخل سياق المحادثة، وأهمية عامل المعرفة المتبادلة، ودورها في مثل هذا القبول، وقدمتا فيهما مفهومين هما:

– مفهوم التام: وهو الاختيار الذي تكون فيه المعلومات غير مذكورة أو حتى معروفة للمتكلم الآخر.

– ومفهوم غير التام: وهو ما يستخدم للحديث إلى شخص ما على علم بالمعلومات المقدمة[٣].

وإذا كانت هذه المفاهيم تتعلق ببنية المعلومات التي تحملها الجملة فإن روبرت دو بوجراند يربط كذلك بين فكرة الحركية التواصلية وبين الإعلامية حيث يرى أن «تراكيب الجمل لابد أن تكون ذات علاقة

---

(1) Ibid., P. 195.

(2) Ibid., P.197.

(٣) الدراستان المشار إليهما هما:

Lunn, Patricia, (1985): The Aspectual Lens. Hespanic Linguistics(2): 49 - 61.

Smith, Carlota, (1991):The Parameter of Aspect. Boston: Kluwer Academic Publishers.

وتمت الإشارة إليهما في *Fenfang Hwu (2005): P.194.*

بالاحتمالات النسبية خلال المواقف، وتعد فكرة الحركية التواصلية التي قال بها فرباس (١٩٧١) إحدى التأملات في هذه المسألة من مسائل لغويات الجملة»[١].

ومن زاوية أخرى عالجت ديبورا شيفرن موضوع التماسك في المحادثة، وقدمت من خلال هذه المعالجة نموذجاً للاتساق في الخطاب، وانطوى تحليل عناصر الخطاب عندها على خمس خطط تمكن جميعها من فهم الخطاب هي: بنية التبادل، وبنية الحدث، وإطار المشاركة، والبنية الفكرية، وأخيراً حالة المعلومات.

وفيما يتصل بحالة المعلومات رأت أن المتكلم والسامع يلعبان دوراً حيوياً خلال هذه الخطة المتعلقة بالخطاب، وأن حالة المعلومات يمكن التعرف عليها من خلال قدرات المتكلم المعرفية التي تنطوي على تنظيم وترتيب المعرفة[٢].

وفي إطار العلاقة بين بنية المعلومات والخطاب قدمت العديد من المقاربات[٣] التي حاولت استقصاء هذه العلاقة من خلال استخدامها لمجموعة مختلفة من المصطلحات التي تكفل تصنيف وتحديد حالة المعلومات داخل الخطاب، ولعل هذه التحديدات تمتلك بعض العناصر المشتركة منها[٤]:

١. التمييز بين *Topic/Comment*، أو *Theme/Rheme* وذلك بين جزء المنطوق الذي يصله بغرض الخطاب والجزء الخاص بتنمية وتقدم الخطاب.

٢. التمييز بين *Background/Kontrast*، أو *Given/New* أجزاء المنطوق التي تشارك في بناء محتواها الفعلي من خلال التعاقبات التي يسمح بها السياق.

---

(١) روبرت دو بوجراند ترجمة د. تمام حسان (١٩٩٨) ص ٢٨٦.

(2) adapted from Miao-Hsia Chang (2002): P.89.

(3) see Ivana Kruijff-Korbayova & Mark Steedman (2003).

(4) adapted from Ibid.,P.3.

ثالثا: الدراسات النفسية:

في تطور لمفاهيم هاليداي عن المعلومات الجديدة والمسلمة وجد بعض الباحثين إمكانية أن تشير المعلومة الجديدة إلى قطاعات متعددة، ففي الوقت الذي يحصر فيه هاليداي المدى الخاص بالمعلومة الجديدة في الإطار الذي يقدمها فيه المتكلم «وكأنها غير قابلة لأن نحصل عليها من الخطاب السابق»[1]، نجد دال *O. Dahl* «يستعمل مفهوما المعلومة القديمة والمعلومة الجديدة لتفسير ظواهر لغوية مختلفة مثل التنغيم والنبر والنظم واستعمال الأدوات المحيلة إلى الخطاب السابق».[2]

غير أن هناك من العلماء من يحافظ على التأويل الضيق لما يعتبر معلومة مسلمة، ومن هؤلاء والس تشايف الذي يرى أن «تسميتك لشيء بأنه معلومة قديمة يوحي أن هذا الشيء هو ما يتوقع من المستمع معرفته مسبقاً»[3] ويصر تشايف على ضرورة حصر مفهوم المعلومة المسلمة في «تلك المعلومات التي يفترض المتكلم وجودها في ذهن المخاطب لحظة التفوه بالكلام»[4].

ويربط كل من سانفرد وجارود المعلومة المسلم بها بالمخطط الذهني الذي يمكن تعريفه على أنه «تخزين نموذجي خاص للخبرات السابقة»[5]، ويقترحان أن يمكننا المخطط الذهني «من الإحالة على أشخاص للمرة

---

(١) براون ويول ترجمة د. محمد لطفي، د. منير التريكي (١٩٩٧) ص ٢١٤.

(٢) نفسه. وقريب من معالجة دال *O.Dahl* المشار إليها هنا تقع دراسة جانيت بيرهمبرت وجوليا هيرشبرج حيث أشارت إلى أن المتكلم يستخدم في خطابه خصائص صوتية محددة كي يشير إلى علاقة خاصة بين المنطوقات التي تقع في سياق هذا الخطاب *See J. Pierrehumbert & J. Hirschberg (1990): P. 271, 272.*

(٣) براون ويول ترجمة د. محمد لطفي، و د. منير التريكي (١٩٩٧) ص ٢١٤.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه ص ٢١٥.

الأولى في الخطاب مستعملين رغم ذلك صيغة اسمية معرفة؛ نظراً لأن هؤلاء الأشخاص مسلم بهم مسبقاً في التصور الذهني»[١]، ويقول براون ويول: «لهذا تصبح المعلومة مسلمة لا لأن المتكلم / الكاتب أرادها أن تكون كذلك ولا لكونها بارزة في المقام أو سابقة الذكر في السياق النصي، بل نظراً لوضعها داخل المخطط الذهني الذي يثيره الاستعمال اللغوي، بهذه الطريقة لو كان لنا مخطط ذهني عن قاعة المحكمة لأمكن اعتبار «المحامى جزءاً من هذا المخطط الذهني وبالتالي يمكن اعتباره» معلومة مسلمة»»[٢].

ولعل ما سبق يتقاطع في كثير من نقاطه مع نظرية جريس في المعنى التي تتلخص في أن: S يقول شيئاً ما X بقصد إخبار A أن يتصور أن S يقصد أن يكون لـX تأثير ذهني محدد E على A، عبر فاعلية ذهنية مشتركة، تجعل من الواضح أن S يعنى E بواسطة X. ويتم هذا – من وجهة نظر ليفنسون – في حالة ما إذا كان A قادراً على بناء نموذج لما يمكن أن يفكر به S.[٣]

إن ثمة نظاما مفاهيميا يمكن من خلاله أن تشير اللغة إلى الواقع، و«يتكون هذا النظام المفاهيمي من البنية المفاهيمية (مثل: المفاهيم، والأطر، والمدارات، وغيرها) التي تعكس وتفسر العالم بطريقة مباشرة»[٤]، حيث يكون تفسير المعنى مفاهيمي في أساسه وجوهره[٥].

ويعتقد ألفين بينج أن مقاربة القضايا الخاصة بكل من المسند والمسند إليه من منظور مستخدم اللغة (المتكلم والمستمع)، تظهر لنا العديد من العوامل المتنوعة التي تؤثر في العملية اللغوية، وأن من بين هذه العوامل:

(١) نفسه.

(٢) براون ويول ترجمة د. محمد لطفي، و د. منير التريكي (١٩٩٧) ص ٢١٥.

(3) see Stephen Levinson (2001):P.572.

(4) Andrea Tyler & Vyvyan Evans (2003): P. 3.

(5) Ibid., P.3.

السياق، ومعرفتنا بالعالم من حولنا، إضافة إلى معرفتنا بالمبادئ التداولية مثل: (متى أقول ولمن ؟)، وكذلك مفهومنا عن اللغة نفسها أو حتى استخدامها، فهذا كله هو ما يشكل «البيئة الإدراكية للغة»[١].

وحظيت نظرية الإطارات المعرفية بالعديد من أوجه الانتقاد كان من بينها ما أجمله ولكس (١٩٧٩، ص ١٥٣) بقوله: «تخطر بالذهن إطارات عديدة، ولكن لا نختار منها إلا عدداً قليلاً » وهو مشكل يتعلق فيما يرى براون ويول بحقيقة إمكان وجود العديد من الإطارات التي يتم تنشيطها عندما يستعمل نظام للفهم مؤشراً في النص لتنشيط إطار معرفي، وبرغم هذه المشكلات والانتقادات فإن المفهوم الأساسي الذي يعد الإطارات المعرفية مآوى ذات بنية لتخزين معلوماتنا العامة قد زود المحللين بطريقة عمل مفيدة[٢].

ومن خلال هذا العرض الموجز لموضوع الحركية التواصلية في الفكر اللساني الحديث نصل إلى أن الحركية التواصلية تتعلق بتنظيم المتكلم للمعلومات التي يريد أن ينقلها إلى المتلقي بحيث يثري هذا التنظيم الحالة الإدراكية للمتلقي وفق طرحه لمجموعة من التصورات أو الوضعيات التي يريد معالجتها في سياق اتصالي محدد، وأحسب أن عملية التنظيم هذه، وإن كانت مرتبطة بالأساس ببنية الجملة، فقد أمكن تطويرها لتشمل كذلك التنظيم الخاص بالنص والخطاب من خلال افتراض مجموعة من المعايير التي يتم الاستناد إليها في بيان دور النص والخطاب في عملية التواصل، ومدى العلاقة التي تربط بين الوحدات التي يتشكل منها النص أو الخطاب.

والدراسة هنا ترى أن إخضاع عبارات الاستشهاد لتقسيم يجعلها مكونة من جزأين: مسند، ومسند إليه، أو مكونة من معلومة مسلمة، وأخرى جديدة حسب صور التمثيل التي تنضوي تحت مفهوم الحركية التواصلية لا

---

(1) Alvin Leong Ping (2003): P. 266.

(٢) انظر براون ويول ترجمة د. محمد لطفي، ود. منير التريكي (١٩٩٧) ص[٢٨٧-٢٨٨].

يتماشى وطبيعة هذه العبارات إذ إنها تعابير كلية ثابتة على المستوى التركيبي بما يحافظ على الدلالة المستفادة منها، وهي من جانب آخر تحمل معلومات يفترض المتكلم أنها مسلمة لديه ولدى المتلقي الذي يشترك معه في بيئة ثقافية واحدة، فهي لا تحمل معلومات جديدة، ولكنها توظف في إطار التواصل توظيفا قد يكون جديدا بمعنى أن المتكلم يتصرف في العلاقات التي تربط هذه العبارات بالموقف والمقام التواصلي في ضوء علاقة هذه العبارة بسياقها المصدر.

ومن أجل هذا فإن الدراسة ترى أن لهذا النوع حركية تواصلية باعتبار دورها داخل عملية التواصل، وهو دور يختلف بطبيعة الحال عن دور عبارات أخرى يتشكل منها الخطاب؛ لذا فإن هناك ضوابط معينة خاصة بالحركية التواصلية التي يمكن إقامتها لهذا النوع من العبارات تبرهن على فاعليتها من خلال فحص السياق التواصلي الذي تقع فيه هذه العبارات، وفحص الطبيعة التركيبية والدلالية للعبارة، وكذلك فحص العلاقات التي تربط بينها وبين غيرها من العبارات التي تقع معها.

ومن الأمور ذات الصلة بتحديد الحركية التواصلية لعبارة الاستشهاد الأنساق الاجتماعية، بمعنى أن هذا التحديد يتطلب إزاحة الستار عن الأبعاد الثقافية والأيديولوجية التي يتم من خلالها أن تتخذ هذه العبارات سماتها الدلالية والتداولية الخاصة داخل نموذج التواصل.

الفصل الثاني
الاقتباس
البلاغة والنص والتداولية

ما إن يوضع لفظ من ألفاظ اللغة بين مزدوجين حتى يكشف عن تغير في منهج معرفة تتعلق بميدان جديد للتجربة.

(غاستون باشلار)

يقع الاقتباس والتضمين في إطار البلاغة العربية ضمن الخطوط البديعية التي تعنى بتحفيز المتلقي وجذب انتباهه إلى الرسالة اللغوية، ولا يتوقف أمرهما عند هذين الغرضين فقط بل يتعلق الأمر بإحدى الآليات التي يتم بها إنتاج النصوص أو الأقوال، إذ إن الأمر في البلاغة «يتعلق بصورة موجزة باستعمال واع وهادف ومعلل لمعارف جمهور المستمعين وآرائهم ورغباتهم من خلال سمات نصية خاصة، أو الطريقة التي يتحقق من خلالها هذا النص في الموقف الاتصالي»[1].

وتطرح مجموعة التعريفات الخاصة بكل من الاقتباس والتضمين المدى الخاص بأوجه التشابه والاختلاف بينهما، فبالرغم من قيامهما على آلية واحدة هي (الاقتطاع والإدراج) إلا أن ثمة حدوداً فاصلة بينهما، وذلك على النحو التالي:

---

(١) فان دايك ترجمة د. سعيد حسن بحيري (٢٠٠١) ص ١٨٢ - ١٨٣. ولمزيد من البيان حول علاقة البلاغة بالتواصل انظر د. جميل عبد المجيد (٢٠٠٠).

أولاً: الاقتباس:

يعرف الاقتباس بمجموعة من التعريفات التي قد تتفق في جزئيات محددة من التعريف أو تختلف، فمن هذه التعريفات:

- أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث(١).
- أن يوشح الكلام بشيء من القرآن أو الحديث أو الفقه(٢).
- أن يضمن المتكلم منثوره أو منظومه شيئاً من القرآن أو الحديث على وجه لا يشعر بأنه منهما(٣).

إن التعريفات السابقة تقدم الاقتباس على أنه عملية تضمين تقوم كما ذكرنا على اقتطاع وإدراج، اقتطاع من نصوص محددة، منها : القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو الفقه، وعملية إدراج لما تم اقتطاعه من هذه النصوص لتقع ضمن الكلام سواء أكان شعراً أم نثراً. ويقف التعريف الأخير على نقطة مهمة تتلخص في عبارته «على وجه لا يشعر بأنه منهما »، فهذه النقطة خاصة بما يكون عليه شكل الرسالة ومعناها، فالعبارة تشير إلى المدى الخاص بالتحول الذي يصيب الشكل التركيبي للعبارة المقتبسة، ومن ثم الدلالة الخاصة بها.

وأحسب أن الوصول إلى هذا الوجه الذي لا يشعر بأن المدرج هو بعض من القرآن أو الحديث، إنما يتم عبر الدوائر الدلالية الخاصة بموضوع الحديث الذي يريد المتكلم صاحب الاقتباس معالجته، فكون الجزء المقتطع يتماس مع إحدى الدوائر الدلالية الخاصة بهذا الموضوع، فإن هذا التماس يشكل له باب الولوج إلى سياق هذا الموضوع بما يحقق له المناسبة، ويشكله (صياغة ودلالة) بحسب المساحات المتاحة الخاصة بوضعية محددة داخل هذا السياق بإمكان هذا الجزء المقتطع معالجتها.

---

(١) الجرجاني تحقيق: د. عبد القادر حسين ١٩٩٧، ص ٢٨٧.

(٢) الإمام الطيبي تحقيق ودراسة: عبد الستار حسين ١٩٩٦، ص ٥١٥.

(٣) السيد أحمد الهاشمي ، ص ٣٣٥.

وهذا تحديداً ما يسوقنا إلى ما يؤدي إليه هذا التحول من تغير في الدلالة، فالاقتباس على قسمين «الأول: ألا ينتقل المعنى إلى غير محله، والثاني: أن ينتقل إلى غير محله»(١)، ويتم هذا الانتقال «بغير تغيير اللفظ... أو بتغيير يسير»(٢).

وأحسب أن عملية الانتقال هنا خاصة بالمعاني دون الألفاظ، فالاقتباس وإن كان غير محدد في تعريفاته السابقة فيما يخص كونه اقتباساً للألفاظ أو للمعاني حيث عبرت التعريفات عن هذا بقولها: شيء، ولكنها لم تحدد ماهية هذا الشيء: أهو اللفظ أم المعنى؟ إلا أنه يتم بناء على عملية انتقاء خاصة بالمعاني القادرة على رصد وتقريب تصور المتكلم ومقصوده. أما عملية التغيير فهي محكومة بشكل كبير بمدى المطاوعة أو المرونة التي تتيحها بنية هذه المعاني كي تبدو متسقة مع المعاني التي يريد المتكلم معالجتها.

وخلاصة التعريفات السابقة للاقتباس ترى أنه خاص بالكلام منثوره ومنظومه، وخاص من جهة أخرى بنوعية محددة من النصوص المصدر كالقرآن أو الحديث أو الفقه، وأن معاني هذه النصوص قد تنتقل في إطار الخطاب الجديد إلى غير محلها أو إلى محلها عبر عمليات التغيير التي تصيب ألفاظ هذه المعاني، وإن كان من شرط للاقتباس فشرطه هنا أن تبدو هذه المعاني في الخطاب الجديد وكأنها من اختراع المتكلم بناء على فكرة المطاوعة والمرونة التي تبديها العبارة المقتبسة.

---

(١) الجرجاني تحقيق د. عبد القادر حسين ١٩٩٧ ص[٢٨٧، ٢٨٨].

(٢) نفسه ص ٢٨٨.

ثانياً: التضمين:

قدم الدرس البلاغي العربي بعض التعريفات الخاصة بالتضمين على النحو التالي:

١) أن يضمن في شعره شعر غيره [١].

٢) أن يضمن الشعر من شعر الغير [٢].

٣) أن يضمن الشاعر كلامه شعراً من شعر الغير [٣].

هذه التعريفات ترى أن التضمين يقوم على خطوتين هما (الاقتطاع والإدراج)، وأنه أمر خاص بالنص الشعري سواء أكان مصدراً للاقتطاع أم هدفاً للإدراج، وعليه فهو خاص بالمنظوم من الكلام.

ومن الأشكال التي يتفرع إليها التضمين:

- الاستعانة: «إذا كان المأخوذ بيتاً أو أكثر»[٤].
- الإيداع أو الرفو: «إن كان مصراعاً فما دونه» [٥].

ونلحظ هنا أن هذه الأشكال قدمت على أساس من حجم النص المدرج، وأحسب أن التسمية الخاصة بكل شكل تجعل أمر التضمين معقوداً على المعاني حيث يكون «أحسن التضمين أن يزيد المضمن في كلامه نكتة لا توجد في الأصل»[٦].

أما عن الشروط الخاصة بالتضمين فهي تتلخص في التنبيه على النص «إن لم يكن مشهوراً لدى نقاد الشعر وذوي اللسان»[٧]، وهذا ما يضع

---

(١) الجرجاني تحقيق د. عبد القادر حسين ١٩٩٧ ص ٢٨٩.

(٢) الإمام الطيبي تحقيق عبد الستار حسين ١٩٩٦ ص ٥١٤.

(٣) السيد أحمد الهاشمي ص ٣٣٨.

(٤) الجرجاني تحقيق د. عبد القادر حسين (١٩٩٧) ص ٢٨٩.

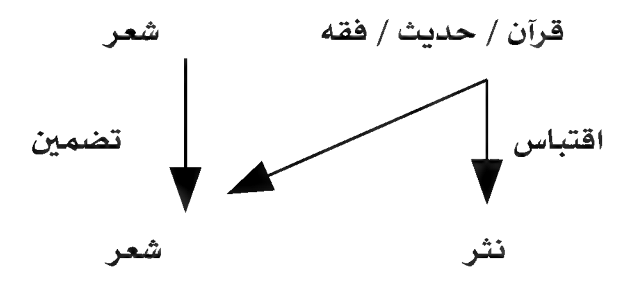
(٥) نفسه.

(٦) السيد أحمد الهاشمي ص ٣٣٨.

(٧) نفسه.

التضمين في علاقة بالإطار الثقافي العام، فما يكون مشهورا لا ينبه إليه، وما كان غائبا عن هذا الإطار أو يحتمل غيابه ينبغي التنبيه إليه.

وفي ضوء التعريفات والأقسام السابقة لكل من الاقتباس والتضمين فإن ثمة فروقاً بينهما يشير إليها التخطيط التالي:



إن مقدرة النص القرآني أو الحديثي أو الفقهي على الولوج في النص الهدف نثراً وشعراً من طريق الاقتباس إنما مأتاها الخصائص الأسلوبية التي يتمتع بها هذا النص؛ فالقرآن أو الحديث أو الفقه ذات صبغة أسلوبية قادرة على أن تبدو واضحة تنبه على نفسها وعلى مصدرها في ذات الوقت، كما أن معانيها باتت مشهورة لما تمثله من قيمة دينية.

أما في التضمين الخاص بالنص الشعري، ففيه تتمازج السمات الأسلوبية وتتعقد عبر القالب الشعري الذي قد يكون جديداً أو مشابهاً لقالب النص المصدر، وعلى قدر درجة التقارب أو التباعد بينهما – وفق البنية الوزنية والمعاني الخاصة بالعبارة – يكون التنبيه وتكون النكتة التي لا توجد في الأصل. وعلى ما سبق فالتوشيح ظاهر في الاقتباس، تتفاوت نسب ظهوره في التضمين وفق أشكال الاستعانة أو الرفو والإيداع وغيرهما.

والبلاغة العربية تزخر بالعديد من المفاهيم الأخرى التي تعتمد ذات الآلية: (الاقتطاع والإدراج) التي يتم بها الاقتباس والتضمين، فهناك العقد، وهو «أن يضمن الشاعر في نظمه بعضاً من آيات القرآن الكريم، مع التنبيه

على ذلك» [1]. ولعل الفارق هنا بين الاقتباس والعقد يتجلى في عملية التنبيه إذ تجعل من الاقتباس - بالمعنى السابق - عقداً.

ولعل اعتماد ذات الآلية المشار إليها يساوي بين الاقتباس والتضمين، فهناك من الباحثين من يجمعهما معاً في تعريف واحد: « أخذ لفظ أو معنى وتنسيقه داخل النص الجديد لغايات متعددة كالاستشهاد أو التشبيه أو التمثيل أو سوى ذلك، وهو لا يعرف السرقة؛ لأنه واضح التصريح والتلميح» [2].

وبصفة عامة فإن الاقتباس أو التضمين في ظل المقاربة البلاغية العربية يظل كل واحد منهما مشدوداً بشكل مباشر إلى الدائرة الإبداعية، فأحد أهم موضوعات البلاغة العربية هو موضوع الكتابة والإبداع. فابن الأثير يرى أن الاقتباس أداة ذات فعالية بالغة نستطيع من خلالها ولوج عالم الإبداع [3]، فإذا كانت نصوص القرآن الكريم والأخبار النبوية وأشعار الفحول هي سجلات ذات مدى بلاغي خاص وصبغة أسلوبية تجعلها تصنف أعلى السلم البلاغي، فإن الاقتباس من هذه السجلات أحد أهم طرائق التدرج على هذا السلم.

وربما لا يعنى ابن الأثير بالاقتباس تلك المباشرة النوعية المخصوصة باقتطاع وإدراج بعيدين عن أي تدخل من قبل من يتصدى للكتابة[4]، وإنما كان يعنى بالاقتباس القصد إلى موطن الاقتطاع واعتماد الطرائق التي بها يتم إدراج هذه المواطن على النحو الذي يجعلها تبدو وكأنها من إبداعه الخاص من جانب وتتماس مع هذه النوعية من النصوص التي يشهد لها بالقدر البلاغي عالي التقنية.

---

(١) علي أبو زيد (١٩٨٣) ص ٢٧٨.

(٢) انظر نور الهدى لوشن (١٤٢٤هـ) ص ١٠٢٥.

(٣) انظر ضياء الدين بن الأثير تحقيق د. أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة، ١٩٦٢، ١/ ١٠٠.

(٤) نفسه ١/ ١٠١.

ابن الأثير يقدم آلية الحل لتشكل طريقة للتعامل مع موطن الاقتطاع من جانب، ووسيلة من جانب آخر لعملية الإدراج التي بها يتم التماس والاختلاف بين النص المصدر والنص الهدف، وإذا طالعنا نماذج هذه الآلية نراها تقوم على حل للمعاني التي تعبر عنها نصوص المصدر ونقلها إلى معاني تتشابه معها أو تتباين [١].

إن طريقة الحل التي قدمها ابن الأثير يمكن النظر إليها كمعالج يعمل على تألق المعاني الجديدة من جانب ولا يلغى الإشعاع الذي يكون لها في نصوصها المصدر من جانب آخر، وربما يمازج بينها وبين إشعاع جديد يكتسب من خلال نوعية النصوص الجديدة وسياقاتها التداولية.

وفي ظل وجود بعض الأسباب التي تلقى على المتكلم عبء الوصول بالرسالة اللغوية إلى درجة ما من الوضوح أو الغموض يكون فيها قادراً على الوصول إلى المعنى المراد أو الغرض الذي يسعى إلى تحقيقه يكون على المتكلم في بعض الحالات «إزالة أية التباسات قد تطرأ ليضمن أن أفكاره قد تم نقلها»[٢] بشكل فاعل، وكذلك في ظل بعض الأسباب التي قد يشكل فيها علم المخاطب أحد الضغوط التواصلية، يستطيع المتكلم أن يعود إلى «احتياطي واسع من الأقوال اللغوية، يمكنه بواسطتها توجيه الاتصال وضمان فهم النص»[٣]؛ ذلك أنه - على حد تعبير جاكبسون - «يستحيل الاقتصار في المحاورات على ما يعيشه المتكلم من أحداث، فننقل كلام غيرنا وننقل كلاماً لنا كان قد سبق»[٤].

وبناء عليه فإن العودة إلى مثل هذا الاحتياطي من الأقوال اللغوية

---

(١) نفسه ص[١٠٣: ١٦٢] حيث يسوق عدداً من الأمثلة التي تم حلها ونقلها من غرض إلى غرض ومن مجال إلى آخر عبر المحافظة على المعنى أو قلبه أو التعبير عنه بضده.

(٢) جوناثان كلر ترجمة حسن نايل (٢٠٠٥)، ص ٩٢.

(٣) فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر ترجمة د. فالح بن شبيب (١٩٩٩) ص ١٤٥.

(٤) الأزهر الزناد (١٩٩٣): ص ٣٢، والمقتبس من [جاكبسون ١٩٦٣، ص ١٧٧].

ترتبط بخطة تعبر عن الضروب المختلفة التي يتمثلها المتكلم من أجل إنجاز مقصد تواصلي محدد، حيث ترتبط العودة إلى هذا الاحتياطي بغرض توجيه الاتصال وضمان الفهم، ولا يصح هنا الفصل بين توجيه الاتصال وضمان الفهم وبين المقاصد التي يرمي إليها المتكلم من وراء هذا التوجيه؛ ومن ثم يكون توجيه التواصل ذا علاقة بالملائمة بين الرسالة اللغوية والآثار المترتبة عليها، بحيث يشكل هذا اللجوء إحدى أهم مسارات الخطة التي يتمثلها المتكلم.

والواقع أن لدى دو بوجراند نصاً مهماً أتى فيه على العوامل الاجتماعية التي توجه عملية الانتفاع بمثل هذا الاحتياطي الواسع من الأقوال والنصوص، من بين هذه العوامل[١]:

- التفريق بين الأوضاع الاجتماعية وأدوار المشاركين في الاتصال يؤدي إلى تمييز بين أنواع المواقف.
- التمييز بين أنواع المواقف يولد الاعتداد بأنواع النصوص التي تعد مناسبة للمواقف.
- المعلومات الوقائعية الفعلية عن المواقف والنصوص تنشأ عنها توقعات لما يكون مقبولاً ومؤثراً في موقف ما.

إن أول ما يتبدى من قراءة مثل هذه العوامل كونها على درجة عالية من الوثاقة بكنه العملية التواصلية، وما يحيط بها من ظروف وملابسات تؤثر في سيرها وتبدلاتها وانتقالاتها، بمعنى أنه قد تبدو داخل العملية التواصلية بعض المؤشرات التي يستطيع من خلالها أن يتبين المتكلم أن متلقيه ليس على الدرجة المطلوبة من الفهم أو حتى التعاون إذا استخدمنا اصطلاحات جريس، الأمر الذي يجد فيه المتكلم نفسه مضطراً إلى الاستفادة من هذا الاحتياطي إما لتدعيم فكرته وإما لبيانها على الصورة

---

(١) روبرت دو بوجراند ترجمة د. تمام حسان (١٩٩٨) ص ٤١٣.

التي تؤدي إلى بيان المقصود وإما لغير ذلك مما يستدعيه الموقف التواصلي.

النقطة الثانية الخاصة بقراءة مثل هذه العوامل تتعلق بكونها مازالت تتعاطى مع رقابة المتكلم بوصفها أحد أهم العوامل التي تكفل نجاعة العملية التواصلية. والنقطة الأهم هنا تتعلق بهذه الثلاثية التي يطرحها دو بوجراند، (المواقف – النصوص – المقبولية)، فإذا كانت عملية تمييز المواقف هي نقطة البدء في التحرك باتجاه انتقاء واعتماد نص محدد من قبل المتكلم يلقى أعلى درجات المقبولية لدى المتلقي، فإن عملية التواصل وفق هذا الطرح عملية معرفية ذات علاقة وثيقة بالقدرات الذهنية لدى كل من المتلقي والمتكلم القادر على تمييز المواقف والنصوص والوقائع.

في ظل الطرح السابق وعلى وجه خاص هذه الثلاثية تستطيع الدراسة هنا توصيف عملية الانتفاع بالنصوص وكأنها عملية تقوم بالأساس على ما يمكن تسميته المسار الاستكشافي، فالمتكلم في محاولته التقاط نقاط الالتقاء بين وحدات هذه الثلاثية بطريقة أو بأخرى إنما يضطلع بمهمة تتعلق بفحص تلك الأسباب التي تؤثر بعمق في عملية انتخاب نص محدد دون غيره.

ومما ينبغي التنبيه إليه هنا هو أنه إذا كانت هذه العوامل تطرح عملية الانتخاب وكأنها عملية معرفية واعية فإنه في بعض الحالات ربما لا يكون المتكلم على وعي بكل نقاط الالتقاء التي تجمع ثلاثية (المواقف – النصوص – المقبولية) الحال التي يمكن أن يساق فيها نص ما على نحو حدسي من قبل المتكلم إزاء الواقعة التي يعالجها، وربما تقبع الممارسة الاجتماعية الخاصة باستخدام بعض النصوص في وقائع محددة خلف هذا الموقف الذي قد يتخذه المتكلم.

وفي بعض الحالات يميل المتكلمون الذين يؤمنون بنصوص محددة إلى تكرار هذه النصوص في مناسبات عديدة؛ ذلك أنه «حين يتوقف المتكلم مع ألفاظ معينة، أو لنقل يختارها أو يقع عليها، فإنه بلا شك يستشعر منها

أمنا، لأنها تحمل ما عنده من الطاقة الذهنية والعاطفية»[١]، وقد يغلب على هذه النصــوص أن تكون نصــوصــاً دينيــة[٢]، وربما تحكم العــادة بعض استخدامات هذه العبارات بمعنى أن تكون هي السبب وراء تمييز عناصر الثلاثية التي ساقها دو بوجراند؛ وبالتالي فإن المتكلم يستخدمها على نحو حدسي معتمداً في هذا على المقبولية الاجتماعية لمثل هذه النصوص. غير أنه لا بد من التنبيه هنا على ضرورة التمييز داخل المواقف الاتصالية بين العبارات، حيث تكون هناك عبارات يمكن توصيفها بأنها عبارات داخل السياق، وأخرى تقع خارج السياق .

ولعل تنوع خطابات ونصوص الاستشهاد في البيئة العربية يعكس أمراً مهماً يتعلق بمدى كفاءة هذه النصوص ووفائها بمتطلبات الموقف التواصلي، وهنا يشير دو بوجراند إلى مصطلحين هما: كفاءة النص، وتأثيره، و«تأتي كفاءة النص من انتفاعه في الاتصال بأفضل نتائج الاقتصاد في الجهد حتى يصل إلى سهولة متزايدة، وأما تأثير النص فيتوقف على قوة وقعه عند مستقبليه»[٣]، وهنا لا يمكننا بحال من الأحوال تجاهل إمكانية أن يكون ما يتم التعبير عنه بواسطة نص معين قد يتاح في نصوص أخرى غير أن طابع كل نص ومدى انتشاره مقروناً في هذا بسلطة خاصة لهذا النوع من النصوص ومكانة عالية داخل المجتمع قد يتيح له نسبة تكرار عالية إذا ما قورنت بنسبة نصوص أخرى لا تتمتع بمثل هذه الميزات.

ومأتى هذه الميزة نجده عند الجاحظ حيث أشار إلى أنه «متى كان

---

(١) د. مصطفى مندور ص ٦٢.

(٢) هناك من يرى بأن «المشاركة في حدث تواصلي ليست فقط عملية اجتماعية؛ ذلك لأنها أحياناً ما تنبع من رغبة داخلية لإرضاء معتقدات دينية، حيث إن الثقافة – كما رآها سابير – جزء من مواد موروثة اجتماعية وعناصر دينية روحية». *See Mohammed N. AL-Ali (2005): P.20*.

(٣) روبرت دو بوجراند ترجمة د. تمام حسان (١٩٩٨) ص ١٠٦.

اللفظ كريما في نفسه، متخيرا في جنسه، وكان سليما من الفضول، بريئا من التعقيد، حبب إلى النفوس، واتصل بالأذهان، والتحم بالعقول، وهشت إليه الأسماع، وارتاحت له القلوب، وخف على ألسنة الرواة، وشاع في الآفاق ذكره، وعظم في الناس خطره»[١].

وأحسب أن هذه الميزة تتعلق بالجانب التركيبي والدلالي الذي تكفل العبارة بيانه من خلال علاقات مفرداتها ومدى ملاءمتها للموقف الذي قد سيقت فيه مما يؤطر لمدى تناسق النص مع الموقف التواصلي، بمعنى أن هذا الموقف وما يحتويه من عناصر وهاديات قد ترشح لنوع النصوص الذي ينتقيه المتكلم في سياق هذا الموقف؛ فتخطيط المحادثة ومحاولة المتكلم والمتلقي المحافظة على خط سيرها وفق أهداف كل منهما ومكان هذه المحادثة وزمانها ومدى العلاقات الرابطة بينهما والجو النفسي الشائع فيها كل هذا يتحكم بشكل كبير في تحديد نوع النصوص التي تتساوق وهذا الموقف.

وإذا كانت آلية الفعل اللغوي باعتبار كونه وسيلة التواصل بين طرفين يتجاذبها بعدان «يتمثل أحدهما في مدى ما يتوصل إليه المتكلم باللغة من أفق تعبير شعوري وفكري، ويتمثل الآخر في طبيعة مستوى الاستجابة التي يظهرها المتلقي لدلالة التعبير اللفظي ومستوياته»[٢]، فقد يتم اختيار نص/قول محدد دون غيره لأن مثل هذا القول سيكون له صدى نفسي وعاطفي كبير عند المستمع.. (أو).. لأن المتكلم يشعر أن فيه الحكمة كلها التي يمكن أن تفيد المستمع ويكون لها أثر فعال على مسمعه[٣].

إن عبارة الاستشهاد - بما أنها جزء من نص سابق يدرج بأشكال متعددة ومتنوعة داخل الموقف التواصلي - يمكن النظر إليها كعمل خطابي

---

(١) الجاحظ أ: ج ٢ ص ٣ - ٤.

(٢) د. على حداد (٢٠٠٠): ص ١٧٤.

(٣) انظر د. مازن الوعر (١٩٨٩) ص ٩٢، ٩٧.

ينطوي على غايات محددة، إحدى هذه الغايات تتمثل في الاستدعاء وهو «طلب ما يفترض أنه معروف لدى المشاركين في المحادثة»[1]، ويمثل الإعلام لغاية أخرى من غايات هذه العبارة، ويقصد به «إدخال تعديل على أمر معلوم أو عرض معلومات جديدة»[2]، ومن خلال ما سبق نرى أن كلا من الاستدعاء والإعلام لا ينفصلان في حالة عبارة الاستشهاد، ولكن قد تكون هناك فقط تراتبية معينة تجمعها يشكل فيها الاستدعاء لخطوة تتقدم على الإعلام في حال وتحتويه في حال أخرى؛ ذلك أن الاستدعاء «يعين على استكشاف مواقف لبعض الناس الذين تتطلب خطط المتكلم تعاونهم في المحادثة»[3].

ولعل فولفجانج إيسر له نص مهم في مجال عملية الاستدعاء يقول: «إذا دفع القارئ إلى تذكر شيء غاص في أعماق الذاكرة بالفعل فإنه يسترجعه لا بصورة منعزلة، بل ضمن سياق خاص، وحقيقة الاسترجاع تحدد الحدود التي يمكن للعلامة اللغوية أن تؤثر في نطاقها، فالكلمات في النص لا تدل إلا على إشارة وليس على سياقها؛ ويحدد العلاقة بالسياق ذهن القارئ الاسترجاعي، ويخرج مدى هذا السياق المسترجع وطبيعته عن نطاق سيطرة العلامة اللغوية»[4].

وتكمن أهمية النص السابق في أنه يمكن من خلاله النظر إلى عبارة الاستشهاد كأيقونة تنفتح على العديد من الدلالات في ذهن المتلقي القادر على استرجاع السياق الخاص بهذه العبارة، فعند هذه النقطة - كما يرى إيسر - «تندمج العلامة النصية والعقل الواعي للقارئ في فعل توليدي لا يقبل التحول إلى أي من عنصريه اللذين يتكون منهما، وحين تسترجع

(١) روبرت دو بوجراند ترجمة د. تمام حسان (١٩٩٨) ص ٤٩٨.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه ص ٤٩٩.

(٤) فولفجانج إيسر ترجمة د. عبد الوهاب علوب، ص ١٢٣.

الحقيقة الماضية على خلفية إمكانية إدراكها فإن هذا يشكل إدراكاً بالترابط، فالحقيقة المسترجعة لا تنبت عن سياقها الماضي» [١].

وتتشابه هذه الفكرة المطروحة من قبل إيسر مع الفكرة القائلة بأن المنطوقات تستطيع أن تحمل سياقها معها، وهي فكرة كان قد قدمها جون جمبرز، ولاقت بعض التعديل من قبل ستيفن ليفنسون حيث رأى أنه يمكن إقامة نماذج مختلفة لمظاهر استدعاء المنطوقات للسياق، منها:

- ❖ جلب السياق من طريق بعض الأدوات أو الشفرات العرفية، حيث يرى ليفنسون أن اللغات تمتلك قدراً من الأدوات أو المورفيمات التي تمكنها من استدعاء السياق الخاص بالمنطوقات التي ترد فيها.
- ❖ استدعاء السياق من خلال عملية الاستنتاج.
- ❖ استدعاء السياق من طريق الإشارة[٢].

ومن ثم فإن فعل الاستشهاد يعمل من خلال قدرته على أن يكون شفرة أو إشارة، وأن يمثل في إطار سياقه التواصلي الخاص لدلالة تنطوي على مخزون ثقافي معرفي تاريخي يكون قادراً - في هذا السياق - على كسر نمطية الدلالة وحرفيتها التي يمكن أن يستخرجها المتلقي من خلال هذا السياق.

الاستشهاد ومبدأ التعاون:

في كل حالات الاتصال ومن أجل نجاح عملية التحادث فإن المقترح «أن يلجأ الناس إلى خلفيتهم المشتركة، ومعرفتهم الذهنية، واعتقاداتهم، وافتراضاتهم»[٣]، ولكن كيف يصل الناس إلى مثل هذا الفهم ؟، إن ثمة طريقتين أو نظرتين يمكن من خلالهما الوصول إلى مثل هذا الفهم: الأولى:

---

(١) فولفجانج إيسر ترجمة د. عبد الوهاب علوب، ص ١٢٣.

(٢) حول تفاصيل أكثر خاصة بهذه المظاهر انظر: *Stephen C. Levinson (1997): P.27*.

(3) see Ellen A. Isaacs & Herbert H. Clark (1987): P.26.

النظرة التقليدية، وهي التي تسمى النظرة المستقلة وفيها يتم الاستماع إلى الكلمات المنطوقة وتشفيرها ومن ثم تفسيرها، وذلك من قبل المستمعين فقط، والأخرى يطلق عليها النظرة التشاركية، وفيها يشترك كل من المتحدثين وسامعيهم، بعيداً عن هذه الأحداث المستقلة، محاولين التأكد من أن ما يقال هو أيضاً مفهوم[(١)].

وأحسب أن النظرة الثانية يستطيع من خلالها المرء تجنب سوء الفهم المحتمل وقوعه أثناء عملية التحادث، وباعتماد وجهة نظر جريس التعاونية ينطوي الحدث التواصلي على بعض أشكال التعاون بين المشاركين فيه، هناك دائماً بعض أوجه الاتفاق بينهم بحسب طبيعة ودرجة مثل هذا التعاون، وأيضاً بحسب ما يشتركون فيه من معتقدات أو أطر معرفية تكون الأساس الذي يمكن أن يبنى عليه مثل هذا التعاون[(٢)]، وتأسيساً على هذه الأطر لا يكفي أن تكون المنطوقات الصادرة عنهم مفهومة فقط كما يرى تشوبر وكلارك دون أن تكون مؤثرة؛ ذلك أن التأثير يؤسس نجاح هذا الحدث، ولا شك في أن النظرة التشاركية مفيدة من أجل الوصول بهذا الحدث إلى درجة عالية من الاتساق غير أن المقصدية الحقيقية للمشاركين تكون في التأثير، فلقد ذكر الجرجاني أن العبارة إنما تمتاز بالتأثير[(٣)]،

---

(1) see H. H. Clark & M. F. Schober (1989): P.211.

(٢) تشيع في إطار علم النفس نظرية تسمى بـ «التنافر المعرفي *Cognitive Dissonance*» قدمها فستنجر *L. Festingr 1957*، وترى هذه النظرية أن الأشخاص يسعون إلى تحقيق الاتساق داخل أنساق معتقداتهم، وتحقيق الاتساق بين معتقداتهم وسلوكهم، ومع ذلك هناك تنافر داخل أنساق معتقدات معظم هؤلاء الأشخاص كما يوجد تنافر بين بعض عناصر أنساق معتقداتهم وسلوكهم. انظر: د. معتز سيد عبد الله (١٩٩٠) ص ٤٤١، وبالتالي يمكن أن تشير وحدة المعتقدات إلى حالة من حالات الاتساق - التي تحدث عنها فستنجر - تتيح لهؤلاء الأشخاص قدراً من التعاون الذي أشار إليه جريس.

(٣) الجرجاني ص ١٧٥.

وتعليل هذا نجده عند الرازي حيث ذكر أن «لاختلاف الكلام تأثيرا وكذلك لاختلاف المتكلمين تأثيرا»[(١)].

وفي ضوء الرغبات - الجلية أو الخفية - التي يبديها المشاركون في الاتصال فإن المتكلم ينزع إلى أن يتمثل خططاً محددة من أجل الوصول إلى تحقيق هذه الرغبات[(٢)]، ولكن لما كان لا شيء في المحادثة محدد سلفاً - بوصفها نشاطاً تلقائياً - فإن أهم عنصر يجب أن يبرز في مثل هذه الحالة هو المناسبة أي مناسبة ما يقوله متحدث ما لما قيل سابقا في إطار المحادثة؛ فالإنسان «لا يستطيع أن يضع أي جملة قبل أخرى ويأمل في أن هذا سوف يعنى شيئا ما»[(٣)]، وهنا تبرز قضية ما أسماه براون ويول الحديث في الموضوع والحديث عن الموضوع[(٤)] حيث يكمن الفرق بينهما فيما يعده كل من المتكلمين عناصر بارزة ضمن إطار الموضوع أم لا.

والمشكلة في هذا الإطار تتلخص في أن المشاركين في المحادثة حتماً يعرفون أقداراً مختلفة من المعلومات بشأن الموضوع موضع المناقشة[(٥)]. أما عن الحل المقدم لمثل هذا المشكلة فيتلخص في النظرية التشاركية للمرجع،

---

(١) الرازي ج ٢٨ ص ٢٢٨.

(٢) انظر تفاصيل أكثر عن «الخطط» في روبرت دو بوجراند ترجمة د. تمام حسان (١٩٩٨) ص ٣٧٩-٤١٠ حيث يرى أنه إذا كان للأعمال الاتصالية أن ترمى إلى غرض ما فإن عليها أن تكون على صلة بخطوات خطة ما *Plan*، انظر ص ٣٨٠.

(3) Guy Cook (1989): P.3.

(٤) انظر براون ويول ترجمة د. محمد لطفي، ود. منير التريكى (١٩٩٧) ص ١٠٣. ولمعرفة الفروق الخاصة بموضوعات الجمل وموضوعات الخطاب انظر فان دايك ترجمة عبد القادر قنيني (٢٠٠٠) ص ١٨٥ وما بعدها حيث يرى فان دايك أن موضوعات الجمل تحدد توزيع المعلومات على طول انتظام متوالية الجمل بينما تحدد موضوعات الخطاب المعلومات السيمانطيقية وتنظمها وترتبها ككل شامل.

(5) Ellen A. Isaacs & H. H. Clark (1987): P.26.

وتتلخص في القول بأن المشاركين في محادثة ما عندما يقدمون مرجعاً ما فإنهم يحاولون إقامة اعتقاد متبادل مع شركائهم يمكنهم من فهم هذا المرجع[١].

وعلى ضوء هذه الاعتبارات الخاصة بالمحادثة وبالعلاقات التي ينبغي إيجادها بشأن المنطوقات التي تساق في إطارها[٢]، فإن عبارة الاستشهاد من جانب ينبغي أن تكون على علاقة محددة بالمنطوقات التي وردت في المحادثة، ومن جانب آخر يجب أن يكون بين المشاركين في هذه المحادثة قدر - ربما ينبغي أن يكون كبيراً - من التعاون يمكنهم من الوصول إلى فهم هذه العبارات ذات السمات الخاصة.

وهذا معناه أن أية عبارة يقصد إليها المتكلم لتكون استشهاداً في موقف محدد لابد وأن تكون في حالة اتساق مع هذا الموقف، وذلك على المعنى الذي يجعل من انبثاقها أمراً مشروطاً بمدى المناسبة بينها وبين الموقف، ويتحدد هذا المدى بمقدرة المتكلم على رسم الحدود المشتركة بين الموقف والعبارة، ولعل هذا ينطوي على بعد معرفي خاص بالمتكلم به يكون قادراً على استيراد ما من شأنه أن ينمى الحوار بينه وبين المتلقي أو أن ينهي هذه الحالة.

وربما يكون التعاون هنا محددا بطبيعة العلاقة التي تربط بين المشاركين في المحادثة وبين هذه العبارة؛ بمعنى أنه إذا كان كل من المتكلم والمتلقي يعرفون ويدركون عبارة الاستشهاد ربما تزيد هذه المعرفة من مقدار ذلك التعاون.

---

(١) حول هذه النظرية انظر: *Deanna Wilkes-Gibbs & H. H. Clark (1986, 1992)*

(٢) للمزيد عن المحادثة وتنظيمها انظر:

* *David A. Evans & Jerry R. Hobbs (1980)*

* *Charles Goodwin (1981)*

الاستشهاد بين التاريخي والواقعي:

إن أحد أهم الوسائل التي ينبغي اعتماد المشاركين عليها في تحديد مراد المتكلم بعبارة من مثل هذا النوع هو قدرتهم على تعرف طبيعة بناء هذه العبارة بالنسبة إلى بعدين[١] أولهما: البعد الخاص بالتاريخ، والثاني: البعد الخاص بالواقع الفعلي، وهذا معناه أنه إذا كانت عبارة الاستشهاد ذات بنية لغوية محددة نمطيا بتركيب نحوى واضح، فإن ورودها وترددها ضمن سياقين مختلفين لا يجعلها بنية وليدة اللحظة، بل هي بنية معادة من أخرى مصكوكة سابقا على ذات القالب والنمط النحوي، وبالرغم من وحدة البناء النحوي إلا أن العبارتين مختلفتان أيما اختلاف.

أحد أهم هذه الاختلافات هو ما يطلق عليه فلويد لونسبورى الأوضاع النفسية التي تنجم عن استخدام هذه العبارة في سياق فعلي[٢]، وما يترتب على هذا من مسارات عديدة تتنازع تشكيل دلالة هذه العبارة، فهناك على حد تعبير فلويد تراث خاص بالأشكال القديمة، وأحسب أن هذا التراث لا يكمن فقط في البنية اللغوية الثابتة، بل هو تراث يخضع وفق تكرار الاستخدام لعمليات يمكن أن نطلق عليها عمليات تحديث تضيف إلى هذه البنية أبعاداً دلالية وتداولية أخرى، بعضها يثبت والآخر يزول، حسب درجات التشابه الخاصة بسياقي العبارة ونمطية تكرارها التي يتم تشكيلها وفق مجموعة من العوامل يمكن تسميتها بعوامل الاستدعاء.

ولعل الرجوع إلى سياق المصدر الذي تم منه اقتطاع العبارة يشكل أحد السبل التي تساعد في الوصول إلى قدر من المعلومات - التي تطرحها بنية المعلومات - الخاصة بهذه الجملة في هذا السياق، ذلك المقدار الذي يعين في تحديد مرادها وإمكانية التطوير أو التحديث المحتمل الذي سوف تخضع له هذه العبارة في سياقها الجديد.

---

(١) تم اقتباس هذين البعدين من دراسة *Floyd G. Lounsbury 1968.*

(2) see F. G. Lounsbury (1968): P.46.

إذاً فليس من المستبعد أن تنطوي عملية الاستيراد هذه على ما ألمحت إليه الدراسة تحت مسمى رقابة المتكلم، فعلي مستوى سياق المصدر تشير هذه الرقابة إلى مقدرة المتكلم على فهم العبارة في هذا السياق؛ وبالتالي فهم ملابساتها وحيثياتها داخل هذا المصدر(١). أما على مستوى سياق الموقف الذي يضطلع المتكلم بمعالجته فإن رقابة المتكلم تختص بتحصيل المدى الخاص بنقاط المشابهة التي تربط بين المستويين حيث يستطيع المتكلم المزاوجة بينهما ضمن إطار الغرض التداولي الذي يرمي إليه.

الاستشهاد والإدراك:

وبناء على ما يتم عقده من الصلات والروابط يستطيع المتكلم أن يكون واثقاً من أمر المناسبة؛ وبالتالي يبدو له شيء من الثقة التي تشير إلى إمكانية تحقيق الغرض التداولي الذي يسعى إليه. وهنا لا يمكن إنكار ذلك الأساس المعرفي الذي يتحرك من خلاله المتكلم باتجاه التقاط العلاقات الرابطة بين المستويين، ولعل ما يجب التأكيد عليه هو أن قدرة المتكلم على تبين مثل هذه العلاقات لابد وأن تكون ذات نقطة معرفية معينة تشير إلى البداية التي يمكن عندها عقد هذه الصلات، وبحسب كرافشينكو فإننا في كل مرة نستخدم اللغة نعالج المعلومات معتمدين في ذلك على قيم معرفية مختلفة ومحددة تجاه البنى اللغوية، فيمكن أن نقول: إننا نتحدث عما لاحظناه، أو إننا نتحدث فقط عما نعرفه، في القضية الأولى نعمل على مستوى المعرفة الشخصية. أما في الثانية: فإننا نتحدث عما نعرفه، فنحن نعمل على مستوى المعرفة المشتركة، هذا المستوى بحسب كرافشينكو يضعنا

---

(١) تجدر الإشارة هنا إلى ملاحظة تيرنر *V. Turner* (فيما اقتبسه دورانتي) حيث رأى أنه ما لم نقدم النصوص *Text* من خلال ملابساتها التي وجدت فيها وممن أخذت عنهم والمميزات الاجتماعية والنفسية لرواتها فسوف نقع في خطر اختيار الخصائص المتآلفة من مجموع روايات متباينة. *see A.Duranti (1985):P.1968*

في نظام يطلق عليه نظام المعتقدات ذلك النظام الموجه تجاه العالم(١).

ولعل التحديد السابق لتجربتين مختلفتين من الحديث له رؤية خاصة بهذه الصيغة النحوية لعبارة ما أو بالقواعد بوجه عام حيث تنزع هذه الرؤية إلى اعتبار القواعد نظاماً خاصاً بالخبرة المعرفية(٢)؛ وعلى هذا تتأكد علامية اللغة، وتصبح إعلامية النص متوقفة على إعلامية الوحدات التي تكونه(٣). وأمام هذا التحديد ترى الدراسة أن عبارة الاستشهاد تعمل في كلا الاتجاهين: الملاحظة والمعرفة، أن نلاحظ الشيء، وأن نعرف هذا الشيء من خلال تعبيرنا عن كليهما من خلال صيغة نحوية محددة تنطوي - كما تعرفنا - على بنية معلوماتية محددة تضع هذا الشيء المتحدث عنه في قلب التجربة الشخصية والاجتماعية عن العالم.

هنا تكون نقطة البداية هي النقطة التي عندها تتم المزاوجة بين الملاحظة والمعرفة؛ مما يزيد من تعقيد المستوى المعرفي الذي يعمل في إطاره المتكلم صاحب عبارة الاستشهاد، إن مستوى الملاحظة في إطار استخدام هذا النوع من العبارات مستوى شخصي يؤكد على رقابة المتكلم كمبدأ من مبادئ التواصل بشكل عام وعملية الاستشهاد بشكل خاص، فهو مبدأ يمتلك رصيداً غير قليل مما قد نطلق عليه الحرية التأملية للمتكلم على المعنى الذي تكون به عملية التقاط الجوانب المشتركة - التي تسمح ببروز المناسبة بين العبارة والموقف - تتوقف على تأمل المتكلم لما يمكن أن يربط بينهما، وكأن المتكلم عند هذه النقطة يحاول رسم الحدود بين طرفين يمكن لهما أن يشكلا فيما بينهما علاقة تجمعها في وحدة استعارية، ولكن مثل هذا الأمر لا يشكل فوضوية لا يمكن معها ضبط عملية الاستشهاد، بل الأمر هنا يتداخل مع المستوى الثاني: مستوى المعرفة إذ تتشكل حدود

---

(1) see A. V. Kravchenko (2002): P.48.

(2) see A. V. Kravchenko (2002): P. 47.

(3) Ibid., P.46.

المناسبة عبر ما يطرحه مستوى المعرفة المشتركة؛ إذ إن هذه الحرية محكومة بما يطرحه نموذج التشابهات المفترضة بين العبارة والموقف، فهناك دائماً داخل كل محادثة نوع من التقييم الذي يتحدد على ضوئه ما يبدو مناسباً أو غير مناسب للموقف.

فقد يتم الانتقال من محتوى العبارة في سياقها المصدر إلى محتوى جديد خاص بالموقف والتعاطي معه عبر مجموعة من العلاقات التي تربط بين المحتويين، فإذا كانت العبارة تطرح في سياق مصدرها مجموعة من الدلالات (د ١) فإن توظيفها في إطار الموقف يطرح مجموعة أخرى وقيم مختلفة (د ٢) ترتبط بالأولى من طريق هذه العبارة.

وعليه تكون العلاقة بين (د ١) و (د ٢) علاقة معنوية تتخطى حدود المفردات اللفظية التي تتكون منها العبارة، وعبر هذا الترابط المعنوي تغطي الحرية التأملية للمتكلم مساحة غير صغيرة من الصلات التي يمكن له إنجازها بين العبارة والموقف.

فكلما كان نموذج العلاقات واضحاً - ومبرهن عليه - في ذهن المتكلم كان توظيف العبارة داخل الموقف أنجع، وذلك بافتراض أن يكون هذا النموذج أيضا على قدر لا بأس به من الوضوح في ذهن المتلقي؛ إذ إنه كلما كانت العلاقات بين العبارة والموقف متباعدة بصورة كبيرة احتاجت عملية التأويل التي يضطلع بها المتلقي إلى مزيد من الجهد في التقاط الصلات مع إمكانية فشل الأخير في الوصول إلى مراد المتكلم.

المتكلم - وفق هذه الرؤية التي أكدها جان كلود مارتان ينطلق من وضعيات سابقة إلى وضعية حالية استناداً إلى المحيط والثقافة[1]، ووفق هذه النظرة فإنه ينبغي اتفاق طرفي التواصل على مكونات العالم وتشريحاته المختلفة، فمثلاً تلك العلاقات التي تقوم بين عبارة الاستشهاد والموقف تطرح العديد من المفاهيم الخاصة بمحتوى هذه العبارة، وعبر هذه

---

(١) جان كلود مارتان ترجمة سعيد بنكراد (٢٠٠٤) ص ٤٤.

المفاهيم - التي يجدر الاتفاق بشأنها - يتم الانتقال من وضعية سابقة تطرحها العبارة في نصها المصدر إلى وضعية أخرى تقع ضمن حدود الموقف، هاتان الوضعيتان لا بد وأن يكون بينهما قدر من المصالحة والاتساق.

وبناء على هذا فإن إيقاف تأويل هذه العبارة عند الحدود التي تطرحها الدلالة الحرفية لمكوناتها يجعل المتلقي غير قانع بتلك الدلالة، ويسعى إلى افتراض تأويل محدد ينطلق من العبارة والموقف معاً لجعل العلاقة بينهما أكثر اتساقا من حال الوقوف عند الدلالة الحرفية التي قد يبدو معها استخدام العبارة غير مبرر.

الشاهد بين المؤكد والمفترض:

لنقل إن تعبيرا ما يمثل داخل الموقف التواصلي استشهادا؛ ومن ثم فإن المتكلم يقدم هذا التعبير من خلال ما يراه مؤكداً على ضوء الخلفية الثقافية التي ينعم بها المجتمع الذي يتحدث لغة هذا المتكلم، فإذا كان مستخدم اللغة ينقل المعلومات عبر المنطوقات التي يستخدمها في سياق محدد، فمن المفترض أنه داخل هذا السياق ثمة فروق بين مجموعة المعلومات التي تقدم من طريق تأكيد المتكلم على هذه المنطوقات والجزم بصحتها، وبين المعلومات التي يقدمها داخل السياق على سبيل الافتراض[١].

والسبب الذي يقف خلف هذا التفريق هو أننا عندما نتواصل مع الآخرين، فإننا نتواصل كذلك مع الخلفية التي تمثل مجموع المعتقدات المشتركة، أو المعلومات التي يسلم أطراف التبادل التواصلي بها كي تكون مشتركة، هذه الخلفية تساعد في تحديد المحتوى الذي ينطوي عليه هذا

---

(1) adapted from Paul Piwek (1998): P.29f.

القول[١]؛ وعليه فإن العبارة التي يقدمها المتكلم على أنها عبارة مؤكدة تنطوي على جزء من المعلومات التي يفترض المتكلم أنها جزء من الخلفية التي يشترك فيها مع المتلقي، ويشكل الشاهد أحد المنطوقات التي تنقل مثل هذه المعلومات المؤكدة.

الشاهد والحجاج:

إذا انطلقنا من أن فحص الخطابات الحجاجية المختلفة يعد «بحثاً في صميم الأفعال الكلامية وأغراضها السياقية، وعلاقة الترابط بين الأقوال التي تنتمي إلى البنية اللغوية الحجاجية» [٢] فسنرى أن نظرية الحجاج تنبثق من نظرية الأفعال اللغوية، ويتمثل الحجاج تبعاً لهذا في اشتمال الخطاب على متوالية من الجمل والأقوال، بعضها يعمل بمثابة الحجة، والآخر ينظر إليه على أنه نتيجة لهذه الحجة؛ وعليه فالحجاج هو تقديم مجموعة من الحجج التي تؤدي إلى نتيجة بقصد التأثير في الآخرين أو إقناعهم بفكرة معينة أو تغيير مواقفهم[٣]؛ ذلك أن «الحجاج في ارتباطه بالمتلقي يؤدي إلى حصول عمل ما أو الإعداد له»[٤].

ويتمثل الحجاج بالنسبة إلى بيرلمان في مجموعة من التقنيات الخطابية الموجهة إلى إقناع المتلقي أو الرأي العام. ويتميز بخمسة ملامح رئيسة هي[٥]:

١- أن يتوجه إلى مستمع.

٢- أن يعبر عنه بلغة طبيعية.

٣- مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية.

---

(1) A. Bonomi & S. Zucchi (2003): P.103f.

(٢) د. محمد بوقرة (٢٠٠٥): ص ٩٢.

(٣) د. جميل عبد المجيد (٢٠٠٠): ص ١٠٥.

(٤) د. محمد بوقرة (٢٠٠٥): ص ٩٢.

(٥) د. محمد سالم ولد محمد الأمين (٢٠٠٠): ص ٦١.

٤- لا يفتقر تقدمه - تناميه - إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.

٥- ليست نتائجه ملزمة.

ويطابق بيرلمان بين الخطابة والحجاج معتبراً أن كل المكونات الأسلوبية الموجودة في رسالة ما هي عبارة عن مستويات معينة من مستويات الحجاج، بما في ذلك التضمين والشواهد والأمثلة، حتى السخرية والمفارقة فهي عبارة عن حجة في ذاتها وكذلك الاستعارة(١)، ومن هنا يكون التضمين والشواهد معبراً عن مستوى من مستويات الحجاج، ينظر من خلاله إلى التضمين والشاهد على أنه حجة مقدمة من قبل المتكلم بهدف التأثير في المتلقي بشكل أو بآخر.

ويجدر التنبيه على أنه لا يركز في الحجاج «إلا على الأمور الداخلة في بنيته الموصلة إلى الإقناع: فالأمثلة الجاهزة والجمل الوعظية أو الإرشادية وغيرها لا يتم التطرق إليها إلا إذا كانت داخلة في بنية قولية خطابية وتؤدي هدفاً في خطة حجاجية معينة»(٢)؛ وبهذا يرتبط التضمين والشاهد المقدم على أنه حجة بمقاصد المتكلم، فهو حجة إذا كان مرتبطا - كخطوة فاعلة من خطوات التأثير في المتلقي - بخطة يتمثلها المتكلم من أجل الوصول إلى أهداف محددة.

والحجاج عند ليونيل بلينجر عبارة عن ممارسة نفسية منطقية مندرجة في ثقافة معينة، ويتم إعدادها من أجل التفاعل مع الممارسة النفسية المنطقية للشركاء المعنيين، أو بكل بساطة من أجل التفكير في اتخاذ هذا القرار أو ذاك(٣).

ولقد ذكر ابن سينا أن «الأشياء المقنعة: إما قول تروم منه صحة قول

---

(١) د. محمد سالم ولد محمد الأمين (٢٠٠٠): ص ٦١.

(٢) نفسه ص ٦٥.

(٣) لعرض تاريخي عن الحجاج وغير ذلك من الأبعاد التي ينطوي عليها انظر ليونيل بلينجر، ترجمة عبد الرفيق بوركي (٢٠٠٤): ص ٣٢.

آخر، وإما شهادة؛ والشهادة: إما شهادة قول، وإما شهادة حال. وشهادة القول مثل الاستشهاد بقول نبي أو إمام أو حكيم أو شاعر؛ ومثل الاستشهاد بقوم يحضرون ويصدقون قول القائل مشافهة بأن الأمر كان؛ أو مثل الاستشهاد بشهادة الحاكم والسامعين بأن القول مقنع، فالأول شهادة مأثورة، والآخر شهادة محضورة»[١].

ويعنينا مما سبق قوله الذي يخص فيه الشهادة المأثورة بالاستشهاد بقول نبي أو إمام أو حكيم أو شاعر، إذ إن هذا القول يحدد الاستشهاد بأنه عبارة مقتبسة تساق في الموقف بغرض الإقناع، وربما قد يشير هذا الإقناع إلى فعل المحاججة، والتأكيد على صحة قضية ما من خلال الشهادة المأثورة، فالشاهد يمثل لبعض الحجج الجاهزة غير الصناعية التي قد يعبر عنها في الخطابة العربية من طريق «تضمين الآيات القرآنية والأحاديث وأبيات الشعر والأمثال والحكم، وهي حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة الناس عليها وتواترها»[٢].

ومن هنا يرتبط الشاهد بمستوى تداولي إقناعي تؤثر فيه مقصدية المتكلم على النحو الذي يمكن معه النظر إلى الشاهد على أنه فعل كلامي أو وحدة خطابية ذات علاقة بتنظيم الخطاب، ولها أيضاً علاقة بالمستوى النحوي الخاص بهذا التنظيم[٣] في ظل اعتبارات تؤكد على ضرورة اتساق متوالية الأفعال المكونة للخطاب، وتؤكد كذلك على أن الخطاب في نهاية الأمر يتشكل وفق مقصدية منتجيه.

وعلى ذلك فإذا كانت الدلالة الخاصة بالألفاظ والعبارات تتعلق بالقواعد والاتفاقات المتواضع عليها، فإن الطبيعة العامة لمثل هذه القواعد والاتفاقات لا يمكن أن تفهم في آخر الأمر إلا بالرجوع إلى قصدية

---

(١) ابن سينا تحقيق محمد سليم سالم ١٩٥٤، ص٩.

(٢) د. محمد العمري (١٩٨٦): ص ٦٥.

(٣) لمزيد من البيان بشأن هذه العلاقات انظر: *C. Kroon & M. Hannay (2005)*

التواصل[١]. إن الاستشهاد بوجه عام هو إضفاء القبول على فكرة ما باللجوء إلى حدث قديم واقعي أو خرافي أو أسطوري أو منتم إلى التراث الأدبي أو حدث صناعي احتمالي أو خيالي، فتسلك هذه الفكرة أو الواقعة ضمن نفس الخيط الذي يسلك فيه الحدث القديم أو الموروث فنعتبرهما معاً يندرجان ضمن نفس الصنف من الوقائع[٢].

وأحسب أن إمكانية أن تسلك الفكرة الجديدة والموروثة معاً طريقاً واحداً لابد له من مسوغ يشير إلى مشروعية هذه الإمكانية، وذلك في ظل التعدد الذي ترتسمه مصادر هذه الأفكار، من هذه المسوغات أن تكون «الواقعة القديمة التي نسند بها الشاهد... واضحة ومعروفة ومقبولة أو احتمالية»[٣] إلا أن هذه الشروط قد تبدو واحدة فقط من مجموعة مسوغات، فإذا كانت المقبولية والمعرفة المشتركة التي تجمع صاحب الشاهد ومتلقيه ذات دور فاعل في عملية التلقي، فإن نقاط الالتقاء بين الفكرتين تقوم وفق وسيلة أخرى تعضد من ممارسة الاستشهاد تتمثل في «التأويل».

فالإنسان يضفي على العبارات بعض الخصائص والدلالات التي ترشحها أن تتشابه مع عبارات أخرى، ولما كانت العبارات وليدة سياقات محددة، فإن المتكلم ينتقل بين هذه السياقات عبر هذه العبارات؛ ليدل بذلك على علاقة تجمع بين هذه السياقات، وربما يلعب التشبيه هنا دوراً فاعلاً في عملية الربط هذه، إذ إن المشابهة بين سياقين قد تستدعي إيراد عبارة محددة تجمع بينهما بشكل محدد؛ وعليه يجوز قطع هذه العبارة من سياقها وانسلاخها عنه وإيرادها في السياق الجديد لعلة المشابهة.

---

(١) انظر حول مصطلح قصدية التواصل، والفروق التي تقع بين القصديين وبين أصحاب نظرية الدلالة الصورية الشكلية ستروسن ترجمة عبد القادر قنيني (٢٠٠٠) ص ٨٠ وما بعدها.

(٢) د. محمد الولي (١٩٩٨): ص ٩٣.

(٣) نفسه.

الشاهد والتشبيه:

يقول أحد الباحثين: «إن التشبيه يمكن أن يستخدم كأداة توضيح في قول ما إلا أن دوره يكون أحيانا مستهدفاً توصيل الإحساس، وقد كانت البلاغة القديمة (معتادة) على إقامة تمييز بين هذين النوعين من التشبيهات: إن أحدهما خطابي في حين أن الآخر شعري، الأول المقدم كشاهد ولأجل العقل هو نوع من الاستقراء المستخدم في الاستدلال، والثاني يقدم لتنوير الشيء وتلوينه وتزيينه»[(1)].

وبناء على هذا فإن الاستشهاد يقوم على آليتين تختلف درجات ظهورهما داخل الموقف التواصلي، أولهما: آلية الاقتطاع والإدراج، وثانيتهما: المشابهة، وتشكل الأولى منهما الفعل الخاص بعملية «الاقتباس والتضمين»، أما الثانية فتمثل للوحدات التي تتشكل منها «المناسبة» التي تجمع بين المتشابهين، ولعل المناسبة والتشابه هما محور عملية الاستشهاد، فإذا كان الشاهد عبارة لغوية تشير إلى نص مصدر، فإن تضمينها داخل موقف اتصالي - يختلف عن هذا النص وسياقه - يجعل الفكر ينحو باتجاه تأويل محدد لا يتوقف عند الحدود الدلالية الخاصة برموز هذه العبارة بل يتجاوز هذه الحدود إلى سياق النص المصدر ثم يعود مرة أخرى وقد اكتشف أبعاداً أخرى تصب بعيداً عن مجرد الدلالة الحرفية لمثل هذه العبارة.

وما سبق يعنى أن تفسير عبارة الاستشهاد يحتاج إلى العودة إلى السياق التي وردت فيه للمرة الأولى؛ وإلى سياق الموقف المتضمن لهذه العبارة كي نستطيع تأويلها وتحديد دلالتها. هذه الحركة من العبارة إلى السياق، ومن السياق إلى العبارة تأتي وقد جعلت المتلقي مزوداً بدلالتين مختلفتين أو متفقتين بينهما خيوط دقيقة للالتقاء تختلف درجة وضوحها باعتبار علاقة المتلقي بهذين السياقين.

---

(1) نفسه ص ٩٥، وما بين القوسين تصحيح لكلمة *[متعودة]* التي وردت في النص الأصلي.

الشاهد والاستعارة:

إن عبارة الشاهد بعلاقاتها هذه يمكن النظر إليها وكأنها تنطوي على ما يمكن تسميته بـ«الأداء المجازي» حيث إن طبيعة موضوعات هذه العبارة في سياق تختلف عنها في سياق آخر برغم إمكانية المشابهة، فقد «يستعار لمقام مقال مشابه، ذاع واشتهر في مثله، كقولهم: قطعت جهيزة قول كل خطيب، أو لا تجني من الشوك العنب، إذا قيل في موقف مماثل لما وضع له أصلا برغم تباعد الزمن، وانقضاء المقام الأصلي الذي قيل فيه»[1].

ولما كانت المشابهة إحدى محاور عملية الاستشهاد، فإن المشابهة تشير إلى الطابع الاستعاري الذي تتضمنه عملية الاستشهاد، ومن بين النقاط التي يتفق فيها الاستشهاد مع الاستعارة أن كليهما يرد بشأن توصيف حالة محددة من العالم حولنا، ومن جهة أخرى كلاهما يعبر عن ارتحال من مجال ومدى دلالي إلى مجال ومدى آخر مختلف تماماً.

ولعل للشاهد معنى محدداً في إطار السياق الذي ولد فيه يشبه المعنى الحرفي في حالة الاستعارة؛ وعليه يقرأ الشاهد في نص المصدر عبر الدلالة التي تنبع من تفاعل مكوناته ودلالة النص والسياق الذي يتضمنه، فإذا نقل الشاهد إلى سياق آخر فإن تأويله ضمن هذا السياق الجديد يتقاطع في نقاط عديدة مع تأويل الاستعارة.

فإذا كان المعنى الحرفي إذا فهم استعارياً يغدو غير معقول، فإن عبارة الشاهد في إطارها الجديد إذا فهمت حرفياً تبدو منفصلة عن المتوالية الكلامية التي تحدد هذا الإطار، بل يصبح الشاهد غير ذي معنى ضمنها؛ من هنا فالشاهد يصف حالة محددة يسمح انتقالها بالتماس التماثل بينها وبين حالة أخرى يطرحها الإطار الجديد، فمن المعهود أن سلسلة ما من الكلمات تأخذ قيمة مختلفة عندما تصدر في سياق نص مختلف. ولعل المثال الذي يسوقه براون ويول يدعم بشكل جيد هذا الاختلاف الخاص بالقيمة التي

---

(١) د. عبد الواحد حسن الشيخ (١٩٩٩): ص ١٨.

تكتسبها عبارة ما حينما تصدر في سياق مختلف، فعبارة مثل: «إنه جائع الآن» عندما أصدرتها جوزيفين للحديث عن نابليون في عام ١٨٠٦ تعبر عن قضية مختلفة عن الجملة نفسها عندما استعملتها كروبسكايا للحديث عن لينين عام ١٩٢٠[١]، وعليه ربما يرسم هذا الاختلاف أحد المقاصد التداولية التي يراد التعبير عنها باستخدام هذه الجملة.

وهنا تجدر الإشارة إلى ما يسمى النموذج التداولي المعياري الخاص بعملية توليد المعنى الملائم[٢]، وفي ضوء هذا النموذج هناك ثلاث خطوات يتم من خلالها الوصول إلى المعنى المراد هي: فهم المعنى الحرفي، ثم إدراك عدم ملائمة هذا المعنى أو صحة وقوعه داخل هذا السياق، وأخيراً توليد المعنى الملائم.

ولعل الشاهد والاستعارة - على العكس من هذا - يطالبان المتلقي باستحضار سياق محدد يعمل تراسله مع السياق الذي يتضمنهما على استجلاء الدلالة، وبالتالي فالمتلقي مطالب بشأنهما بتوسيع دائرة التحليل لتشمل السياقين معاً مما يخرق مبدأ الفهم المحلى[٣]. كما أن وجودهما في سياق سلسلة كلامية معينة يعطى ذلك الإشعار بأن تغيير ما قد حصل بشأن إحدى الخصائص - على حد تعبير براون ويول - مما يتطلب تأويلاً خاصاً.

---

(١) براون ويول ترجمة د. محمد لطفي، ود. منير التريكي (١٩٩٧) ص ١٣٤.

(٢) يشتمل هذا النموذج على مقاربات كل من سيرل وجرايس، غير أن هذا النموذج يبدو في بعض الحالات من وجهة نظر رايموند جيبس وجنيفر أوبرين غير ملائم لشرح عملية توليد المعنى. لتفاصيل أكثر انظر *R. Gibbs & J. O'Brien (1991)*.

(٣) مبدأ الفهم المحلى يتلخص في القول بأن المتلقي مدعو إلى عدم إنشاء سياق يفوق ما يحتاج إليه للوصول إلى فهم معين لقول ما، وبالتالي فهو مطالب بأن يقلل من عمليات التحليل قدر الإمكان، وأن يقتصر على تكوين تصور على درجة كافية من التخصيص، يسمح له بفهم يتناسب مع ما يرى المتلقي أنه غرض القول. انظر بروان ويول ترجمة د. محمد لطفي، د. منير التريكي (١٩٩٧)، ص ٧١، ٧٣.

الباب الثاني

تداولية الاقتباس والاستشهاد

دراسة تطبيقية

يمكن للاقتباس أن يكيف، أن يدمج، ويزيف سواء أعيدت صياغته على نحو خاطئ أو صحيح أم لم تعد هذه الصياغة، أن يركم، ويحمي، أو أن يخضع.

(إدوارد سعيد)

الباب الثاني
تداولية الاقتباس والاستشهاد
دراسة تطبيقية

تمتاز عبارة الاستشهاد داخل الخطاب بكونها تنطوي على دائرتين تواصليتين؛ فالمتكلم صاحب العبارة هو في المقام الأول متلق لهذه العبارة وباث لها في ذات الوقت إلى متلق آخر، فهو إذ يقتبس هذه العبارة من نص أو خطاب سابق أو معاصر يكون متلقيا لهذا النص، ثم ينقل هذا إلى شريكه في التواصل، ولعل الطبيعة الاقتباسية للعبارة تجعل لها موضعا مميزا داخل الخطاب، ووقعا مختلفا عن بقية عبارات الخطاب مأتاه إلى جانب ما سبق الأداء المجازي الذي يتشح به تفسير هذا النوع من العبارات.

ولما كانت الحركية التواصلية للعناصر المكونة للجملة داخل المنظور الوظيفي تشير إلى أنه «في وسع عناصر الجملة أداء وظيفتها من خلال إبرازها المعرفة التي تستثيرها تلك العناصر ضمن منظور الأهمية أو الجدة»[1]، فإن أمر تلك العلاقات التي تربط بين هذه العناصر داخل الجملة، وتربط الجملة بكل من المتكلم والمتلقي وبسياق التواصل بينهما ينعكس على بعض الجوانب الخاصة للتفاعل بين النحو والإعلامية ومقامات الاتصال حيث يبدو أن مجرد وضع المواد في قطاعات التركيب والجمل المتقدمة أو المتأخرة يوحي بالأولويات النسبية ودرجات الإعلامية للمحتوى التحتي الذي تستند إليه[2] كل جملة من هذه الجمل.

---

(١) بوجراند وآخرون (١٩٩٢): ص ٤٥.

(٢) السابق ص ١١٣.

وتنقسم بنية العبارة على نوعين من البنى:

الأول: البنية الثيماتكية، وهي البنية الخاصة بالمستوى النحوي للعبارة، حيث تتكون من ركنيين هما: الموضوع والمحمول، وهذه البنية موجهة من قبل المتكلم كما يرى هاليداي، إذ عندما ننظر إلى العبارة كرسالة فإن هذه البنية تكون بنية دلالية فيها يعمل الركن الأول كنقطة تحول للرسالة إذ إنه الأمر الذي تتعلق به(١)، أما بقية الرسالة فهي الركن الثاني الذي يتم تطويره بناء على الركن الأول(٢).

النوع الثاني: بنية المعلومات، وتتكون من ركنيين هما: المعطى، والجديد، وهذه البنية خاصة بالمتلقي(٣).

ومن خلال هذه العلاقة التي تقوم بين النحو والإعلامية ومقامات الاتصال يبدو أن ورود عبارة الاستشهاد على هيئة تركيبية محددة في موقع محدد من الخطاب تصاحبه - في بناء هذا الخطاب - مجموعة أخرى من العبارات التي ترتبط به يعد أساس النظر إلى درجة الحركية التواصلية لهذه العبارة؛ فالحركية التواصلية لهذه العبارة تكمن في الدور الذي تلعبه هذه العبارة داخل متوالية العبارات التي يتكون منها الخطاب، والعلاقات التي تربطها بوحدات هذه المتوالية، وعلاقة العبارة بتنمية الحالة المعرفية للمتلقي أو التعديل فيها(٤).

ومن خلال اعتماد البنية الثيماتيكة وبنية المعلومات الخاصة بعبارة

---

(1) adapted from M. A. K. Halliday (1994): P299,37.

(2) adapted from W. Chafe (1994): P.164.

(3) see M. A. K. Halliday (1994): P.299.

(٤) تنظر الدراسة إلى الحدث التواصلي على أنه ينطوي على مضاهاة الصلاحية الإدراكية واللغوية للمتكلمين، ورغبتهم في تبادل الأخبار، والرغبة الجلية أو الخفية في إثارة وتعديل تصرفات محددة ومواقف بينهم، انظر: ماريا دل كارمن ترجمة د. خالد سالم، ص ٢٤٨.

الاستشهاد، فإن وضع هذه العبارة داخل الخطاب وإمكانية النظر إليها كوحدة خطابية يستتبعه فحص جوانب العلاقة بين بنية المعلومات التي تحملها هذه العبارة وبين بنية الوحدات الأخرى التي يتكون منها هذا الخطاب، وفحص هذه الجوانب في ظل علاقتها بسياق هذا الخطاب ومنتجيه، وكنتيجة لهذا الفحص يتم بيان العلاقة التي تربط بين عبارة الاستشهاد وغرض الخطاب من جانب، ومن آخر يتم الكشف عن دور هذه العبارة في تنمية وتقدم الخطاب.

والجدير بالذكر أن المسألة هنا ليست مسألة قياس للخطاب على الجملة، وإنما هي مسألة العلاقة التي تربط بين عناصر العبارة من جانب وعناصر الخطاب من جانب آخر، ففي هذه العلاقة تكمن الحركية التواصلية للعبارة داخل الخطاب، أو أن هذه العلاقة تعبر من وجهة أخرى عن مسلك العبارة وحركيتها التواصلية إذ تتبنى الدراسة في هذا رأي دورانتي الذي يرى أن مظاهر الجملة وسماتها المختلفة إنما تفسر تفسيرا جيدا من خلال دراسة استخدامها داخل الخطاب(١).

ولعل الأساس التداولي لهذا النوع من العبارات يقتضي أن يرتبط ارتباطا وثيقا بعملية التواصل على النحو الذي يتيح التعامل معها ومن ثم تحليلها على أنها رسالة لغوية تنطوي كغيرها من الرسائل على درجات حركية تواصلية محددة غير أن دور ووظيفة هذه العبارة داخل الخطاب هو ما يعبر بشكل دقيق عن هذه الحركية لكامل عناصر العبارة.

فإدراج مخصوص لعبارة تنطوي على بنية ثيماتكية محددة بعناصر مخصوصة – وفق طبيعة الاقتباس – داخل الخطاب إنما يعيد طرح قضية العلاقة بين موضوع الجملة وموضوع هذا الخطاب الذي انتهي البحث فيه

---

(1) A. Duranti (1985): P.193.

وتعود هذه الرؤية إلى مالينوفسكي إذ عد الكلام وسيلة ضرورية للتواصل، وأداة لخلق الروابط الاجتماعية، وقال بالخاصية التداولية للغة. *see Malinowski,1972: P. 147 , 152*

إلى أن موضوع الجمل يحدد توزيع المعلومات داخل التتابع الخاص بهذه الجمل، في حين تبدو موضوعات الخطاب من خلال البنية الكلية أو التنظيم الكلي للمعلومات التي يتضمنها الخطاب؛ ومن ثم فإن درجة الحركية التواصلية لعناصر الجملة تكون قد انخفضت أو زادت في ظل مجموع المعلومات التي يطرحها الخطاب بكامل تتابعاته[1].

فوضع عبارة الاستشهاد داخل الخطاب إما أن يستثير مجموعة من المفاهيم أو الوحدات الدلالية التي تجرى عليها عملية تنمية داخل الخطاب مما يجعلها عنصرا حركيا يسيطر بدرجة ما على تشكلات بنى الخطاب، وإما أنها تسوق مجموعة من العناصر التي لا يجري تطويرها، ولكل نوع من هذين دلالته وأبعاده.

لنقل إن ما سبق يصدق كذلك على بنيات أخرى غير عبارة الاستشهاد، ولكن عبارة الاستشهاد تتماز عن هذه البنيات من خلال اتصالها بسياق آخر غير سياق الخطاب أو باستدعائها لسياق مختلف، مما يجعل الوضع أو الهيئة الخاصة بها داخل الخطاب تختلف عن غيرها من العبارات. فالفرق بين تعبير ما يحمل علامة اقتباس أو يشير إلى كونه مقتبسا وتعبير آخر لا يحمل هذه العلامة ولا يشير إلى طبيعة اقتباسية عبر عناصر مميزة يتكون منها، هذا الفرق ينعكس على طبيعة القيم الدلالية التي يتخذها كل تعبير منهما داخل السياق التواصلي، فكلاهما له منحى مختلف داخل الخطاب.

ومما سبق يمكننا الإشارة إلى أن تحليل عبارة الاستشهاد بهدف فحص حركيتها التواصلية داخل الخطاب الذي يتضمنها يقتضي بحث ثلاثة عناصر، لها دورها المهم في تحقيق مثل هذا الهدف، وهذه العناصر هي:

---

(١) تناول فان دايك مثل هذه العلاقة بشكل مستفيض في: فان دايك: ترجمة عبد القادر قنيني (٢٠٠٠) ص ص ١٦٣ : ١٧٩، و ص ص ١٨٥ : ١٩٨، وفى *T. A. van Dijk (1977a)*

أولاً: السياق

الحقيقة التي لا غنى عنها في هذا المقام هي أن للسياق دوراً فاعلاً في بيان واستنتاج المظاهر الدلالية والتداولية لأية عبارة لغوية، ومن المعروف أن عبارة الاستشهاد تستدعي سياقها المصدر الذي تشكلت لوحداتها فيه دلالات مميزة واضحة في ذهن المتكلم الذي يسوق هذه العبارة، ومن خلال رقابة المتكلم وقدرته على رصد عناصر التشابه بين العلاقات الدلالية والمفاهيم التي يطرحها هذا السياق وبين علاقات ومفاهيم مشابه أو حتى مختلفة داخل سياق الخطاب يستطيع المتكلم أن يجعل ورود العبارة مناسبا؛ ومن ثم يكون تحليل هذا السياق فاعلا في رصد الدلالات المميزة لوحدات العبارة، ومن ثم فإن تحليل سياق الخطاب يشير من جانبه إلى الدلالات الجديدة التي تتخذها هذه الوحدات.

إن فحص سياق الخطاب يرتبط بدرجة كبيرة بالمسار الخاص بإمكانية التعرف على «الإطار» الجديد الذي قد ترد فيه العبارة؛ فهو يحدد من جهة الدلالات المميزة لوحدات العبارة، ومن جهة أخرى الغرض التداولي الخاص بها، وذلك من خلال توفيره مجموع المعلومات التي من خلالها يستطيع المتلقي أن يتعرف على الفعل الكلامي أو القوة الإنجازية لهذه العبارة داخل سياق الخطاب[1]، وعلى كيفية الوصول إلى استنتاج سليم بشأن هذه الأبعاد من خلال العلاقة التي تجمع بين السياقين.

ومما سبق يمكن القول إن السياق الخاص بهذا النوع من العبارات يمكن النظر إليه من زاويتين، الأولى: هي النظر إلى هذا السياق كحدث خطابي يشتمل على ذلك التبادل اللفظي بين المتكلم والمستمع، ومن زاوية أخرى يكون النظر إلى هذا السياق من خلال المحتوى اللغوي الذي يتيحه هذا التبادل. ومن هنا يمكن التنبيه على أن تحليل السياق المصدر والآخر البديل عبر اشتراكهما في عبارة وردت في كليهما لا ينفصل والحال هذه

---

(١) حول العلاقة بين الإطار والسياق والغرض التداولي انظر *T. A. van Dijk (1977b): P.217ff*

عن تحليل العبارة نفسها وعلاقاتها داخل الخطاب؛ إذ إن الزاويتين السابقتين بينهما ترابط وثيق، فليس هناك تبادل لفظي بدون محتوى لغوي، والمحتوى اللغوي هذا أحد المظاهر التي تمثل المعلومات الخاصة بالعبارة.

ثانيا: العبارة

تمتاز العبارة بوجه عام داخل التفاعل بالعديد من الخصائص التي عكف عليها الدارسون من أجل تطوير مسار جديد في دراسة اللغة؛ فبينت إحدى الدراسات أن العبارة داخل التفاعل ينظر إليها على إنها إنجاز تفاعلي يقوم به المشاركون داخل التفاعل، هذا الإنجاز ينعكس أثره على رؤية مظاهر التركيب التفاعلي[١]، فدراسة التفاعل ودراسة اللغة بينهما اعتماد متبادل؛ إذ تشارك الأولى في فهم البنى اللغوية والعكس صحيح، ويؤدي بيان هذا الاعتماد وكيفياته إلى تطوير ما يمكن أن يسمى باللسانيات التفاعلية[٢]، وبالتالي فإن العبارة تمثل أحد المظاهر اللغوية التي يمكن من خلالها تحليل الخطاب، ويتم النظر إليها داخله على أنها طريق للبحث عن شكل أفضل للتعبير[٣].

ومن هنا يمكن اعتماد عبارة الاستشهاد وغيرها من العبارات ذات الصلة وحدة أساسية في تحليل الخطاب حيث تطرح داخل الخطاب مجموعة من الدلالات والمفاهيم والعلاقات التي يتم بحثها من خلال التعرف على خصائص هذه العبارة: التركيبية، والإحالية، والدلالية، والتداولية التي تظهر خلال الخطاب وعلاقاتها بالوحدات الأخرى، حيث لا يتم فصل بيان هذه الخصائص عن الإطار التواصلي ومحاولة فهم دور العبارة داخل سياق التواصل، ولعل بيان هذه الخصائص يفيد في التعرف على السبب الذي من أجله تم توظيف هذه العبارة داخل هذا السياق.

(1) see Gene H. Lerner (1991): P.441.

(2) see S. A. Thompson & E. Couper-Kuhlen (2005): P.481f.

(3) see Dimitrios Thanasoulas (2005): P.26.

ثالثا: التماسك

في ظل ما يشار إليه من أن بناء وتصميم نظرية عن تماسك النص أو الخطاب يرنو إلى تحقيق أحد هدفين، أولهما إنشاء نظرية عن الفهم تشرح الكيفية التي يكون بها الخطاب مفهوما، وثانيهما إنشاء نظرية خاصة بعملية تطور الخطاب تتكفل بشرح الحدوس الخاصة بالتشكيل التام لهذا الخطاب ومدى مقبوليته وملاءمته(١)، فإن استكشاف المظاهر الدلالية والوظائف التداولية الخاصة بمنطوقات الخطاب يعمل على تبيان الكيفية التي يكون بها الخطاب مفهوما.

أما عن عملية تطور الخطاب فيمكن القول بأن معنية التطور تتلخص في انبثاق الموضوعات التي يتضمنها الخطاب على نحو مترابط تكفل بيانه مجموعة العلاقات التي تربط بين هذه الموضوعات وسياق الخطاب، فشارلز جودوين يرى أن الحديث عن موضوع محدد يمكن أن يتم بأن تقسم منطوقاته على موضوعات بديلة ذات صلة، بعضها أكثر فاعلية في مجال استمرارية الخطاب من البعض الآخر(٢).

---

(1) see D. Wilson (1998): P.57.

(2) adapted from C. Goodwin (1986): P. 284.

وقريب من هذه الرؤية تلك المعالجات الخاصة بالاستمرارية*Continuity* داخل الخطاب، حيث اقترح *Feng-fu Tsao 1979; 1988; 1990* [فيما يقتبسه *Kawai Chui 2002*]مصطلح «*Topic Chain*» الذي يشير إلى مجموعة من الجمل التي تشترك في موضوع واحد، وجعل *Tsao*مثل هذه الجمل وحدة أساسية للخطاب. من جانب آخر ومن أجل مناقشة استمرارية الخطاب اقترح *T. Givon 1983* مفهوم "*Thematic Paragraph*»، وهى الفقرة التي يستمر خلالها كل من الموضوع والحدث والمشاركون، ولقد وظف *Kawai Chui 2002* مفهوم *Topic Chain* من أجل مناقشة موضوعات المحادثة، وكيفية بنائها، والعلاقات الدلالية بين المنطوقات، وقد عرفه *Chui* بأنه عدد من الموضوعات المترابطة دلالياً *Semantically-Connected* والتي تدور جميعها حول موضوع *Theme*واحد. .*see Kawai Chui (2002).*

ونرى عملية التقسيم هذه ذات تأثير كبير على مجرى التأويل الذي يتكفل به متلقي هذه المنطوقات، فالمتكلم بطبيعة الحال قد يركز انتباهه فقط على موضوع محدد من الموضوعات أو المفاهيم التي يطرحها المنطوق؛ فيقوم بتنميته، وقد يحدث خلال عملية التنمية هذه أن تبرز موضوعات يجري التقدم بها داخل الخطاب أو يتم التغاضي عنها في ظل ما تقدمه بنية الخطاب من معلومات[1]، فقد رأى سوفنسكي أن حبك الجمل والمنطوقات مشروط بأن تتصل المعلومات التي تقدمها «في إطار نصي أو موقف اتصالي اتصالا لا يشعر معه المستمعون أو القراء بثغرات أو انقطاعات في المعلومات»[2].

أما مقبولية الخطاب وملاءمته فتبدو واضحة من خلال النظر إليه كعمل يسمح بتداخل كل من الفعل والتفاعل بالمعنى الذي يسير به هذا الخطاب نحو التكيف مع السياق الذي يتضمنه أو نحو اكتشاف الحقائق العملية في استعمال اللغة[3].

وتعتمد الدراسة هنا ثلاثة مفاهيم من أجل بحث مظاهر التماسك الخاص بهذا النوع من العبارات:

---

(١) لمزيد من تفاصيل العلاقة الوثيقة بين الخطاب وبنية المعلومات انظر:

G. McKoon, G. Ward, R. Ratcliff and R. Sproat (1993): P.56ff.

Kruijff-Korbayova & M. Steedman (2003): P.2ff.

(٢) نقلا عن د. محمد العبد (٢٠٠٢): ص ٥٥.

(٣) يقول بوجراند: «ولست أستطيع أن أرى كيف يمكن للاعتبارات العملية أن تتقدم ما لم نقصد إلى اكتشاف الحقائق العملية في استعمال اللغة». انظر بوجراند ترجمة د. تمام حسان (١٩٩٨) ص ٣٨٠، و د. عفاف البطانية (٢٠٠٢) ص ٧٠ وما بعدها.

العلاقات الدلالية والتداولية:

= المفهوم الأول هو العلاقات الدلالية والتداولية الذي قدمه فان دايك، وهو يقوم بالأساس على بيان العلاقات الدلالية التي تربط بين عبارات تقع في سياق خطاب محدد، كما يهتم برصد العلاقات التداولية التي تعبر عنها منطوقات وجمل هذا الخطاب.

والنوع الأول من العلاقات يربط بين الجمل التي تقع داخل خطاب متماسك، بينما يربط النوع الثاني بين الأفعال الكلامية، وقد بين فان دايك أن تحليل هذه العلاقات يتطلب أولا أن ننظر إلى قضية ما يطرحها المنطوق، ثم نحاول أن نميز دورها داخل التتابع بطريقة نظامية، ومن ثم نوضح علاقتها في ضوء تصنيف محدد يعبر عن هذا الدور، على الجانب الآخر تكون علاقات الربط ذاتها هي ما تسمح بمثل هذا التصنيف، على سبيل المثال تتطلب وظيفة «الشرح» أو «النتيجة» الترابط الشرطي المعتاد الذي يحدد التماسك الداخلي للمنطوقات[١].

كما أشار فان دايك إلى أن الوظائف الدلالية للمنطوقات داخل النصوص تقع أيضا على المستوى التداولي، ففي بعض الحالات يصبح التفريق بين الوظيفة الدلالية الخالصة والوظيفة التداولية الخالصة غير واضح، ولكنه ممكن فقط في التفرقة النظرية بين القضايا وأفعال الكلام، ويوضح فان دايك أن الوظائف التداولية داخل المحادثة تمتلك وظائف استراتيجية[٢]. وعلى ضوء امتلاك بعض المنطوقات داخل الخطاب لوظائف استراتيجية تتحدد على ضوء النوايا والأهداف التي يسعى المشاركون إلى تحقيقها، فإن هذه الوظائف قد تتحدد على نحو واضح إذا ما وظفنا لها مفهوم الخطة *Plan* الذي يقترحه روبرت دو بوجراند من أجل

---

(1) see van Dijk (1980): P.64.

(2) van Dijk (1980): P.64.

وصف الخطاب كأحد أمثلة التخطيط التفاعلي[١].

الأزواج المتجاورة:

= أما المفهوم الثاني فهو الأزواج المتجاورة الذي قدمه إيمانويل شيجلوف في إطار بحثه عن مظاهر التماسك التي تترابط من خلالها منطوقات المحادثة.

قدم شيجلوف مصطلح «العلاقة الشرطية» كي يصف العلاقة التي تربط بين دورين متعاقبين داخل المحادثة، ويشير هذا المصطلح إلى أنه إذا كان وقوع المنطوق *A* متصلا بطريقة شرطية بوقوع المنطوق *S* فإن وجود *S* يستدعي بالضرورة وجود *A*[٢]، وتقترح سيسيليا فورد وساندرا ثمبسون أن فهم حقيقة الأدوار والوحدات التفاعلية داخل المحادثة يتم على ضوء النظر إلى المقترحات التي نتجت عن دراسة ساكس وآخرين ١٩٧٤، وتتلخص هذه المقترحات في القول بأن أي منطوق معطى لابد أن يتشكل داخل المحادثة عبر ثلاثة مظاهر هي:

أولا: لابد أن يعرض الدور نفسه كي يبدو متصلا داخل الفراغ الذي سوف يملؤه؛ ذلك أنه لابد وأن يتناسب والتتابع الذي يقع فيه.

ثانيا: لابد وأن يشكل مساهمته الخاصة به.

ثالثا: لابد وأن يقدم السياق المناسب للدور التالي الذي يشكله مشارك آخر[٣].

هذه المظاهر الثلاثة تعكس لنا قدرا كبيرا من العلاقات التي تنشأ بين الأدوار داخل إطار الخطاب، ويمكن أن نستنتج منها أن الدور الذي يقدم سياقا مناسبا للمنطوق الذي يتبعه يقيم مع هذا المنطوق علاقة

---

(١) بوجراند وآخرون (١٩٩٢) ص ١٧٠.

(2) see Schegloff (1972): P.76.

(3) See C. E. Ford & S. A. Thompson (1996): P.166.

محـددة[1]؛ ذلك أنه فيما يتشكل المنطوق الأول يبدو المنطوق الثاني متصلا ومتوقعا.

شيجلوف في دراسته لتنظيم التتابعات داخل المحادثة كأحد مصادر التماسك[2] والترابط بين منطوقات المحادثة ذكر أن مفهوم الأزواج المتجاورة يستخدم في المحادثة بالطريقة التي تقترح أن يكون مفهوما على أنه يشير إلى علاقات الموضوع داخل خيط المنطوقات المتعاقبة التي تتحدث عن شيء واحد أو أشياء ذات صلة، ووظف شيجلوف هذا المفهوم كوحدة أساسية في بناء التتابعات داخل المحادثة، وهذه الوحدة تتكون في صورتها الأساسية من دورين متعاقبين لمتحدثين مختلفين يقع أحدهما أولا وهو [الطرف الأول من الزوج *First Pair Part (FPP)*] كالسؤال والطلب والعرض والدعوة والاستدعاء والإعلان... الخ، ويقع بعده الجزء الثاني من الزوج [*Second Pair Part (SPP)*] كالإجابة والمنح والرفض والقبول... الخ.

وينبه شيجلوف إلى أن بعض الأدوار قد تتم توسعتها بأشكال مختلفة، فهناك:

- ❖ توسعة تمهيدية *Preexpansion* وهي التي تسبق *FPP*.
- ❖ توسعة مدرجة *Insert expansion* وهي ما يقع بين *FPP* و *SPP*.
- ❖ توسعة بعدية *Pastexpansion* وهي ما يقع بعد *SPP*.

ويلمح شيجلوف إلى أن الأدوار التي تمثل هذه التوسعات هي بذاتها أدوار في أزواج فيمكن اعتبارها *FPP* وبالتالي اعتبارها *SPP*، فالتتابعات التمهيدية والبعدية هي تتابع وزوج في حد ذاتها. أما التوسعة المدرجة فتتميز بكونها توضيحا للجزء الأول للتتابع *FPP* يضم مجموعة من المعلومات الأساسية التي يتشكل على ضوئها الجزء الثاني *SPP*. وعلى الرغم من بروز كثير من الروابط المعجمية والدلالية التي تربط بين دورين في تتابع واحد

---

(1) See P. C. Gago & S. E. Silveira (2006): P.87.

(2) see E. A. Schegloff (1990).

كـزوج من الأزواج المتجـاورة إلا أن التتـابع في حـد ذاته يعـد أوثق ربطا بين طرفيه، وتعد هذه النتيجة هي الموضوع الرئيس لبحث شيجلوف.

ولعل هذه الطريقة كما بينها شيجلوف وساكس تعمل من أجل إنتاج التتابعات المتصلة في اتجاهين: الأول تجزئة أنماط المنطوق على جزأين: الجزء الأول من الزوج، والثاني الجزء الثاني من الزوج، ثم تدمج الجزأين معا من أجل صياغة نمط الزوج، وبالتالي فإن من أهم خواص الأزواج المتجاورة أنها متصلة من حيث ترتيب الأجزاء، وذات علاقات مميزة إذ يتصل الجزء الأول من الزوج باختيار محدد للأجزاء التالية[١].

ولكن السؤال الأكثر اتصالا بهذا الموضوع هو ما صاغه شيجلوف وساكس على النحو التالي: لماذا نحتاج إلى منطوقين ؟ أو لماذا يمكن لمنطوقين تم إنتاجهما بواسطة متكلمين مختلفين أن يفعلا ما لا يفعله منطوق واحد ؟، ومن الإجابات التي وردت أنه عبر موقع الجزء الثاني يستطيع أن يعرض المتكلم فهمه لما قصد إليه المنطوق الأول[٢]، ويمكن للمتكلم أن يرى ما إذا كان ما قصده قد تم فهمه بالفعل أم لا، أو أنه قد تم قبوله أو لم يتم، فالمنطوق الثاني برأي شيجلوف وساكس هو المكان الذي يسمح ببيان مثل هذه الأشياء، وأن تتابع منطوقين يمكن أن يوظف كوسيلة لفحص بعض التضمينات التتابعية المقصودة بطريقة لا يمكن فيها لمنطوق واحد من التتابع أن يفعل مثل هذه الأشياء[٣].

التداخل:

= المفهوم الثالث هو مفهوم التداخل الذي قدمته مارسيل دانيس في إطار محاولة الوصول إلى المظاهر السيميائية التي تلعب دورا فاعلا في

---

(1) E. Schegloff & H. Sacks (1973): P.296.

(2) See Ibid., P.297.

(3) See Ibid., P.298.

عقد الصلات بين مقولات معينة داخل المحادثة تترابط بشكل متداخل من طريق الإيحاء، حيث أشارت إلى أن معنى المحادثة يمكن تحديده من خلال مجموعة من الدوائر المتداخلة مع بعضها البعض من طريق الإيحاء، ويشير مبدأ التداخل هنا إلى أن ثمة بعدا إيحائيا للبنى التي تتكون منها المحادثة يسهم في الكشف عن المعنى داخل سياق الخطاب، فاللفظ الموحى يقترح موحيا آخر بدوره يقترح الثالث وهكذا، وتعتبر القدرة على سبر غور هذه الدوائر الإيحائية مصدر الحالة الخاصة بتدفق الخطاب(١)، وهذا المبدأ يسهم من جانب آخر في تقديم إطار محدد لربط ما يظهر متباينا أو متغاير الخواص من تمددات المحادثة مع بعضها البعض(٢).

وعلى ضوء ما سبق نرى أن بحث التماسك في هذه الدراسة يسعى إلى اكتشاف الروابط التي تصل عبارة الاستشهاد بغيرها من عبارات الخطاب على نحو يجعل ورودها في موقع محدد من الخطاب مناسبا ومقبولا وذا دلالة في إطار علاقاتها الأخرى بمنطوقاته وتتابعاته.

وتقيم الدراسة تحليلها على أربعة نماذج يمثل كل واحد منها لعبارة استشهاد ذات مصدر نصي مختلف، وقد نجد في أحد هذه النماذج عبارتين من نص واحد أو نصين مختلفين، ولكن ليست المسألة هنا هي تقسيم النماذج حسب أنواع النصوص، وإنما تقسيم النماذج وفق الوظيفة التداولية(٣) التي من أجلها تم توظيف العبارة داخل الخطاب.

---

(1) see Marcel Danesi (1999): P.395.

(2) Ibid., P.400.

(٣) يتم تحديد الوظائف التداولية لمنطوقات اللغة الطبيعية التي تتكون بصورة نحوية صحيحة وتكون ذات مغزى ودلالة مناسبة داخل السياق التداولي الذي يعبر عن السياق المعرفي والاجتماعي الذي تستخدم فيه هذه المنطوقات. see van Dijk (1980):P.50f

والنماذج التي تم اختيارها تشير إلى الوظائف التداولية التالية:

١. يشير النموذج الأول إلى عبارتين من نص قرآني تم توظيفهما للتعبير عن الرصد وفعل المنافرة.

٢. النموذج الثاني يمثل نص قرآني وآخر حديثي تم توظيفهما للتعبير عن فعل الرفض.

٣. النموذج الثالث ويشير إلى قول من أقوال العرب (مثل) تم توظيفه من أجل التعبير عن فعل التبرير.

٤. أما النموذج الأخير فيشير إلى نص شعري تم توظيفه للتعبير عن فعل التأكيد.

وتتخذ الدراسة من مسرحية الكاتب عبد الرحمن الشرقاوي ثأر الله مادة لها، وهي ثنائية تضم مسرحيتين هما: الحسين ثائرا، والحسين شهيدا، ويقع الجزء الأول في ثلاثة عشر منظرا تمتد من الصفحة السابعة (٧) إلى الصفحة الحادية والثلاثين ومائتين (٢٣١)، ويقع الجزء الثاني في ستة مناظر تمتد من الصفحة السابعة (٧) إلى الصفحة التاسعة والثمانين بعد المائة (١٨٩). وهذه الثنائية طبع القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، د. ت، ويرجع سبب اختيار هذه المادة إلى أسباب نوعية تتعلق بكون الحوار أحد أهم الأسس التي يبنى عليها العمل المسرحي من جانب والدرس التداولي من جانب آخر.

الفصل الأول

الاستشهاد بين الرصد وفعل المنافرة

تمهيد

يمكن أن تهدف عبارة الاستشهاد داخل الخطاب إلى رصد سلوك محدد يتم تقييمه وتقويمه من قبل مجموعة المشاركين - حسب أهمية هذا السلوك ومدى تأثيره على هؤلاء المشاركين - عبر مجموع الأنساق الاجتماعية التي تشير إما إلى صحة هذا السلوك أو عدم صحته.

ويرتبط الرصد بالمواقف والنصوص التي تعالجها؛ ومن ثم يرتبط كذلك بما يطلق عليه إدارة الموقف، يقول دو بوجراند وآخرون: «إن الحدث الخطابي الذي يغير موقفا ما يكون موجها وفقا لخطة كلما حاول منتج النص توجيه دفة الموقف صوب هدف معين، ومن الممكن أن نطلق مصطلح إدارة الموقف على هذا النشاط في حين يسمى رد الفعل البسيط على الموقف من خلال وصف القرائن المتيسرة أو روايتها رصدا للموقف»[1]، وتعليل ذلك «أن منتج النص يلحظ حادثا، أو شيئا غير متوقع، ويجعل منه موضوعة أساسية لنصه، ولهذا الأمر ناتجان: فإما أن يترك الشيء كما شوهد، أو تكتشف وسيلة ما لخفض منزلته بحيث لا يبدو معها انتهاكا للتوقعات بالرغم من كل شيء»[2].

ولكن خفض المنزلة على النحو السابق لا يحدث برأيي في جميع

---

(١) انظر بوجراند وآخرين (١٩٩٢) ص ١٧٠.

(٢) نفسه ص ٢١٢.

الحالات؛ فهناك من المواقف، ومنها الموقف الذي سنعرض له بالتحليل، ما تتم معالجته كي يبدو انتهاكا للتوقعات، ولعل الرصد في هذه الحالة يتضمن من جانب آخر وظيفة تداولية تتمثل في سعي المشاركين إلى توجيه هذا السلوك، وتتميز عملية التوجيه بطبيعتها الحركية(١)؛ إذ يتم تنميتها وتطويرها داخل الخطاب وفق مجموعة التفاصيل الخاصة ببنية العبارة ودلالاتها وعلاقاتها التي تتضح عبر دلالة التغيرات التي تخلفها على الموقف وعلى مختلف حالات المشاركين(٢).

النموذج (٣)

السياق: بعد أن كاتب أهل الكوفة الحسين بن على رضي الله عنه كي يقدم إليهم يبايعونه ويخلصهم مما وقع بهم من ظلم من قبل عمال يزيد بن معاوية، فذهب إليهم الحسين سنة إحدى وستين، فأرسل الحصين بن نمير ألفا من الفرسان بقيادة الحر بن يزيد التميمي، وقد أمرهم ألا يفارقوه وأصحابه حتى يقدموا بهم إلى الكوفة على عبيد الله بن زياد(٤).

(الحر الرياحي يظهر من الصدر في عدة حربية كاملة مع بعض رجاله)

الحر: أنا ذا الحر الرياحي أتيت

الحسين: أعلينا أم لنا.. ؟

---

(١) يهدف التوجيه إلى استقصاء طبيعة الموقف، ولا يقتضى مجرد إسداء النصح، بل هو في الواقع عملية تبادلية ونقاشية هدفها التقاء الأطراف للوصول إلى هدف معين. انظر عبد العليم عبد الفتاح مدكور (٢٠٠٥) ص ٢١٠، ص ٢٤٧.

(٢) يتم وصف أي حدث خطابي من خلال التغيرات التي يحدثها داخل الخطاب وعلى حالات المشاركين المعرفية والاجتماعية والعاطفية. انظر بوجراند وآخرين (١٩٩٢)، ص ١٦٨.

(٣) عبد الرحمن الشرقاوي: ج ٢، ص ٨-٩.

(٤) انظر ابن الأثير (أبا الحسن على بن أبى الكرم): مج ٤ ص ٤٦، ٤٧. وتجدر الإشارة إلى أن هذا السياق هو ذاته ما يعمل عليه كاتب المسرحية.

الحر: بل عليك

سعيد: **ما على الأعمى حرج**

الحر: **لست أعمى يا سعيد بن سعيد**

الحسين: **إنما تعمى قلوب في الصدور**

برير: كيف لا تبصر نور الحق يا حر وهذا الحق أنبج

أم ترى أغريت يا حر كما أغرى من قبل صديقي شيخ مذحج!؟

سعيد: أيها الحر الرياحي أتمشي في ركاب ابن الدعي أنت يا أشجع

أهل الكوفة الأحرار يا أحكم من فيها.. تضل ؟

كيف بالله يصير العيش إن كان الفتى الحر يذل ؟ !

الحر: قد سألت الله ألا ابتلى يوما بأمر للحسين

الحسين: فلماذا عمرك الله أتيت ؟

الحر: جئت كي أقدم للكوفة بك

الحسين: كيف هذا ؟.. أي مقدم ؟

الحر: (مستمر وهو يوجه نظراته بعيداً عن الحسين وعنهم جميعاً)

ولكي أحبسكم عن أن تعودوا قبل أن انتزع البيعة منك

الحسين: فهي الحرب إذن ! ؟

الحر: (لنفسه) أعفني يا رب من هذا القتال.

السياق

سياق المصدر:

لعل تبين طبيعة سياق المصدر الذي وردت فيه العبارة المقتبسة وحدوده يبدو مهما في تقرير مقصود العبارة داخل سياق الموقف، فعلي سبيل المثال إذا كان من غير المستبعد أن تنطوي هذه العبارة في سياق المحادثة على ما يسمى بالإضمار المحادثي(١) فإن بنية المعلومات الخاصة بهذه العبارة في سياقها المصدر تفيد في تقديم بعض الملامح التي يتعين بها مثل هذا الإضمار، ويتم تأويله بما يدفع متلقي هذه العبارة باتجاه استجابة [ذهنية - سلوكية] تتماشى مع مقصود المتكلم بهذه العبارة.

فانبثاق العبارة داخل الخطاب إما أن ينشئ حالة من المصالحة مع ما

---

(١) قدم هذا المصطلح في إطار أبحاث جرايس عن المعنى، وينطلق هذا المفهوم من افتراض مفاده كون الجملة وحدة التواصل، وأن معنى هذه الوحدة إما أن يكون صريحاً تدل عليه الوحدة بلفظها، أو مستلزما تدل عليه باستخدامها في موقف تواصلي معين، ولعل هذه الفكرة تتقارب مع ما ورد في إطار البلاغة العربية من تمييز بين حمل العبارة على الحقيقة وحملها على المجاز، وهى في الحالة الأخيرة تستدعى من المتلقي عملية التأويل. انظر «فصل في اللفظ يطلق والمراد به غير ظاهره» الجرجاني ص٥٦ وغيرها من المواضع. ومن أجل مناقشة مستفيضة لهذا المفهوم. *See Kent Bach (1994)*، ويقول بوجراند إن هذا المصطلح يستخدم للإشارة إلى استعمال العبارات التي يمكن الوصول إلى مقاصدها التي تنوى بمحتواها الفكري من خلال الأعراف الاجتماعية فقط. انظر دو بوجراند ترجمة د. تمام حسان ١٩٩٨ ص٤٩٧. ويحيلنا هذا إلى مفهوم آخر يتعلق بهذا المصطلح وهو مفهوم «الاستلزام العرفي» وهو ما لا ينجم عن مبادئ تداولية عليا كحكم وقواعد التخاطب، بل إنه يعود إلى المفردات المعجمية بالعرف أو بالاتفاق. انظر د. عادل فاخوري (١٩٨٩)، ص١٦٥.

يقـدمـه من دلالات، وإمـا أن تكون دلالة العـبـارة مـخـتلفـة مما يؤدي إلى المنافرة، ولعل تصور المصالحة أو المنافرة ربما ينعكس بشكل أو بآخر على استراتيجيات القبول لدى المتلقي؛ ذلك أن هذا التصور هو ناتج العلاقة التي تجمع بين دلالة العبارة ومقصودها داخل الخطاب، بحيث يكون الوصول إلى دلالة تعبر عن مقصد المتكلم يعتمد على مدى معرفة المتلقي لمثل هذه الدلالات التي ينتخب منها ما يتسق والموقف، ولكن في حالة انتفاء مثل هذه المعرفة فإن ملكات المتلقي اللغوية والاجتماعية والثقافية تكون هي الأساس في فهم وانتخاب الدلالة التي تتسق والموقف وفق هاديات سياقية محددة.

دلالة العبارة في سياق المصدر:

عبارة الاستشهاد الأولى، وهي قول سعيد بن سعيد: ما على الأعمى حرج، تشير بشكل مباشر عبر مجموعة المفردات التي تتكون منها والعلاقات التركيبية التي تجمعها إلى الآية الشريفة: (ليس على الأعمى حرج)، وقد وردت الآية في موضعين من النص القرآني: الأول في سورة النور الآية رقم واحد وستين ٦١، والثاني في سورة الحج في الآية السابعة عشرة ١٧.

ولعل ورود الآية في موضعين داخل النص القرآني يشير إلى دلالة تم التأكيد عليها عبر ورود الآية في موضعين مختلفين، أو أنه يشير إلى علاقة معينة تجمع بين دلالة الآية في موضع ودلالتها في الموضع الآخر، وسبيلنا إلى معرفة هذا هو تتبع تفسيرها في كلا الموضعين، وقد جاء في تفسير هذه الآية ما يلي:

أولاً: قال ابن عباس: لما نزلت ﴿وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما﴾ قال أهل الزمانة: كيف بنا يا رسول الله ؟؛ فنزلت ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ أي: لا أثم عليهم في التخلف عن الجهاد .... وقال مقاتل: هم

أهل الزمانة الذين تخلفوا عن الحديبية وقد عذرهم [1].

ثانياً: المختار أن يقال: إن الله رفع الحرج عن الأعمى فيما يتعلق بالتكليف الذي يشترط فيه البصر[2].

ثالثاً: أي ليس على هؤلاء المعذورين بهذه الأعذار حرج في التخلف عن الغزو لعدم استطاعتهم. قال مقاتل: عذر الله أهل الزمانة الذين تخلفوا عن المسير إلى الحديبية بهذه الآية، والحرج: الأثم[3].

رابعاً: معنى الآية نفي الحرج عن الزمني في أكلهم من بيوت أقاربهم أو بيوت من يدفع إليهم المفتاح إذا خرج إلى الغزو... وقيل: إن الله رفع الحرج عن الأعمى فيما يتعلق بالتكليف الذي يشترط فيه البصر... وقيل: المراد بهذا الحرج المرفوع عن هؤلاء هو الحرج في الغزو: أي لا حرج على هؤلاء في تأخرهم عن الغزو... [4].

والواضح أن تفسير هذه الآية يطرح مجموعة من المواقف ويعقد معها مجموعة أخرى من الجزاءات المتعلقة بها، على النحو التالي:

المواقف:

- ❖ موقف أهل الزمانة من الغزو [المسير إلى الحديبية].
- ❖ موقف أهل الزمانة من بيوت الذين خرجوا للغزو.
- ❖ موقف أهل الزمانة من التكاليف المفروضة.

---

(١) القرطبي تحقيق د. محمد إبراهيم الحفناوي، ود. محمود حامد عثمان: مج ٨، ص٥٥١.

(٢) نفسه مج ٦، ص ٥٨٩.

(٣) الشوكاني تحقيق سيد إبراهيم: ج ٥، ص ٧٢.

(٤) نفسه ج ٤، ص ٧٦.

الجزاءات:

- ❖ رفع الحرج عمن تخلف عن الغزو من أهل الزمانة.
- ❖ رفع الحرج عنهم في أكلهم من بيوت أقاربهم ممن خرجوا إلى الغزو.
- ❖ رفع الحرج عنهم في بعض التكاليف.

ولكن إذا أخذنا بعين الاعتبار سبب نزول الآية فإننا نجده يحدد من بين هذه المواقف - باعتبار وحدة الجزاءات [رفع الحرج] - موقف أهل الزمانة من الغزو والمسير إلى الحديبية.

وبالتالي فإن الدلالة النهائية لهذه الآية تتلخص في القول برفع الحرج عن الزمني إذا تخلف عن الجهاد، وباعتبار هذه الدلالة فإن الآية حجة لهم في هذه المواقف، وهي في الوقت نفسه حجة على غيرهم ممن يتمتعون بسلامة جسدية تمكنهم من المشاركة في الجهاد إلى جانب الحق.

فعل المنافرة:

بالرجوع إلى النقطة المعرفية التي عندها يكون المتكلم واثقا من مناسبة عبارته للموقف، ومن وجود قدر كاف من الاتساق بينهما، وهي النقطة المتعلقة بالمزاوجة التي ينبغي حدوثها بين كل من الملاحظة والمعرفة، وباعتبار ثلاثية روبرت دو بوجراند الخاصة بالعوامل الاجتماعية التي تحكم عملية الانتفاع بالنصوص، والتي تتمثل في (المواقف - النصوص - الوقائع)، فإن المتكلم يلاحظ الوقائع والمواقف ويختار النصوص التي يتبين له أنها على قدر من المناسبة التي تجمع بين أطراف هذه الثلاثية.

وإذا كانت العبارة هنا قد جمعت بين المواقف والنص عبر الملاحظة والمعرفة فنحن بحاجة أيضا إلى تحديد اتجاه ووسيلة هذا الربط الحاصل، والملاحظ أن اتجاه الربط يسير من الموقف إلى النص، وهذا لا يعبر عن قاعدة قارة لكل العمليات الخاصة بالاستشهاد، ولكن له هنا ما يبرره، فالحاضر في ذهن المتكلم لحظة اعتباره طرفا في المحادثة هو القضية التي

يعبر عنها بقية شركاء المحادثة، هذه القضية تطرح علاقة بين مواقفهم التي يعبرون عنها وبين نص محدد موجود في ذخيرته اللغوية والمعرفية، بمعنى أن الموقف يثير في ذاكرة المتكلم نصا محددا، ولكن عملية التحديد تتوقف على فراسة المتكلم ومدى قدرته على عقد الصلات والروابط على النحو الذي تكون به عباراته مناسبة ومتسقة مع الموقف المراد معالجته.

وفيما يخص العبارة التي نحن بصددها فإنها تربط بين المواقف والوقائع غير أن الربط هنا لا يسير باتجاه المشابهة بينهما، بمعنى أن الربط قد جاء ليخلق نوعاً من فعل المنافرة الحاصلة بشأن العلاقة بين هذه المواقف والوقائع.

فتفسير الآية يطرح مجموعة من المواقف والجزاءات الخاصة بهذه المجموعة من الناس (أهل الزمانة)؛ لذا فالربط بين مواقف هؤلاء لا يتشابه في مطلقه بمن سيقت بشأنه عبارة الاستشهاد داخل الخطاب، وبالتالي فإن ورودها في هذا الموقف ينشئ لدى المتلقي مجموعة من المسارات التفسيرية التي يحاول فيها تقليص حدة التنافر بين الوقائع التي يجب أن تعالجها العبارة.

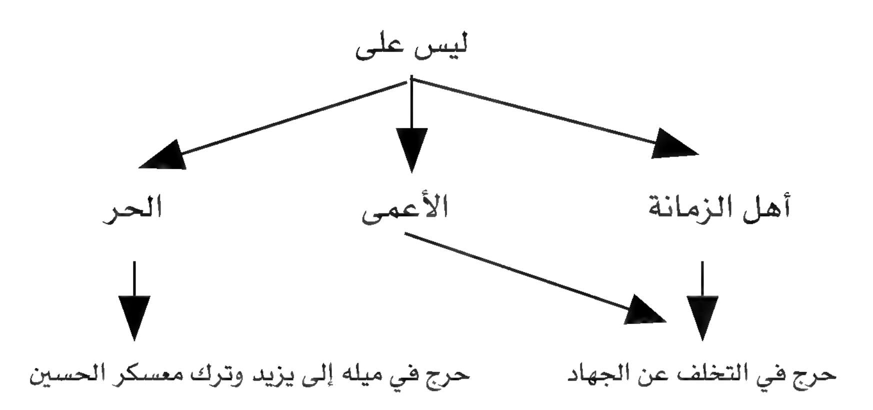
الآية: تبين موقف أهل الزمانة من الجهاد في جانب الحق.

ترفع عنهم الحرج في التخلف عن مثل هذا الأمر.

العبارة: طرحت بشأن شخصية [الحر].

الحر ليس زمنى.

رفع الحرج عنه مرتبط بتحديد موقفه من المعسكرين: الحسيني واليزيدي.



وعليه يكون لفعل المنافرة أثره الكبير في الدلالة التي تستقى من هذه الآية داخل إطار الموقف حيث اقتضت وصف الحر بالعمى ونفي الحرج عنه، ولما كان الحر قد يقاتل إلى جانب المعسكر اليزيدى، وكان الموضوع التي وردت بشأنه الآية هو الجهاد فإن العبارة ترى الحر - وإن كان بصيراً - من أهل الزمانة ليس عليه من حرج في تخلفه عن الجهاد ضمن خطوط المعسكر الحسينى الذي ينتمى إليه قائل العبارة.

ومن زاوية المنافرة يأتى فعل السخرية؛ ذلك أن دلالة العبارة لا تكمن في المستوى السطحي الخاص بها، وإنما تخفي خلف هذا المستوى معنى آخر تكشف عنه دلالة الآية مصدر العبارة، فالمتكلم حين يسوق هذه العبارة لم يكن يقصد إلى نقلها بذات المستوى السطحي أو البنية الثيماتكية التي يتناولها تأويل يهدف إلى استخراج المعنى الحرفي الخاص بهذا المستوى، وإنما قصد المتكلم إلى تفسير يعتمد على سياق سابق من شأنه أن يكون فاعلاً في طريقة الوصول بالعبارة إلى معنى كامن يتجاوز المستوى الحرفي الظاهر.

ولعل مراد الفقرة السابقة يتكشف عبر تحديدنا لطبيعة عبارة الاستشهاد بكونها عبارة تحمل معنى مجازياً يشتق بطريقة محددة من المعنى الحرفي للعبارة، ولعل وثاقة الصلة بين السياق وتأويل هذه المعاني المجازية تجعل السياق جزءاً متمما لعملية الفهم، فكأن المتكلم [سعيد بن

سعيد] يسخر من المتلقي [الحر الرياحي] عبر هذه المنافرة بين ما هو عليه وما تقصد إليه الآية.

العبارة الثانية:

عبارة الحسين: إنما تعمى قلوب في الصدور، وهذه العبارة تشير إلى قوله تعالى في سورة [الحج: ٤٦]: (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)، وجاء في تفسير هذه الآية: «(لا تعمى الأبصار) أي أبصار العيون ثابتة لهم، (ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) أي عن درك الحق والاعتبار»[(١)].

أما في سبب نزولها فقيل: «قال قتادة وابن الجبير: نزلت هذه الآية في ابن أم مكتوم الأعمى، قال عباس ومقاتل: لما نزل (ومن كان في هذه أعمى) قال ابن أم مكتوم: يا رسول الله، فأنا في الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى ؟؛ فنزلت... أي من كان في هذه أعمى بقلبه عن الإسلام فهو في الآخرة في النار»[(٢)].

وقال ابن كثير: «وقال بعضهم العمى في العين، والعمه في القلب، وقد يستعمل العمى في القلب أيضاً قال الله تعالى: (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)»[(٣)].

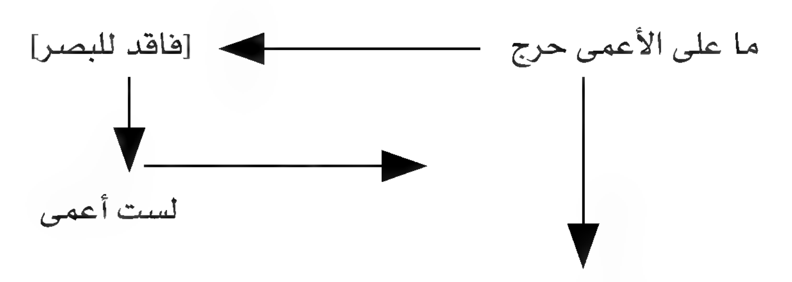
وما سبق يجعل الدلالة المقصودة بالأولى منهما عمى الأبصار، والثانية عمى القلوب عن درك الحق؛ وبالتالي تتجاوز عبارة [الحسين] الدلالة الحسية التي تطرحها عبارة [سعيد] والتي تم نفيها من جانب [الحر] إلى دلالة معنوية تشير فيها إلى أن المتلقي بانحيازه لمعسكر يزيد يكون قد عمي عن درك الحق والاعتبار.

---

(١) القرطبي: مج ٦ ص ٣٩٠.

(٢) نفسه ص ٣٩١.

(٣) ابن كثير: ج ١ ص ٥٢.



إنما تعمى قلوب في الصدور
[تفقد الحق والاعتبار]

العبارة

للعبارة داخل الخطاب مجموعة من الأبعاد الدلالية والتداولية التي لا يتم استنتاجها أو تفسيرها بمعزل عن علاقاتها بوحدات التتابع الذي يشكل هذا الخطاب، بعض هذه الأبعاد خاص بالمجال الإحالي الذي تطرحه وحدات هذه العبارة، وبعضها خاص بالمجال الدلالي، والبعض الأخير يتم بيانه عبر استكشاف الوظائف التي تؤديها العبارة داخل التفاعل والتي يحددها إطار التواصل، هذه الأبعاد ترسم صورة لما يكون عليه تعامل كل من المتكلم والمتلقي مع هذه العبارة، كما ترسم شكلا محددا لوظيفتها داخل الخطاب.

الإحالة:

بداية تشير الإشارة السيميائية داخل النموذج [الحر يظهر من الصدر في عدة حربية كاملة مع بعض رجاله] إلى استعداد الحر وأصحابه للحرب، ولكن لما كان السؤال في هذا الموقف يتعلق بالجانب الذي سوف يحارب إلى جواره، حيث توقع الحسين وأصحابه أن يستقبله أهل الكوفة بالنصرة، وها هو يرى جيشا، فقد دفعه ذلك إلى السؤال عمن يحارب إلى جانبه هذا الجيش فقال:

الحسين: أعلينا أم لنا... ؟

فرؤية الجيش تثير لدى الحسين التوقعات؛ فإنه إما أن يقاتل إلى جانب يزيد بن معاوية، وإما أن يقاتل إلى جانبه، ولكن الحر دفع بالتوقع الأخير خارج دائرة التحقق، حيث قال:

الحر: بل عليك.

ولعل هذه العبارة تهدف من جانب الحر إلى الكشف عن خطته وهدفه من اللقاء، ولكن هل يكون كشف المتكلم عن خطته وهدفه بمثابة طرح هذه الخطة للمناقشة، أو إنه يشير إلى حالة خاصة من التواصل يكون عليها الخطاب التالي.

إن هذا الكشف نجم عنه تصنيف الحر ورجاله كمعسكر ضد له نفس أيديولوجيات العدد الكبير من أتباع يزيد، مما دفع سعيد بن سعيد إلى التعليق على مثل هذا الانتماء، ومثل هذه الخطة راصدا بذلك موقف الحر ورجاله، حيث قال:

سعيد: ما على الأعمى حرج

وتشير العبارة إلى وصف محدد بشأن الحر ورجاله يجعلهم ينتمون إلى معسكر يزيد الذي يوصف لدى الحسين وأصحابه بأنه (متخاذل عن نصرة الحق) يسعى إلى اغتصاب الحقوق من أصحابها، فلا حرج إذا أن يثبت سعيد بحق متلقيه بعض الصفات الخاصة بالمدى الدلالي الواسع لمفهوم العمى كما رود في سياق المصدر.

ولكي يسير الحوار بشكل طبعي وناجح، فإن المقترح أن يكون بين المتكلمين موقف تعاون يتجلى في استعدادهم لتفسير العبارات المطروحة داخل الخطاب في إطار يطلق عليه «إطار إحالات»[١]، وعليه يبدو أن انبثاق هذه العبارة داخل الخطاب يجعل المتلقي مطالبا كخطوة أولى للفهم باستنتاج[٢] محدد يعمل أولاً على تخصيص ما يمكن استهدافه بركني الإسناد المعقود بين طرفين أساسيين للعبارة هما: (الأعمى) و(حرج)، فإذا نظرنا إلى البيئة النظامية الاسنادية بين الوحدات المكونة نراها واضحة من خلال عقد رابطة بين:

---

(١) ماريا بوبيس ترجمة د. خالد سالم ص ٢٥٣. وترى بوبيس أنه إذا كانت الإحالات في جمل كل متكلم لا تتلاقى فإن ذلك سيؤدى إلى استحالة الحوار.

(٢) طرح جرايس ما يسمى «النموذج الاستنتاجي للتواصل»، وتبعا لهذا النموذج فإن المرسل يقدم الدليل على مقصده من أجل إيصال معنى يتم استنتاجه والاستدلال عليه من قبل المستمع، ويعتبر المعنى المسترد عبر فك الشفرات مجرد أحد مدخلات العملية الاستنتاجية غير المعبر عنها، والتي تثمر عن تفسير معنى المتكلم. *adapted from D. Sperber & D. Wilson (2004): P.607f. and see Pal Heltai (2003): P.43.*

١- صيغة معرفة تفيد الاستغراق (الأعمى).

٢- صيغة نكرة تفيد الشمول (حرج).

فدالة (الأعمى) يشير تعريفها إلى «مجال إحالي» واسع بحيث يشمل مقصودها عددا كبيرا ممن فقدوا حاسة البصر، وإذا كان هذا اللفظ يشار إليه على أنه موضوع هذه العبارة[١]، فهو يشير إلى «طرح توصيفي»[٢] مكتسب من خلال استخدام أداة التعريف، ولكن هذا الطرح لا يجعل اللفظ يتفق مع شرح التعريف بكونه وضعا للعناصر الداخلة في عالم النص إذ تكون وظيفة كل منها لا تحتمل الجدل في سياق الموقف[٣].

وبذلك فإن هناك تعارض إذا ما تمت الإشارة إلى هذا اللفظ كموضوع للجملة؛ فهو لا يشير إلى شخص محدد يعرفه المتلقي ويكون قادرا على تحديده دون أن يلجأ إلى عملية استنتاج؛ ومن ثم فإن هذه العبارة يمكن النظر إليها كعبارة غير مرجعية.

إن هذه العبارة عبر مجموع علاقات عناصرها التركيبية والدلالية لا تشير على نحو واضح إلى ذلك الشخص (الأعمى) في ظل المدى الخاص بالعلاقة بين وحدات عبارة الاستشهاد وأيضاً في ظل عدم وجود صيغ لغوية سابقة يمكن أن تسهم في مثل هذا التحديد. وهذا من شأنه أن يجعل المتلقي ينظر إلى اللفظ كما ينظر إلى محتوى مفهومي يتطلب كما تتطلب النكرات تنشيطاً لمساحات معلومية أخرى تقع خارج سياق الموقف[٤]، ولعل

---

(١) يقترح سيمون دايك *[17 :1978]* فيما اقتبسه عنه د. أحمد المتوكل (١٩٨٥) ص ٦٩ أن تسند وظيفة المحور *topic* إلى المكون الدال على ما يشكل المحدث عنه داخل الحمل، وانظر *van Dijk (1977a)*

(٢) ينسب هذا المفهوم إلى أورتوني وأندرسون ١٩٧٧ انظر دو بوجراند ترجمة د. تمام حسان ص ٣٠٨.

(٣) نفسه ص ٣١٠.

(٤) روبرت دو بوجراند ترجمة د. تمام حسان (١٩٩٨)، ص ٣١٠.

فهم مثل هذا النوع من العبارات يعتمد على معرفتنا المقامية بالمجال الإحالي لمثل هذه العبارات، وهو مجال يكون في أي مناسبة استعمال شديد التحديد[1].

إن الإسناد هنا لابد أن يتسق مع فكرة المقامية[2] بحيث يشير إلى ما قد يضيفه المقام عبر هذه العبارة في مجال استعمالي محدد إلى سلسلة التصورات الخاصة بالمتلقي عن الشخص المراد بها، ولعل مثل هذا الاتساق يستدعي ضرورة تجاوز الإسناد النحوي إلى الإسناد الواقعي إذ إن اللغة «وعموم المؤشرات الظاهرية للغة تؤدي دور تثبيت الحديث في الواقع الظرفي الذي يحيط بمثال الحديث، وهكذا فإن المعنى المثالي لما يقوله المرء، في الكلام الحي، ينثني نحو إسناد واقعي، أي نحو ذلك الشيء الذي يتحدث عنه المرء»[3].

فالموقف يلعب دوراً فاعلاً يتجلى في قدرته على تقليص تلك الفجوة بين العبارة ومرجعها المقصود بها، إن أحد أهم مبادئ العملية التواصلية مفاده أن تصورات أطراف هذه العملية لا يمكن أن تكون متطابقة تماماً، فإذا أضفنا إلى هذا المبدأ الخاصية الإحالية التي تتمتع بها هذه العبارة أصبحت عملية التحديد تحتاج إلى مزيد من الجهد الفكري الاستدلالي على النحو الذي يكشف بعض الجوانب الخاصة بالحركية التواصلية لهذا النوع من العبارات.

---

(١) براون ويول ترجمة د. محمد لطفي، ود. منير التريكي (١٩٩٧)، ص ٢٥٤.

(٢) بحسب دو بوجراند وآخرين يمثل مصطلح الموقفية تسمية عامة للعوامل التي تقيم صلة بين النص وبين موقف لواقعة ما، سواء أكان موقفا حاضرا أم قابلا للاسترجاع، ونادرا ما تتحقق تأثيرات مقام سياقي معين بدون حدوث التوسط أي مدى تغذية المرء بمعتقداته وأهدافه الخاصة للنموذج الذي يقيمه للموقف الاتصالي الحالي». انظر دو بوجراند وآخرين (١٩٩٢) ص ٢٠٩.

(٣) إدوارد سعيد ترجمة عبد الكريم محفوض ٢٠٠٠، ص ٢٩.

فإذا نظرنا إلى الرد المتمثل في عبارة المتلقي [الحر]: [لست أعمى يا سعيد بن سعيد] نلحظ هنا أن المتلقي قد أصبح قادراً على أن يقلص ذلك المجال الإحالي إلى الحد الذي يكون به هو نفسه مقصود ومرجع هذه العبارة.

وأحسب أن مثل هذا التقليص إنما قد تم على مستوى المقصود وليس على مستوى المتصور، بمعنى أن المتلقي قد أدراك أنه المقصود بهذه العبارة غير أنه لم يتحصل على تحديد مفهومي خاص بالمصاحبات الدلالية لمفهوم (الأعمى) التي ربما يكون المتكلم قد قصد إليها بهذه العبارة[١].

فهناك مدى خاص بتفسير عبارة لغوية تطرح مفاهيم محددة يتمثل في قدرة المتلقي على إقامة تحديد خاص بهذه المفاهيم يكتفي معه المتلقي بهذا التفسير دون أن تكون لديه أسباب تدفعه إلى خطوة أخرى من خطوات البحث عن تفسير مختلف[٢].

وبذلك يكون [الحر] - اعتماداً على الإشارة السيمية: العدة الحربية والملابس التي يرتديها[٣] من جانب وعلى المقصود بعبارته (بل عليك) من جانب آخر - أحد أعضاء المعسكر المضاد، وإذا كان هذا المعسكر يوصف - في ظل الإيديولوجية الخاصة بالمعسكر الحسينى - بأنه (ضال / متخاذل)

---

(١) يشير مفهوم المصاحبة *Collocation* إلى ميل الألفاظ داخل الفضاء النصي إلى الترابط وفق علاقات محددة، وتنقسم على نوعين: مصاحبة معجمية، وأخرى تأويلية، والأخيرة هي المقصودة في هذا الموضع إذ تقوم على المعنى الإيحائي للفظ المستخدم.

(٢) تعتمد هذه الفقرة على خطوات النموذج التداولي المعياري في توليد المعاني.

(٣) التواصل الإنساني لا يمكن حصره فقط في تبادل لفظي تحركه قصدية صريحة يدرك فحواها طرفا الفعل الإبلاغي بل بؤرته مجموع ما ينتمي إلى التجربة الإنسانية التي تستوطن الذات الإيماءات، اللباس، وطريقة الجلوس... د. سعيد بنكراد (٢٠٠٤) ص ١٤. ولمزيد من المعلومات بشأن خواص الإشارات والدور الذي تلعبه في النشاط التواصلي و التصنيفات الخاصة بها انظر *K. M.. Murphy (2003)*

يسعى إلى اغتصاب الحقوق فإن المتحدث بعبارة الاستشهاد [سعيد بن سعيد] لم يجد غضاضة في إثبات بعض الصفات الخاصة بالمدى الدلالي الواسع لمفهوم (الأعمى) بحق متلقيه [الحر]، هذا المدى يلتقي في بعض جوانبه بمفهوم (الضلال / التخاذل).

ولعل تحول المتلقي [الحر] إلى معسكر يختلف في القيم والمفاهيم مع معسكر مجموعة المتحدثين التي يشترك معها في المحادثة يشير إلى إمكانية خلق ما يطلق عليه «حواجز التواصل»[1] التي تنعكس بصورة مباشرة على طريقة سير المحادثة وتفسيرات القيم الدلالية والتداولية لمجموعة العناصر والمفاهيم التي تطرحها عباراتها.

الدلالة:

إن عدة مناسبات دلالية تجمع بين كل من (العمى) كبؤرة لعبارة الاستشهاد وبين مفهوم (الضلال أو القعوس عن الجهاد إلى جانب المؤمنين)- كأحد المفاهيم المطروحة لوصف معسكر [يزيد بن معاوية] في ظل النسق القيمي والإيديولوجي المتبنى من قبل معسكر [الحسين] - في الدلالة على عدم تبين الطريق إلى غاية محددة، مثل هذه المناسبات تنزع نحو تجريد دالة (العمى) والانتقال بها من الدلالة الحسية إلى أخرى معنوية تتشابك مع مفهوم دالة (الضلال).

---

(١) عنى ببحث هذه الظاهرة روثلسبرجر في محاولته الإجابة عن التساؤل الخاص بإمكانية قيام التواصل بين أناس لا يرون أو يفترضون ذات الأشياء ولا يشتركون في قيم محددة، وقدم في إطار الإجابة عن ذلك ما مفاده أن سوء الفهم الناجم عن هذا الاختلاف لا ينشأ عن عدم قدرة المتكلم على التعبير عن نفسه بقدر ما ينشأ عن عدم قدرته على تقييم ما يتم الحديث عنه، والمخرج الذي يراه مفيداً في مثل هذه الحالة يتلخص في وضع المتلقي الموضع الذي يمكنه من رؤية الأشياء بالطريقة التي يراها المتكلم. *Adapted from F. j. Roethlisberger (1952).*

ويشير مثل هذا الانتقال إلى ذلك المحتوى الانفعالي[١] الذي تتشح به عبارة الاستشهاد، والذي قد يترجم من طريق تنويعات صوتية تطريزية تمارس على هذه العبارة في اللغة المنطوقة، فابن سينا يرى أن «للنغم مناسبة ما مع الانفعالات والأخلاق، فإن الغضب تتبعث منه نغمة بحال، والخوف تتبعث منه نغمة بحال أخرى، وانفعال ثالث تتبعث منه نغمة بحال ثالثة»[٢]، ولعل المجموع المستفاد من المحتوى الانفعالي الخاص بدالة العمى[٣]، والنسق القيمي الذي يتماس فيه كل المتكلم والمتلقي، والجوانب التطريزية التي تضبط نغمة تهكمية ممزوجة بشيء من اللوم والعتاب على

---

(١) تعد حالة الانفعال إحدى أهم سمات الخطاب المنطوق، راجع د. مازن الوعر (١٩٩٤) ص*[١٣٧-١٨٩]* ص ١٧٩، حيث عرض سيادته لمكونات الخطاب المختلفة.

(٢) ابن سينا ص ١٩٧.

(٣) أوضحت دراسة د. ابتسام مرهون الصفار أن ثمة علاقة تربط بين المعنى اللفظي والدلالة الفكرية والاجتماعية، فبعض الألفاظ تقترن في الذهن بأفكار معينة أو بسلوك تفرضه على المتكلم أو السامع إن عرضت لهما، وإن اختلاف استعمالها تبعا لاختلاف نفسية الناس؛ فهناك ألفاظ لمسميات وأشياء مادية يعدل عنها إلى ألفاظ أخرى لأن نفسية السامع سرعان ما تشتق منها أفعالا يتطير منها، وأسماء أخرى لمسميات وأشياء مادية إذا ذكرت أثارت في النفس الخير والفرحة والتفاؤل. انظر د. ابتسام مرهون الصفار (١٩٧٩) ص *[١٦٣-١٧٦]*، ولسيادتها أيضاً (١٩٦٨). ولعل ما تقصد إليه هاتان الدراستان يتقاطع مع الرؤية التي تؤكد وثاقة الصلة بين اللغة والبيئة على النحو الذي تتحدد فيه المعاني على أنها ما يجرى في إطار البيئة، ولعل مفهوم البيئة يشمل ما يشار إليه بسياق الموقف في علاقته بالسياق الثقافي للمجتمع، انظر: *Halliday (1975): P.65-66*

هذه العبارة[1] يدفع بالمتلقي إلى استخدام [النفي] إمكانية دفاعية ضد هذه الدالات المرفوضة عبر النسق القيمي الخاص بهذا المجتمع.

ولعل عبارة [الحر]: [لست أعمى يا سعيد بن سعيد] تبدو متشحة بدرجة انفعالية مضادة[2] قد تفهم في بادئ الأمر على أنها بمثابة إشارة إلى تصور [الحر]عن المدى الخاص الرابط بين دالتي: العمى والضلال في سياق دلالي واحد.

غير أن ما تلى هذا الرد من عبارة استشهادية ساقها [الحسين]: [إنما تعمى قلوب في الصدور] ربما يخفض من حد الاستنتاج الأخير إلى الشكل الذي يظل معه تصور [الحر] مرتبطاً بالدلالة الحسية لمفهوم (العمى).

الصيغة والوظائف التبادلية:

اعتماداً على ما تطرحه عبارة الاستشهاد من مضامين يتم استنتاج المراد منها من قبل المتلقي فإن المتلقي مطالب - بشكل أو بآخر - إما بالرد على هذا المضمون أو ذاك، وإما بالتعليق عليه أو الصمت إزاءه[3].

---

(١) هناك علاقة آكدة بين الصوت والدلالة تنعكس بدرجات مختلفة على نوعى التواصل اللفظي وغير اللفظي، ولمزيد من جوانب هذه العلاقات وانعكاساتها على العملية التواصلية انظر: د. كريم ذكى حسام الدين (١٩٩٢)، ود. أحمد عارف حجازي (١٩٩٤)، ود. عبد المنعم السيد أحمد (٢٠٠٥)، وانظر:

E. Sapir (1972); G. W. Allport & H. Cantril (1972); R. L. Birdwhistell (1972).

(٢) أشار ابن سينا إلى أن السامع قد يتشبه بما يناسب نغمة المتكلم قساوة وغضبا، أو رقة وحلما "، انظر ابن سينا: ص ١٩٨.

(٣) تشير ماريا بوبيس إلى أنه يمكن للمخاطب أن يتخذ موقفاً معيناً أمام أفعال كلام الذي أمامه والتعبير عن هذا الموقف بواسطة الكلمات، أو بواسطة الصمت، رافضاً أن يواصل الحوار، ويمكن أن يرد بفعل في اتجاه أو آخر، فلا يوجد شيء محدد مسبقاً، انظر: ماريا بوبيس ترجمة د. خالد سالم، ص ٢٤٩.

فإذا أخذنا في الاعتبار رؤية كل من سوزان برينان وهربرت كلارك الخاصة بتقسيم المشاركة في المحادثة إلى مظهرين:

الأول: العرض ويتلخص في أن [أ] يقدم المنطوق [ج] للمشارك [ب] مفترضاً أنه إذا قدم [ب] الدليل [د] فإنه يستطيع أن يعتقد بأن [ب] قد فهم ما عناه بالمنطوق [ج]، والمظهر الثاني: القبول ويتخلص في أن [ب] يقبل بالمنطوق [ج] عبر تقديم الدليل [د] على أنه قد فهم ما عناه [أ] بمنطوقه [ج](١).

إن مسألة تقديم دليل الفهم لابد أن تخضع لاتفاق الطرفين على أن هذا الدليل [د] هو فعلاً دليل الفهم(٢)، ربما في بعض الأحيان يبدو هذا الدليل [د] ذاتياً بمعنى أنه في حين يعتقد المتلقي بأنه يقدم دليل الفهم يقوم المتكلم أو أحد المشاركين في الحوار بتقديم الحجة على أن ما قدمه المتلقي لا يمثل دليل الفهم.

فإذا كانت عبارة الاستشهاد [١]: [ما على الأعمى حرج] قد اقترحت وصفاً بشأن المتلقي [الحر]، فإن إجابة المتلقي تقصد إلى رفض المضمون المقترح ضمن هذه العبارة ومقصودها على حد سواء، فإذا كان الحر يقصد بهذه العبارة أن تكون دليلاً على فهم ما عناه المتكلم [سعيد]، فإن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد بل جاءت عبارة الاستشهاد[٢]: [إنما تعمى قلوب في

---

(١) انظر حول هذا التقسيم *H. H. Clark & Susan E. Brennan (1991): P.130*

(٢) إن غاية التواصل الفهم والإفهام، والفهم ينقسم إلى «منطقتين متميزتين: الأولى يمكن أن نطلق عليها عملية الصياغة وهى تعنى بالطريقة التي يصوغ بها المستمعون تفسير الجملة المقدمة من المتحدث في شكل كلمات... والمنطقة الثانية.. تسمى عملية التوظيف، وتعنى بكيفية توظيف المستمعين للتفسير في أغراض أخرى كتسجيل معلومات جديدة، وإجابة أسئلة، وإتباع أوامر، وتسجيل مواعيد وما شابه ذلك». انظر د. جمعة سيد يوسف (١٩٩٠)، ص ٦٨، ولعل عملية فهم وتفسير العبارات والنصوص تكتنفها جوانب متعددة، اجتماعية وثقافية ونفسية انظر: *J. Potter & D. Edwards (1999)*

الصدور] بهدف تصحيح هذا الفهم[١] من جانب، وطرح تأويل جديد بشأن مفهوم دالة (العمى) من جانب آخر؛ بمعنى أنها أخرجت عبارة الدليل - التي قدمها الحر رداً على عبارة سعيد - بعيداً عن دائرة الفهم الصحيح معتبرة هذه العبارة - وفق عملية الاستبعاد والتصحيح - تمثل ما يطلق عليه برينان وكلارك «دليل النفي»[٢]؛ بمعنى أنها تشير إلى سوء الفهم الحاصل بشأن عبارة سعيد. وتفسير هذا ما جاء به الجرجاني من القول بأن «موضوع إنما على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته أو لما ينزل هذه المنزلة»[٣].

ولعل هذا الخبر الذي لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته يتساوى مع ما يطلق عليه في أدبيات تحليل الخطاب الفرضية المسبقة، والمراد بها بينه ستالنكير على النحو التالي: أن نأخذ شيئا ما على أنه فرضية مسبقة معناه أن ننظر إلى هذا الشيء على أنه أمر مسلم به، أو على الأقل أن نتصرف حياله كشيء مسلم به، كمعلومة خلفية يتفق عليها المشاركون في المحادثة[٤]، ويستفاد من هذا أن تكون [إنما] قد أتت في هذا السياق بهدف لفت انتباه الحر إلى هذا الأمر المسلم به، وكأن دور هذه العبارة بناء على ما

---

(١) يشير مصطلح التصحيح إلى استبدال ما يقع أثناء المحادثة من خطأ بما هو صحيح. انظر *H. Sacks , E. Schegloff & G. Gefferson (1977): P.363*، وتشير جيل جيفرسون إلى نوعين من الأخطاء التي تقع أثناء التفاعل: أولهما ما يعرف بأخطاء الإنتاج، وهي ما يتمثل في المشكلات الخاصة بإنتاج حديث نحوي متماسك صحيح، وثانيهما أخطاء التفاعل، وتتعلق بالأخطاء التي تحدث من المشاركين في موقف محدد. *adapted from Gail Gefferson (1974): P.181.*

(2) H. H. Clark & S. E. Brennan (1991): P.131.

(٣) الجرجاني، ص ٢٢٢.

(4) Robert C. Stalnaker (2002): P.701.

تحمله من معلومة مسلم بها يتلخص في أنها تساعد المتلقي على تحديد محتوى ما يقال[1].

تركيبياً إذا كانت عبارة الاستشهاد [1] قد جاءت في صياغة منفية [ما...]، ثم تلتها عبارة [الحر] تستخدم ذات الإمكانية [النفي: لست...]، فإن عبارة الاستشهاد [1] قد جاءت ولم تستخدم ذات الإمكانية، وإنما استخدمت المقابل الخاص بعملية إثبات مؤكدة [إنما] لأن إنما «تأتي إثباتا لما يذكر بعدها ونفيا لما سواه»[2]؛ وعليه فإن العلاقات التي تجمع بين هذه الأقوال في إطار نصي واحد إنما تشير إلى حالة من التوتر بين الأطراف الثلاثة بشأن تحديد مفهوم دالة العمى والمقصود بها.

وأحسب أن إمكانية النفي التركيبية قد وظفت في إطار هذه الأقوال المتتابعة توظيفاً تداولياً بحيث تشير في عبارة الاستشهاد [1] إلى قطع السير الطبعي المفترض للمحادثة لعدم توافر شروط البناء اعتماداً على ما قد تم من تحول في العلاقات الاجتماعية التي تربط بين المتحاورين[3]، غير أن الدفع بذات الإمكانية لنفي مضمون هذه العبارة قد يستلزم من وجهة نظر المتلقي [الحر] إكمال المحاورة. فدلالة النفي والحال هذه هي كما أشار إليها الجرجاني بقوله: «إنك متى رأيت شيئا هو من المعلوم الذي لا يشك فيه قد جاء بالنفي فذلك لتقدير معنى صار به في حكم المشكوك فيه»[4].

أما تقريرية عبارة الاستشهاد [2] فقد أتت بشأن التأكيد على مضمون

---

(1) see A. Bonomi & S. Zucchi (2003): P. 103.

(٢) الجرجاني ص ٢٢١.

(٣) يمكن أن يحدث في الحديث اليومي أن يؤثر أحد المتحدثين بناء على دوره أو وضعه أو سلطته في مجرى الحديث، هذا بالإضافة إلى تأثير السياق الاجتماعي، انظر: فان دايك ترجمة د. سعيد حسن بحيرى ٢٠٠١ ص ٣٩٤.

(٤) الجرجاني، ص ٢٢٥.

سابقتها [1]، بل والتجاوز به إلى مدى آخر من المعاني التي تنطوي عليها هذه العبارة عبر موضوعها [العمى]، ولكن بطريقة اضطرت المتلقي إلى التزام [الصمت] من خلال الوصول إلى مفهوم ذي مساحة معرفية مشتركة يمكن أن تتفق جميع الأطراف المتحاورة عليها.

وتعليل مثل هذا نراه عند ابن سينا حيث ذكر أن «اللفظ الذي يقع على الشيء من حيث له معنى أكرم هو أحسن من اللفظ الذي يقع عليه من حيث له معنى أخس، وإن كان كل واحد منهما يقصد به في الحقيقة معنى واحدا»(١).

إن ما حدث إلى الآن بين المشاركين في الحدث التواصلي بشأن عبارتي الاستشهاد هو محاولة الوصول إلى تأسيس معنى جديد لعبارات - إن صح التعبير - قديمة، والوصول إلى تسييق هذه العبارة بما ينطوي عليه من اكتشاف نقاط الالتقاء والافتراق بين سياقي عبارة واحدة لإقرار معنى جديد يحدث بشأنه الاتفاق بين هذه الأطراف(٢).

---

(١) ابن سينا، ص ٢٠٨.

(٢) تشير أغلب نظريات الفهم الآني إلى افتراض مؤداه أن المستمعين يمتلكون قاموسا ذهنيا أو معجما يشمل جميع الكلمات التي يعرفونها، وعندما يستمعون كلمة في منطوق ما فإنهم يرجعون إلى معانيها العرفية داخل هذا المعجم، ثم يختارون منه أفضلها مناسبة للمنطوق، وتبعا لبعض نماذج هذه النظريات فإن المستمعين يميلون إلى استكشاف السياق السابق للحد من عدد هذه المعاني، وفي بعض النماذج الأخرى فإنهم ينجزون جميع معاني الكلمات ثم يستخدمون السياق فقط من أجل تحديد أدق هذه المعاني.

see H. H. Clark & R. J. Gerrig (1983): P.591.

المظاهر الاستجابية:

- الصمت:

ربما يكون عقد الصلات بين دالتين محددتين (العمى) و(الضلال / التخاذل) يعتمد على بعض من المبادئ اللغوية القادرة على الجمع بينهما غير أن هذا الجمع له كذلك ما يبرره على المستوى الاجتماعي المتواضع عليه.

إن عدة تجارب داخل هذا المجتمع تمكن من الجمع بين هاتين الدالتين على نحو وثيق، فأمر التخبط وعدم الاهتداء إلى الطريق الصحيح المؤدى إلى غاية محددة سلفاً تجربتان ربما تشيران إلى إمكانية الجمع بينهما من جانب وإلى صحة هذا التأويل السياقي الذي عنى به كل طرف من الأطراف المشاركة في الاتصال.

فإذا كانت عبارة الاستشهاد [١] قد سعت عبر مستوى خبري إلى توصيف وضعية [الحر] بوضعية [الأعمى] الذي لا يهتدي اعتماداً على نفسه إلى الطريق الصحيح فإن هذه العبارة قد انطوت على موقف تهكمي ربما يكون ساخراً قصد إليه المتكلم [سعيد بن سعيد] مؤسساً إياه على حالة من المفارقة الحاصلة بشأن الحالة الفيزيائية لوضعية [العمى] وسلامة [الحر] من هذه الحالة، الأمر الذي دعا [الحر] إلى استخدام تداولي لإمكانية النفي [لست أعمى].

غير أن العلاقة الآكدة بين كل من دالتي (العمى) و(الضلال) دفعت بعبارة الاستشهاد [٢] إلى عقد تلك الصلة، بل أضفت عليها جانباً من جوانب التثبيت والتأكيد فـ[عمى القلوب] المعبر عنه في إطار النص القرآني هو عينه [الضلال]، وعليه فقد تجاوزت هذه العبارة الدلالة الحسية إلى دلالة أخرى معنوية مقررة عبر تجارب كثيرة خاصة بأقوام عدة انطبق عليهم مثل هذا الوصف.

وتأتي عبارة [الحسين] كأحد مصادر المعرفة المتبادلة؛ ذلك أنها قد طرحت قضية محددة لم تلق من قبل المتلقي أية معارضة، بل التزم المتلقي

إزاء هذه العبارة مساحات كبيرة من الصمت، ولعل الصمت في سياق المحادثة يعبر عن حالة معينة من حالات الاتصال[١]، فالصمت الحاصل أثناء الاتصال «ربما يكون طريقاً لمنع عدم الموافقة أو المعارضة، وربما يشير بطريقة معكوسة إلى أن ثمة معارضة، وهذا يسمى «الصمت الفصيح»[٢].

ويستنتج الصمت في المحادثة – موضع التحليل – من خلال انتفاء مشاركة المتلقي بشكل كبير في إطار هذه المحادثة حيث تتابعت أقوال المشاركين الآخرين موجهة تجاه المتلقي غير أنه لم يقدم استجابة واضحة على هذه المشاركات غير الصمت، ويشير الصمت – والحال هذه – إلى عدم معارضة المتلقي لما قد تضمنته هذه المشاركات من محتويات دلالية.

- توجيه النظر بعيداً عن المخاطبين:

ويؤكد هذه الموافقة مظهر آخر من المظاهر الاستجابية التي قدمها هذا المتلقي، وهو توجيه نظره بعيداً عن الحسين وعن باقي المشاركين، وهذا المظهر مرتبط بما يسمى بالاتصال البصري، وهو جانب مهم من جوانب التواصل غير اللفظي[٣].

---

(١) يشير *R. Wardbaugh* إلى أن عملية الصمت غالباً ما تكون اتصالية؛ لذا ينبغي أن يتم تعلم استخدامات الصمت بطريقة مناسبة. *see Roland Wardbaugh (1986): P. 235.*

(2) Chao-Chih Liao (2002): P.142.

(٣) لعرض بعض الملاحظات حول هذا النوع من التواصل في الثقافة العربية انظر د. محمد العبد (١٩٩٥) ص ١٥٣ – ١٧٥، و د. حسن الهلالي (٢٠٠٦) ص ٦٨ – ٧٦, وقد أشار كل من أرجيل *M. Argyle* و دين *J. Dean* إلى أن الناس خلال التفاعل الاجتماعي ينظرون في أعين بعضهم البعض بشكل متكرر ولفترات قصيرة، وأنه بدون الاتصال البصري لا يشعر الناس بأنهم متصلون بشكل تام، وقد طرحا مجموعة من المحددات لما يسمى «اتجاه التحديق *Gaze-Direction* منها ما يلي: الموقع من المحادثة، وطبيعة الموضوع المتحدث عنه، والاختلافات الشخصية، والعلاقات بين الشخصين، والتاريخ التطوري للاتصال ==

ولعل عملية توجيه النظر من قبل متكلم ما بعيداً عن شركاء المحادثة يشير إلى مجموعة من القنوات التي بها يستطيع «إخفاء نفسه، أو تجنب استجابات لا يرحب بها من قبل شخص آخر، أو الهروب من علاقته بشخص ما، أو إنقاص القدر الممتص من المعلومات»(1)، ولعل هذه القنوات تتاح أيضا للمتلقي بقدر ما متاحة للمتكلم. فالحر من خلال توجيه نظره بعيداً عن المخاطبين يلتمس الابتعاد عن استجابة هؤلاء المشاركين، وقد يقبع خلف هذه الإشارة عامل نفسي يبين إلى أي مدى ينظر هذا المتكلم إلى محتوى عبارته وإلى الشكل الذي ستكون عليه استجابة المتلقي إزاء هذا المحتوى.

الحر: قد سألت الله ألا ابتلى يوماً بأمر للحسين.

الحسين: فلماذا عمرك الله أتيت ؟

الحر: جئت كي أقدم للكوفة بك

الحسين: كيف هذا ؟.. أي مقدم ؟

الحر: (مستمرا وهو يوجه نظراته بعيداً عن الحسين وعنهم جميعاً)
ولكي أحبسكم عن أن تعودوا قبل أن أنتزع البيعة منك.

الحسين: فهي الحرب إذن ! ؟

إن توجيه نظر الحر بعيداً عن جمهور المخاطبين كان مصحوباً في الحقيقة بإشارة أخرى هي ما أثبتها النص المرافق بصيغة الحال (مستمراً)،

== البصري *see M. Argyle & J. Dean (1965): P.302*، وفى ظل هذه المحددات تكون وظائف الاتصال البصري هي: طلب المعلومات، والتأشير على أن قناة الاتصال مفتوحة بين الطرفين، والإظهار والتكتم، وإقامة وإدراك العلاقات الاجتماعية *see M. Argyle & J. Dean (1965): P.303.*

(1) see M. Argyle & A. Kendon (1967): P.40.

ولمزيد من المعلومات بشأن علاقة الاتصال البصري بتنظيم المحادثة انظر *C. Goodwin (1980)*

وهي تشير إلى الاستمرار في تعبئة الرسالة دون النظر إلى ما يوقف هذه العملية من عبارات يسوقها المشاركون وتجاهلها تماماً، مما يعكس لنا قدراً من عدم اقتناع الحر بمحتوى رسالته ومحاولة الدفع بها في وقت يريد فيه تجنب آثارها على المتلقين لها.

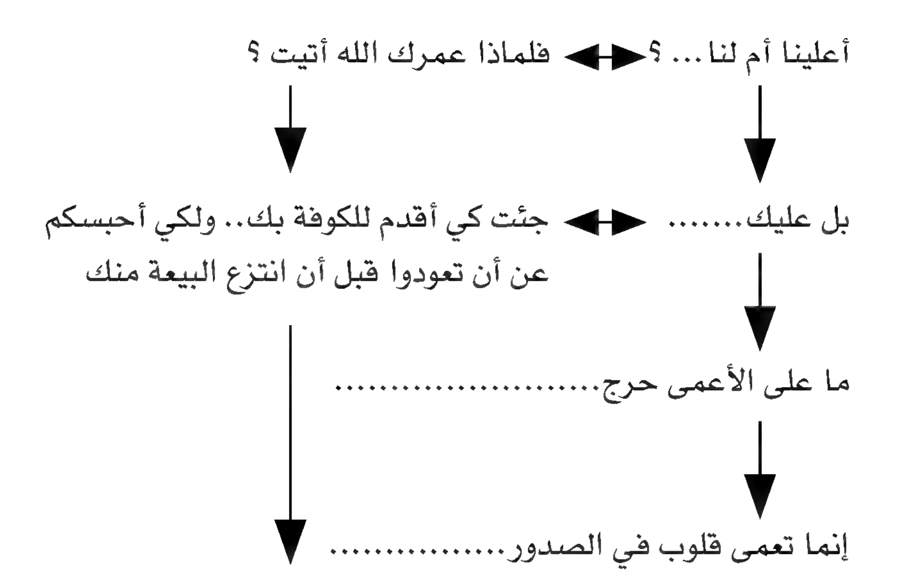
ولعل دلالة هذا الاستمرار تنعكس في ظل تقابلها مع عملية المقاطعة التي تمنع من هذا الاستمرار، فتدخل الحسين ومقاطعته لمسار رسالة المتكلم ربما يخرق بعض الشروط العامة للتفاعل وبخاصة ما اشترط له من تنظيم أفقي زمني للأدوار التي تمثله، فهذا التنظيم ينطوي على «عدم إمكانية أن تفهم المنطوقات حين تنتج في الوقت ذاته»[١]، ولعل الحسين لم يكن بحاجة إلى فهم منطوقات الحر التي بدت من أول تتابع دور الحر متعارضة مع رغبات الحسين ومع ما كان متوقعاً من المتكلم [الحر]؛ وبالتالي عبر هذا التدخل عن رفض هذه المنطوقات وعدم الموافقة عليها. وعليه يمكن أن يشير استمرار الحر في تعبئة رسالته إلى «الإنهاء المقصود للمنطوق الخاص بالإشارة الواضحة إلى أن المنطوق يجب أن يستمر أو أن تفسيراً ما مرغوب فيه للغاية»[٢].

إن رسالة الحر التي بينت الهدف من مشاركته في هذه المحادثة جاءت ملخصة في الإجابة عن التساؤل الخاص بسبب المجيء [فلماذا عمرك الله أتيت ؟]، ولعل هذه الإجابة ما زالت تقيم الحدود والعلاقات بينها وبين عبارة للحر جاءت أيضاً إجابة على التساؤل [ألنا أم علينا.. ؟] حيث كانت إجابته [بل عليك...]، وعليه مازالت هذه الرسالة مرتبطة بموضوع عبارة الاستشهاد.

---

(١) فان دايك ترجمة د. سعيد حسن البحيري ٢٠٠١، ص ٣٩٧.

(٢) نفسه.



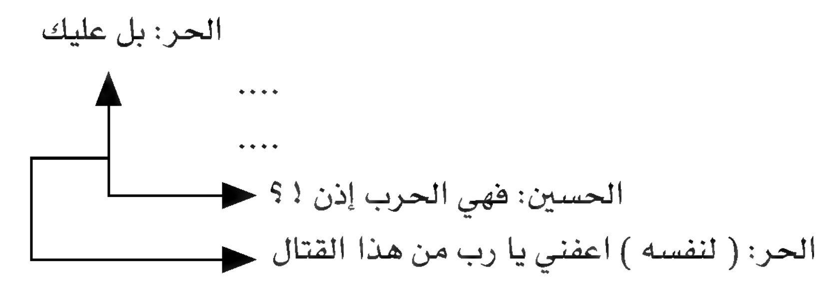
- الحديث إلى النفس :

إن الحديث إلى النفس هو إحدى السمات شبه اللغوية التي تصاحب المنطوق، ولعل دلالة مثل هذه السمة لا تتحصل فقط من خلال علاقتها بمحتوى هذا المنطوق، بل - تستفاد بجانب هذا - من علاقة هذا المنطوق بما سبقه من منطوقات داخل المتوالية.

ولبيان هذه الدلالة نعود هنا إلى المحادثة التي تمت بين الحر وأعضاء هذا المعسكر، فهذه المحادثة إذا نظرنا إليها بعيداً عن العلاقات الاجتماعية التي جمعت الحر بهؤلاء يمكن اختزالها إلى الشكل التالي:

الحر: أنا ذا الحر الرياحي أتيت.

الحسين: أعلينا أم لنا ... ؟



في ضوء هذا الاختزال لا يمكن أن تكون عبارة الحر التي صاحبها الحديث إلى النفس [اعفني يا رب من هذا القتال] هي الرد الذي يناسب عبارة الحسين وفق عملية الاختزال هذه. إن الاختزال هنا تم بصورة تستبعد العلاقات الاجتماعية التي تربط بين شخصية الحر ومعسكر الحسين، وهي تلك العلاقات التي كانت سبباً في تمديد الحوار على الصورة الأصلية في النموذج موضع التحليل؛ وإذا كان من المفيد قراءة هذا الاختزال في ظل هذا التمديد المستبعد فإن عبارة الحر تؤشر من قريب أو من بعيد على إحدى الاستجابات الناجمة عن علاقة هذا التمديد بعبارة الاستشهاد.

إن الحديث إلى النفس يشير إلى حالة خاصة من رغبة صادقة في تحقق محتوى العبارة، وعلى جانب آخر يشير إلى محاولة المتكلم تجنب إظهار محتوى محدد لا يريد أن يطلع عليه شركاء الحديث. وهنا يقرأ الحديث إلى النفس في ظل علاقته بما سبق من [الاستمرار] بمعنى أن الحديث إلى النفس ينطوي على محتوى أولاً لا يريد المتكلم أن يتم سماعه، وثانياً هذا المحتوى قد يعطل ما يريد المتكلم إنجازه من خلال مشاركته في المحادثة.

ولعل رغبة المتكلم [الحر] في هذا الإنجاز - وإن كان غير مقتنعاً به - ما زالت تؤشر على انضمامه بشكل أو بآخر إلى المعسكر المضاد، هذا الانضمام الذي حدثت بشأنه عبارة الاستشهاد الأولى والثانية على حد سواء، ومعنى هذا أن هذه الاستجابات تتصل بصورة مباشرة بهاتين العبارتين.

التماسك

[١] العلاقات الدلالية والتداولية:

تتفق الدراسات التي تعنى بتماسك الخطاب على أن أهم مكون من مكونات فهم اللغة، يتضمن وجود عبارات وجمل مترابطة من أجل إنشاء خطاب متماسك متسق، وتتنوع مستويات التماسك تبعا لما تقدمه هذه العبارات من مفاهيم ودلالات تتصل بموضوع هذا الخطاب.

وترى الدراسة هنا أن بين التماسك وهذه العلاقات الدالة عليه علاقة تحديد متبادلة؛ بمعنى أنه إذا كانت هذه المستويات والعلاقات تكشف عن التماسك وتكفل بيانه، فإنه أيضا يسهم بدور فاعل في استكشاف آليات هذه العلاقات والمستويات في الكشف عنه.

وإذا تحدثنا هنا عن عبارة الاستشهاد وعلاقاتها بالعبارات الأخرى داخل الخطاب نرى أنه في ظل مجموعة من المبادئ التحادثية يتم بيان المستويات الدالة على التماسك من خلال مشاركة بقية أطراف المحادثة التي تبدو داخل الخطاب بمثابة تنويعات تفسيرية تقوم بالأساس على الطرح الدلالي والتداولي والمفاهيمي كذلك الخاص بوحدات هذه العبارة.

فإذا كانت هذه العبارة عبر الطبيعة الاقتباسية والأداء المجازي الذي تسلكه داخل الخطاب قد كشفت المعنى على النحو الذي يجعلها قد نهضت بشكل أو بآخر على الإيحاء بهذا المعنى، وليس على الكشف عنه، فإنها قد خاطبت من خلال هذا ثقافة المتلقين وملكاتهم الذهنية واللغوية حتى يتم لهم استجلاء مستويات هذا المعنى على المستوى الدلالي والتداولي.

داخل سياق الخطاب موضع التحليل ساعد استخدام [إنما] داخل التتابع التالي:

الحر: بل عليك..
سعيد: ما على الأعمى حرج
الحر: لست أعمى يا سعيد بن سعيد
الحسين: إنما تعمى قلوب في الصدور

على الانتقال بمفهوم (العمى) من الدلالة الحسية إلى دلالة أخرى معنوية؛ مما فتح الطريق أمام الأدوار التالية كي تعمل على معالجة المعنى الذي تم التأكيد عليه من خلال الاستخدام التداولي للأداة «إنما».

ومما دعم تماسك هذه المنطوقات والأدوار التالية لها استخدام هذه الأدوار لبعض الموارد اللفظية التي تدعم هذا المفهوم وترتبط به، وتم ذلك من خلال ما يصطلح عليه بـ«توسيع الاستثارة»[(١)] الذي خصت به دالة العمى داخل هذا التتابع؛ وينتج عن هذه الاستثارة وتوسيعها «إنشاء ترابطات مفصلة، وتكوين فرضيات وتوقعات، ونشر صور ذهنية، وما إلى ذلك»[(٢)]، وأحسب أن الألفاظ التي تمت استثارتها ما زالت تراهن على أهمية ربط هذا المفهوم وما يتضمنه من رصد لموقف المتلقي بالنسق القيمي والأيديولوجي للمجتمع. كما أزعم أن الوصول إلى مثل هذا التوسيع إنما يتم تحققه بعد أن تتحقق للمشاركين القدرة على فهم الدلالات المستثارة وتوظيفها داخل الخطاب بما يتناسب والأغراض التي يرمون إليها.

فإذا كانت هناك عبارتان للاستشهاد داخل هذا الخطاب، فإن التفصيل الذي دار إنما حدث بشأن الثانية منهما [إنما تعمى قلوب في الصدور]، وكأن المشاركين قد وصلوا إلى درجة ما من القناعة بأن هذه العبارة ليست فقط قادرة على فعل تأثير أقوى من العبارة الأولى، بل لأنها تصل بالمتلقي إلى مساحة معرفية مشتركة، لا يمكن له منازعتهم فيها؛ ومن ثم فقد عمل المشاركون على معالجة هذه العبارة، واقتضت هذه المعالجة العمل على بيان وتثبيت بعض الدلالات والمفاهيم التي تستثيرها العبارة وتقرير علاقتها بموقف المتلقي [الحر]، وتمت المعالجة على النحو التالي:

---

(١) انظر دو بوجراند وآخرين ١٩٩٢ ص ١٢٥. ومأتى هذا التوسيع استثارة إحدى مفردات المعرفة لمفردات أخرى ذات صلة وثيقة بالمخزون الذهني الخاص بها.

(٢) نفسه.

برير: كيف لا تبصر نور الحق يا حر وهذا الحق أنبج أم ترى أغريت كما أغرى من قبل صديقي شيخ مذحج.

سعيد: أيها الحر الرياحي أتمشى في ركاب ابن الدعي أنت يا أشجع أهل الكوفة الأحرار يا أحكم من فيها تضل ؟ كيف بالله يصير العيش إن كان الفتى الحر يذل ؟

فلقد استفهم [برير] مستنكراً عدم قدرة الحر على تمييز نور الحق والدفاع عنه، وتعجب من انخداعه بمعسكر يزيد، ثم دفع [سعيد] بتعظيمه للحر واستنكاره هذا الولاء منه لابن الدعي وعدَّد الصفات التي يتسم بها الحر والتي يمتنع معها حدوث مثل هذا الولاء.

إن الأقوال التي جاءت معبرة عن هذه الأفكار جاءت كي تربط بين (انتفاء القدرة على التمييز - الإغراء - الذل) وبين (الحرية - الشجاعة - الحكمة) ولعل المجموعة الأولى من هذه المعاني ترتبط على نحو وثيق بدلالة عبارة الاستشهاد [إنما تعمى قلوب في الصدور]، فبالرغم من السمات التي يتميز بها الحر من حرية وشجاعة وحكمة والتي تكونت لدى المشاركين عبر الصورة الاجتماعية لشخصيته إلا أنه لم يكن قادراً على التمييز بين الحق والباطل؛ فأغرى به ووقع تحت وطأة الذل.

هذه المعالجة كما رأينا طرحت مجموعة من العلاقات التي تحقق التماسك الداخلي الخاص بهذه العبارات من جانب، كما عملت على تفصيل وشرح ما جاءت به عبارة الاستشهاد من جانب آخر، ولعل من أهم علاقات التماسك الداخلي ما يلي:

لا تبصر...... نور الحق	تضاد
وهذا الحق أنبج	تخصيص
أغريت...... كما أغرى من قبل صديقي شيخ مذحج	تخصيص - مثال
يا أشجع أهل الكوفة الأحرار يا أحكم من فيها	تأكيد
أشجع - أحكم...... تضل	تضاد
الفتى الحر...... يذل	تضاد

فهذه العلاقات التي تحقق ترابط العبارات معطوفا عليها تنوع مستوى القوة الإنجازية الخاصة بكل منهما وفق المحتوى الدلالي للعبارات[١] التي تتكون منها هذه المتوالية تعكس في نهاية الأمر مستوى من الصلات التي تربط بينها وبين عبارتي الاستشهاد وما نتج عنهما من مفاهيم ووحدات دلالية.

هذه العبارات ترصد عبر محتواها الدلالي مواقف المتلقي أو قل إنها ترصد الصورة الاجتماعية لشخصية المتلقي، وهي الصورة التي ترتبط بعبارتي الاستشهاد باعتبارهما رصدا لسلوك يختلف عما يمكن التنبؤ به لشخصية تمتلك مثل هذه الصورة. والسؤال الآن عن مقاصد المشاركين من مثل هذه المعالجة، ومقاصدهم من مثل هذا الرصد الذي يختلف عن رصد كل من عبارتي الاستشهاد السابقتين، وذلك باعتبار أن النوايا والمقاصد لها تأثير فاعل في تشكيل بنية الخطاب[٢].

إن هذه المعالجة تعادل ما يسمى «استراتيجية الاندماج»، هذه الاستراتيجية تعد إحدى الخصائص السيميائية للخطاب، وتنشأ بحسب تشايف من خلال التفاصيل الدقيقة للخطاب[٣]، وتهدف هذه الاستراتيجية إلى خلق علاقة مع المستمع بحيث تثير في داخله «فهما يدرك معه أنه مشترك بين الطرفين»[٤]، فقد سيقت عبر هذه المشاركات تفاصيل تعكس العلاقة بين بعض المفاهيم التي تطرحها وبين دالة (العمى) داخل عبارة الاستشهاد، هذه التفاصيل تعكس قدرا غير ضئيل ليس فقط من المناسبات

---

(١) بشأن العلاقة التي تربط بين القوة الإنجازية والمحتوى الدلالي انظر: *Mitchell S. Green (2000)*، وكذلك د. محمد العبد (٢٠٠٥) ص ١٣٨ وما بعدها.

(2) see B. Grosz & C. Sidner (1986).

(٣) انظر د. مازن الوعر (١٩٩٤) ص ١٧٩.

(٤) انظر مايكل كاريذرس، ترجمة د. شوقي جلال ١٩٩٠، ص ١٩٠.

الدلالية، بل والسيميائية بينهما، ومن بين هذه الملفوظات: لا تبصر / أغريت / تضل / يذل.

إن مثل هذه الملفوظات تعمل في تحريك المتلقي - باتجاه استجابة محددة تتماشى وأهداف هذا المعسكر[1] - على تشغيل هذه الملفوظات لمحتوى سلوكي يتقرر رفضه من جانب المتلقي اعتماداً على النسق القيمي الخاص بهذا المجتمع[2] الذي يرفض مثل هذه المعاني من جانب، وعلى الصورة الاجتماعية لشخصية المتلقي من جانب آخر.

والحقيقة إن طابع الاستمالة التي قد يصبغ هذه الحالة التواصلية يشير إلى ضرورة أن يكون المشاركون على وعى تام بحاجة مثل هذا المتلقي إلى الشعور بالتضامن من ناحية وتأكيد علاقات حميدة سابقة تجمعه بهم من ناحية أخرى، الأمران اللذان يوحيان - بدرجة كبيرة - بنوع خاص من عاطفية المحادثة.

وربما تشير القوة الإنجازية الخاصة بهذه الملفوظات إلى حالة من حالات الضبط الاجتماعي التي يمارسها المشاركون على سلوك المتلقي مستغلين في هذا مجموعة من مفردات النسق القيمي (الحق / الشجاعة / الحرية... الذل / الضلال) الذي يرفض المضامين النفسية الخاصة

---

(١) قد تعادل هذه الاستجابة حال حدوثها من المتلقي ما يطلق عليه أرثر شتشكومب «الانتقاء الاجتماعي» حيث عرفه بأنه «نمط يكون للفعل فيه نتائج سارة بالنسبة للآخرين الذين يكافئون وبالتالي يعضدون هذا السلوك». انظر: ميشيل تومبسون، ريتشارد إليس، و آرون فيلدافسكى، ترجمة: د. على سيد الصاوي (١٩٩٧) ص ٣٢٥.

(٢) يرى توماس لوكمان أن «الفرد يتأقلم مع أنماط المواقف والأفكار والقيم التي تشكل ثقافة ما عن طريق اللغة بصورة أساسية». انظر: توماس لوكمان تعريب د. أبو بكر أحمد باقادر ١٩٨٧م، ص ١٢-١٣. كما أكد رونالد بيرت على أن «المدركات والتقييمات تتأثر بشكل واضح بالسياق الاجتماعي الذي صنعت فيه». انظر: ميشيل تومبسون، ريتشارد إليس، وآرون فيلدافسكى، ترجمة: د. على سيد الصاوي (١٩٩٧) ص ٣٠٠.

بمجموعة الملفوظات التي وردت داخل هذه المشاركة انعكاسا لدوال عبارة الاستشهاد.

وإذا كان التأويل تتحكم به سلسلتان من المؤشرات والعلاقات، الأولى متضمنة في النص نفسه، والثانية داخل السياق الثقافي فإن الانتقال المفترض من وضعية يرسمها التعبير الاستشهادي إلى وضعيات تختلف درجات انتسابها إليه إنما يتم ليس فقط من طريق الدوال المكونة لهذا التعبير أو «المعلومات السياقية السانتجمية إذ إنها وحدها غير كافية للإحاطة بالدلالة»[1]، بل أيضاً من طريق هاديات موقفية يتلمسها المشاركون وبها يتم انتقالهم بين هذه الوضعيات مما يعبر عن بعض جوانب الحركية التواصلية الخاصة بعبارة الاستشهاد.

إن أفضل ارتباط يمكن من خلاله الإفصاح عن دلالة عبارة الاستشهاد هو ذلك الارتباط الذي يمكن عقده بين هذه العبارة وعبارة أخرى وردت على لسان صاحب عبارة الاستشهاد [سعيد]، فإذا نظرنا إلى هذه العبارة:

سعيد: أيها الحر الرياحي أتمشى في ركاب ابن الدعي. أنت يا أشجع أهل الكوفة الأحرار. يا أحكم من فيها.. تضل ؟، كيف بالله يصير العيش إن كان الفتى الحر يذل ؟ !.

هذه العبارة تتصل بعبارة الاستشهاد: [ما على الأعمى حرج] من طريق التضاد الحاصل بشأن موقف الحر من ناحية، والتضاد بين القوة الإنجازية والفعل التأثيري الخاص بكل عبارة من ناحية أخرى.

إن النداء التعظيمي والاستفهام الاستنكاري والتعجبي، والوصف والاشتقاق والتضاد - وغير هذا مما ظهر في هذه العبارة - يعكس لنا درجة التحول في مواقف الحر الرياحي من شخصية لها تلك التركيبة النفسية ذات الصفات الإيجابية إلى تلك التي أضحت تمتلك صورة اجتماعية مرفوضة من قبل النسق القيمي الخاص بالضبط الاجتماعي. إن

---

(١) فلاديمير بروب ترجمة د. إبراهيم الخطيب ١٩٨٦م، ص ١٨.

هذا التحول إنما يؤشر على صحة القضية التي تطرحها عبارتي الاستشهاد.

كما تشير آليات هذه العبارة [النداء - الاستفهام - الوصف - الاشتقاق (الحر / الأحرار/ الفتى الحر) - التضاد] إلى محاولة استمالة وتقويم للمتلقي يهدف به شركاء الموقف التواصلي إلى عودة هذه الشخصية إلى تلك الصفات التي قرروها من خلال عباراتهم على النحو الذي يجعل الدلالة النهائية الخاصة بالمحادثة تأخذ طابع التوجيه بقصد تعديل سلوك المتلقي.

مما سبق يمكن القول بأن دوال الاستشهاد أسست عبر ظهورها مجموعة من الدلالات التي اتسعت دوائرها بعيدا عن مجرد التقنية البلاغية لفعل الاقتباس لتشمل مجموعة من الترابطات عمل المشاركون على استجلاء جوانبها من خلال فعل تأويلي يقوم برصد الصلات والروابط بين هذه الدوائر وبين دوال عبارة الاستشهاد؛ وعليه يمتاز النموذج موضع التحليل بعدة علاقات دلالية وتداولية بين منطوقاته بعضها ببعض تسهم في ترابط هذه المنطوقات.

[٢] مبدأ الأزواج المتجاورة:

يمكن تطبيق مبدأ الأزواج المتجاورة على النموذج بالتخطيط التالي:



يشير التخطيط السابق إلى ترابط منطوقات الخطاب من خلال ما يعرف بالأزواج المتجاورة، ونلاحظ هنا تنوع صور هذا الترابط، فبينما تترابط بعض المنطوقات تبعا للشكل البسيط للأزواج المتجاورة بأن تأتي على الصورة [الجزء الأول - الجزء الثاني] دونما توسعة قد تحدث لأحد هذين الطرفين، نجد في المقابل بعض الأدوار التي تأتي على الصورة الموسعة كالتوسعة البعدية المشار إليها في التخطيط السابق.

ولعل الملاحظة السابقة لابد وأن تقرأ في ضوء العلاقة التي تربط بين ظاهرة الأزواج المتجاورة وموضوع الخطاب، ومعنى هذا أن ترابط الصورتين السابقتين لأنماط الأزواج المتجاورة إنما يتم من خلال النظر إليها على ضوء علاقتها بموضوع الخطاب.

وهنا تجدر الإشارة إلى مصطلحين مختلفين هما: تغير الموضوع، وتحول الموضوع، ويشير الأول إلى أن تغير الموضوع لا يتصل بالحديث داخل الأدوار الأولى، وبالتالي فإن هذه التغيرات تقوم بتوظيف مراجع جديدة تتسبب في سلسلة من المنطوقات التي تشكل معا مسارا مختلفا للحديث، ويشير الأخير إلى مجرد الانتقال من أحد مظاهر الموضوع إلى مظهر آخر يتصل بهذا الموضوع[1].

ويمكن القول إن عبارة سعيد [ما على الأعمى حرج] قد افتتحت موضوعا جديدا للخطاب، ولكنه لا ينفصل عما سبقه من خطاب وكأنها تشير إلى تحول من موضوع ما إلى موضوع فرعي يتصل بسابقه، ولكن ما

---

(1) see D. W. Maynard (1980): P. 264 , 271.

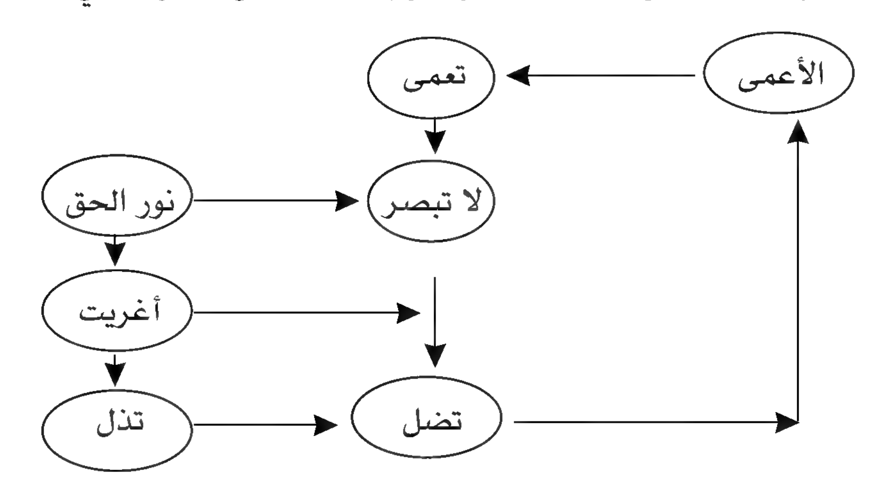
ويمكن أن نقيم صلة تجمع بين مصطلح ماينرد «تحول الموضوع *Topic Shift*» والمصطلح الذي قدمه كل من شيجلوف وساكس عام ١٩٧٣، وهو مصطلح «ظلال الموضوع *Topic Shading*» حيث يشير هذا المصطلح إلى عدم انطواء المنطوقات على تركيز خاص لإنهاء الموضوع، بل بالأحرى مناسبة تركيزات مختلفة تتصل بالمنطوقات الأخيرة داخل عملية تطور الموضوع. انظر *Schegloff & Sacks (1973): P.305*

حدث هنا في هذا النموذج إنما هو تنمية لهذا الموضوع الفرعي حيث ارتبطت بها عبارة الحر كجزء ثان في الزوج، ومن ثم ارتبطت بها عبارة الحسين [إنما تعمى قلوب في الصدور] التي جرت تنميتها وتوسعتها، وهكذا تترابط المنطوقات وتتم التوسعة، ولكن جميع هذه الأدوار تدور في فلك الموضوع الذي أثارته عبارة الاستشهاد الأولى في هذا النموذج.

ومما سبق يصدق مصطلح «تحول الموضوع» على الأجزاء الأول من الخطاب موضع التحليل إلى العبارة التي ساقها الحر [قد سألت الله ألا أبتلى يوما بأمر للحسين] حيث شكلت هذه العبارة وما بعدها مسارا مختلفا لموضوع الخطاب على النحو الذي يصدق عليه المصطلح «تغير الموضوع»، ولكن هذا المسار يتصل بعبارة الحر التي تم إيرادها في بداية التخطيط السابق [بل عليك]؛ وبالتالي يكون القسم الذي يبدأ بعبارة الاستشهاد الأولى وينتهي قبل عبارة الحر [قد سألت الله...] يمثل بمجموعه تحول في موضوع الخطاب، ولكن منطوقات هذا القسم مترابطة من خلال مبدأ الأزواج المتجاورة.

[٣] مبدأ التداخل:

يمكن القول تبعا لمبدأ التداخل إن دالة [العمى] داخل التتابع الخطابي السابق استدعت دوالا إيحائية أخرى ارتبطت بها على النحو التالي:



ولعل ما سبق يمكن أن يكشف عن جانب مهم من جوانب استخدام عبارة الاستشهاد داخل الخطاب؛ إذ إنها تمتلك خاصة إبداعية تؤكد تفسيرا محددا تنقله إلى المتلقي بشكل محكم، وتوضحه مسارات تأويلية أخرى يقوم بها المشاركون، هذه المسارات من شأنها إذا ما كانت فاعلة أن تؤثر في المتلقي وتغير فكره وتجعله وفق خطط المتكلمين يلتمس سلوكا محددا تتضح به توجيهية العبارة.

ويتصل بمبدأ التداخل ورود لفظ [الحر] داخل منطوقات التتابع على صنفين تركيبيين لكل واحد منهما دلالة مختلفة، الصنف الأول ورد كاسم علم، والثاني ورد نعتاً. وأحسب أن العلاقة بين الاسم والمسمى على المستوى اللغوي ليست لازمة، ولكن هذه العلاقة - إذا ما درست على المستوى الاجتماعي - قد تأخذ أبعاداً جديدة توضح مجموعة الأسباب الاجتماعية التي تكمن وراء استعمال هذه الأسماء، والعلاقة بينها وبين السلوك الصادر عن أصحابها، فعلي سبيل المثال يرى أفلاطون «علاقة التسمية بالمسمى في قسم منها طبيعية، ولكنه يؤكد أهمية العرف ودوره في تثبيت هذه العلاقة وإكسابها بعدا اجتماعياً»(1)، ومثل هذا ما ينعكس على استخدام لفظ [الحر] نعتا في أسلوب النداء «أيها الحر الرياحي»، وهو استخدام موظف في إطار المحادثة باعتبار الخلفية الثقافية والاجتماعية والتصورات التي تصاحبها عن فكرة الحرية والشخصية التي تتصف بها.

إن الفكرة (الحرية) والشخصية (الحر) لابد أن تتم الإشارة إليها من خلال الفعل، وبالتالي أضحى التلازم بين الاسم المستخدم نعتا والمسمى على المستوى الاجتماعي يقع في علاقة مقابلة مع الفعل [الانضمام إلى المعسكر اليزيدي] الذي صدر عنه، وهذا ما عبرت عنه عبارة للحسين قال فيها: فلتكن حراً كما سميت حراً(2).

---

(1) د. محمود فهمي حجازي ١٩٩٨: ص ١٩.

(2) عبد الرحمن الشرقاوي ٢/ ص ١٠.

الفصل الثاني

الاستشهاد وفعل الرفض

تمهيد

دائما ما يشير علماء اللغة الذين يهتمون بالبعد الاجتماعي الخاص بها، وكذلك دارسو الخطاب إلى أنه يمكن النظر إلى اللغة كوسيط تتم من خلاله عملية «بناء وإقامة الأحداث الاجتماعية»[(١)]، ولعل المقاربة الخطابية تميل إلى حد كبير إلى أن تتعامل مع الحديث والنصوص على أنها إحدى أشكال الفعل الاجتماعي *Social Act* التي يتم الدفع بها من أجل إنجاز أحداث اجتماعية مثل: [الإقناع - اللوم - الإنكار - التفنيد والدحض - الاتهام، وغيرها][(٢)].

ومن هنا ننظر إلى الرفض الذي يدل عليه استخدام عبارة الاستشهاد في موقف محدد على أنه حدث اجتماعي يتم إنجازه عبر بنيات لغوية تشير إليه مع التأكيد على ضرورة مناسبتها للسياق الذي تظهر خلاله، ومن هذا المنظور يتم النظر إلى اللغة على أنها الوسيلة التي يشكل بها الفرد رغباته من أجل أداء أفعال اجتماعية محددة.

إن رفض المتكلم لفعل محدد يتم بناء على طلب هذا الفعل منه، سواء أكان هذا الطلب مباشرا، صيغ بطريقة مباشرة، أو كان غير مباشر، تم للمتكلم استنتاجه من عبارات محدثيه، ويشترط في الطلب بأنواعه المختلفة

---

(1) See Derek Edwards (1991): P.517.

(2) Ibid.,

- كما ذكر فان دايك - أن تكون لدى المستمع القدرة والرغبة في إنجاز الفعل المطلوب[١]، ولكن مع انتفاء الرغبة يصبح الرفض هو الحالة الوحيدة المتخذة تجاه الطلب؛ ولكي يحظى هذا الرفض بالقبول من جانب أطراف الحوار لابد وأن يكون مبررا؛ أي يسوقه المتكلم مشفوعا بعدد محدد من الأدلة التي تدعمه، ويشترط في هذه الأدلة أن تشكل مجموعة المعاني التي يشترك فيها أطراف الحوار، ويسلمون بها؛ بمعنى أنها تشكل خلفية ثقافية ومعرفية يشتركون فيها.

---

(1) adapted from van Dijk (1985): P.134.

النموذج

السياق: اجتماع في قصر الوليد يحضره بعض أقاربه وبعض المعنيين بأمر البيعة ليزيد، كلهم يفاوضون الحسين من أجل انتزاع البيعة منه أو إقناعه بمثل هذا الأمر، ولكن الحسين يرفض أن يبايع.

الوليد[1]: (للحسين برقة) إن كنت ترجو يا حسين أن يظل لديك مالك

بل يزاد لك العطاء...

إن كنت تحرص يا حسين على السلامة

واجتناب لظى الفتن

إن كنت تحرص يا حسين على الحياة الآمنة..

الحسين: (مقاطعاً) ما لي وللحرص اللعين... ؟

الحرص ينقص قيمة الإنسان

لكن لا يزيد عليه حظه

كالخوف يهدر عزة الرجل الأبي

ولا يضيف لعمره المقدور لحظة !

سعيد: إن للمؤمن في الدنيا نصيباً ينبغي أن يحفظه

الحسين: أنا لا حاجة لي فيها.. فواقلة زادي !

آه من بعد السفر !

آه من طول طريقي وعظيم المورد !

إنما عيشك في الدنيا يسير !

كل أخطارك يا دنيا حقير

ايه يا دنيا إليك عنى !

الوليد: أنت والله شعاع

قد تبقى من سنا عصر النبوة

---

(١) الشرقاوي: ج ١ ص ص[٣٧-٤٠].

فاعتكف أنت لتدريس علوم الدين، والتقوى
وهم الآخرة.. !
ودع الملك لأهل الملك والدنيا
دع الملك لنا
الحسين: ليس ملكاً بل إمامة..
الوليد: نحن لا نطلب إلا كلمة
فلتقل «بايعت» واذهب بسلام لجموع الفقراء
فلتقلها وانصرف يا ابن رسول الله حقنا للدماء
فلتقلها.. آه ما أيسرها.. إن هي إلا كلمة
الحسين: (منتفضاً) كبرت كلمة !
وهل البيعة إلا كلمة ؟
ما دين المرء سوى كلمة
ما شرف الرجل سوى كلمة
ما شرف الله سوى كلمة
ابن مروان: (بغلظة) فقل الكلمة واذهب عنا
الحسين: أتعرف ما معنى الكلمة.. ؟
مفتاح الجنة في كلمة
دخول النار على كلمة
وقضاء الله هو الكلمة
الكلمة لو تعرف حرمة.......
ابن الحكم: وإذن ؟!
الحسين: لا رد عندي لمن لا يعرف ما معنى شرف الكلمة
الوليد: قد بايع كل الناس يزيدا إلا أنت... فبايعه
الحسين: **ولو وضعوا بيدي الشمس.. !**
ابن مروان: فلتقتله.. اقتله بقول الله تعالى...
ابحث عن آية... اقتله بقول رسول الله فيمن خرج على الإجماع.

السياق

سياق المصدر:

وردت في النموذج السابق عبارتان استشهاديتان على لسان شخصية الحسين، الأولى تمثلت في قوله: (كبرت كلمة)، والثانية في قوله: (ولو وضعوا بيدي الشمس)، وتشير الأولى إلى الآية الكريمة من سورة الكهف[٥]: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً﴾، والثانية إلى قوله صلى الله عليه وسلم: «**والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته**».

ووردت الآية الكريمة في سياق الإنذار الذي وجهه الله تعالى إلى ما يقول بأن لله ولد، فجاء في الجامع لأحكام القرآن ما نصه «قوله تعالى ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً﴾ وهم اليهود قالوا عزير ابن الله، والنصارى قالوا المسيح ابن الله، وقريش قالت الملائكة بنات الله، فالإنذار في أول السورة عام، وهذا خاص فيمن قال لله ولد ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ من صلة أي ما لهم بذلك القول علم، لأنهم مقلدة قالوه بغير دليل ﴿وَلاَ لآبَائِهِمْ﴾ أي أسلافهم ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ كلمة نصب على البيان أي كبرت تلك الكلمة كلمة، وقرأ الحسن ومجاهد ويحيى بن يعمر وابن أبى إسحاق (كلمة) بالرفع، أي عظمت كلمة، يعنى قولهم اتخذ الله ولدا، وعلى هذه القراءة فلا حاجة إلى إضمار، يقال كبر الشيء إذا عظم، وكبر الرجل إذا أسن ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ في موضع الصفة ﴿إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً﴾ أي ما يقولون إلا كذبا»[١].

وذكر الألوسي في تفسير قوله تعالى ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ «أي عظمت مقالتهم هذه في الكفر والافتراء لما فيها من نسبته تعالى إلى ما لا يكاد

---

(١) القرطبي: ج ١٥ ص ٦٧٨.

يليق بكبـرياته جل وعـلا..... الفـاعل هنا ضـمـيـر يرجع إلى قـوله تعـالى ﴿اتَّخَذَ﴾ الخ، بتأويل المقالة، وكلمة نصب على التمييز وكأنه قال: ما أكبرها كلمـة، وقـولـه تعـالى ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ صـفـة كلمـة تفـيـد اسـتـعظام اجتراءهم على النطق بها وإخراجها من أفواههم... والمراد به تعظيم الأمر في نفوس السامعين... وقرأ الحسن وابن يعمر وابن محيصن والقواس عن ابن كثير كلمة بالرفع على الفاعلية والنصب أبلغ وأوكد»[1].

وقوله تعالى ﴿كبرت كلمة﴾ يتحدد على الهيئة التركيبية التالية: [[فعل + فاعل [ضمير] + تمييز]] تحقيقا لحسن البناء وكمال الدلالة. دلاليا يفيد التـركيب تعظيم الفـاعل الذي يعـود على تأويل قـوله تعـالى ﴿اتخـذ الله ولدا﴾، وعلى المستوى التداولي تشير هذه الآية الشريفة إلى تعظيم هذا الأمر في نفوس السامعين وبيان فساده واستعظام النطق به لانتفاء العلم به من جانب وفساده في ذاته من جانب آخر.

وعلى هذا النحو فإن التركيب (كبرت كلمة) تركيب إحالي على مستوى سياق هذه الآية لعود الضمير على ما سبق فيه ومناسبته للمجال الدلالي الخاص بهذا السياق فيما تلا هذه الآية من الآيات التي ترتبط بها.

أما بالنسبة إلى سياق الحديث النبوى الشريف فقد روى ابن هشام في السيرة «مشى رجال من أشراف قريش إلى أبى طالب... فقالوا: يا أبا طالب، إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين... ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبى طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفسا بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولا خذلانه... [فـ]بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: يا ابن أخي، إن قومك قد جاءوني، فقالوا لي كذا وكذا، للذي قالوا له، فابق عليّ وعلى نفسك، ولا

---

(١) الألوسي تحقيق د. السيد محمد سيد، سيد إبراهيم عمران ٢٠٠٥، ج ١٥ ص ٢٧٨.

تحملني من الأمر ما لا أطيق، قال: فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه بداء أنه خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته**»[1]. فدل صلى الله عليه وسلم بهذا القول على إصراره على مواصلة ما هو فيه من الأمر من جانب، وعلى رفضه الإذعان لهم ولو ملكوه عليهم وجاءوا إليه بالشمس والقمر من جانب آخر.

وتنطوي العبارة في مصدرها على الدلالتين التاليتين: رفض الرسول صلى الله عليه وسلم الإذعان لهؤلاء الكفار، والإصرار على مواصلة ما هو فيه من الدعوة.

---

(١) ابن هشام المعافري تحقيق محمد بيومي ١٩٩٥، الجزء الأول، ص ١٦٣ - ١٦٥.

العبارة

إذا كان المتكلم في موقف محدد يقرر ما سوف يقوله وكيفية قوله فإن الهدف من بحث علاقة عبارة الاستشهاد بسياق الموقف يستدعي القول بأن استخدام المتكلم لعبارة محددة يتشكل في هذا الموقف عبر مظاهر خاصة بسياق هذه العبارة الذي يؤثر على نحو واضح في اختيار عبارة محددة للاستشهاد.

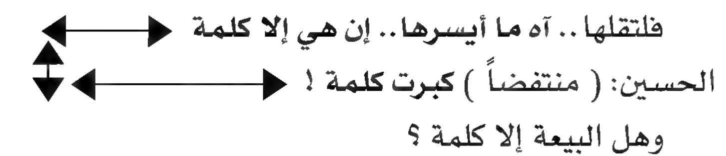
عبارة الحسين الأولى [كبرت كلمة] بهذه الصيغة التركيبية جاءت كي تتناسب مع سياق الموقف ومظاهره المختلفة، لنقل إن المتكلم قد اختار هذه العبارة واقتطعها من مقطع نصي كبير هو قوله تعالى: ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا﴾ عبر حذف الجزء الأخير من هذا المقطع، والسؤال الآن لم هذا الاختيار، ولم وقع هذا الحذف ؟.

وباعتبار ملاحظة بيكرينج وجارود السابقة التي ترى أن عملية إنتاج منطوق محدد تتوقف على ما سبقه من منطوقات[1]، فالسؤال تتغير طريقته ليصبح ما العلاقة بين اختيار هذا المنطوق على هذه الهيئة التركيبية وما سبقه من منطوقات ؟.

الوليد: نحن لا نطلب إلا كلمة

فلتقل «بايعت» واذهب بسلام لجموع الفقراء

فلتقلها وانصرف يا ابن رسول الله حقنا للدماء



فلتقلها .. آه ما أيسرها .. إن هي إلا كلمة

الحسين: (منتفضاً) **كبرت كلمة !**

وهل البيعة إلا كلمة ؟

---

(١) أشار بيكرينج وجارود إلى أن عمليتي الإنتاج والفهم الخاصة بمنطوق ما داخل المحادثة عمليتان مترابطتان؛ ففي تشكيل منطوق ما يسترشد المتكلم بما قيل له في هذا السياق، وفى فهم المنطوق يكون المتلقي مقيدا بما قاله المتكلم توا. انظر *M. J. Pickering & S. Garrod (2004): P.8*

ما دين المرء سوى كلمة
ما شرف الرجل سوى كلمة
ما شرف الله سوى كلمة

إن العلاقة بين هذا الاستشهاد وما سبقه تظهر لنا من خلال المناسبة التي تجمع بين قول الوليد: [آه ما أيسرها... إن هي إلا كلمة]، وقول الحسين: [كبرت كلمة]الذي يمكن تأويله على القول [ما أكبرها كلمة] وهي علاقة دلالية قائمة على التضاد بين محتوى كل من العبارتين الناجم أيضا عن اختلاف وجهات النظر في تقييم مراد الكلمة وما سوف يترتب عليها من نتائج سلوكية تلزم الحسين سلوكا اجتماعيا محددا بناء على هذه الكلمة إذ مرادها البيعة والطاعة لمن تمت مبايعته، وهذا من وجهة نظر المتكلم [الحسين] لا يستحق البيعة؛ وبالتالي لن ينطق الحسين بالكلمة التي سوف تلزمه هذا السلوك.

وهذا يبين من جانب آخر العلاقة بين القول والفعل الاجتماعي على النحو الذي بينته النظرية الخاصة بأفعال الكلام[1]، فعبارات الوليد التالية:

الوليد: **فلتقل** «**بايعت**» واذهب بسلام لجموع الفقراء
فلتقلها وانصرف يا ابن رسول الله حقنا للدماء
فلتقلها..

تحيلنا إلى قول اوستين: «من الضروري ودائما أن تكون المناسبات التي حصل فيها التلفظ بالعبارة هي ظروف مناسبة مخصوصة على وجه ما أو على وجوه كثيرة، كما أنه من الضروري للمتكلم ذاته أو غيره إما أن ينجزوا أيضا وكما جرت العادة القيام ببعض الأحداث سواء أكانت تأديتهم جسمية فيزيائية أو ذهنية، وإما أن يقوموا بأفعال من شأنها أن تتأدى فيما بعد

(١) لعرض تاريخي خاص بهذه النظرية ومنطلقاتها انظر *Barry Smith (1990): P.29-61.*

بالتلفظ بعبارات أخرى»[1].

إن اجتماع الحسين مع هؤلاء السادات المكلفين بأخذ البيعة منه وهذا المجلس وتلك المناقشة الجادة هي ما تحدث عنه اوستين بقوله «المناسبات: ظروف مناسبة مخصوصة على وجه ما » مما يجعل النطق بمثل هذه الكلمة – [فلتقلها] – من شأنه أن يقوم الحسين – كما يقول اوستين – «بأفعال من شأنها أن تتأدى فيما بعد بالتلفظ بعبارات أخرى» مثل التي يطلب الوليد من الحسين النطق بها، وبالتالي شكل التضاد والاختلاف الخاص بمفهوم البيعة لدى كل من الوليد والحسين عائقا يقف في طريق نطق الحسين بهذه الكلمة التي يلزم عنها ضرورة القيام بأفعال اجتماعية محددة تترجم عن لازم هذه الكلمة.

إن تركيب [كبرت كلمة] وفق الحدود التنظيمية التي تجمع بين هذا الفعل [كبرت] والتمييز [كلمة] مناسب على نحو كبير لسياق الموقف، وهنا تظهر العلاقة التي تجمع بين التركيب ووظائفه داخل الخطاب حيث يكون اختيار المتكلم لخصائص تركيبية محددة يتشكل عبر المظاهر الخاصة بسياق منطوق هذا التركيب.

العبارة الثانية:

اختار المتكلم العبارة الثانية عبر اقتطاعها من خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم لعمه أبى طالب، وحدد منها مقطعا واحداً هو التركيب الشرطي غير المستقل: [الأداة + فعل الشرط]، مما ينطوي على حذفه العناصر التركيبية الأخرى التي وردت في الحديث الشريف، وهي التركيب الشرطي المستقل [جواب الشرط].

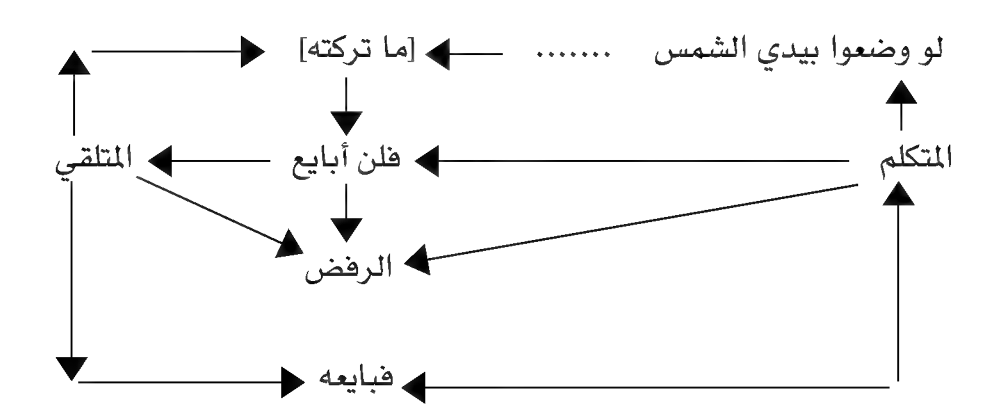
فجاء تركيب عبارته [ولو وضعوا بيدي الشمس....]، وهو تركيب يجمع بين الأداة الشرطية [لو] والجملة الفعلية ذات الفعل الماضي [وضعوا بيدي

---

(١) ج. ل. اوستين ترجمة عبد القادر قنيني ١٩٩١، ص ١٨، ١٩.

الشمس]، ودلالة لو الشرطية أنهم جعلوها «لما كان سيقع لوقوع غيره»[1] على المعنى الذي يكون به تحقق الجواب مشروطا بتحقق الشرط، وهي [لو] تربط بينهما «في الماضي على سبيل التقدير وإن دخلت على المستقبل»[2].

والتركيب على هذه الصورة يجعل مضمون التركيب غير المستقل غير قابل للتحقق، فأمرها عرفيا ينطوي على الاستحالة، ومن ثم يكون التركيب المستقل [الجواب] غير قابل للمفاوضة حيث إنه لن يتحقق - من وجهة نظر المتكلم - بأي حال من الأحوال لاستحالة تحقق شرطه، وبالمعنى السابق انطوى التركيب على حدث اجتماعي تمثله حالة من الرفض مخصوصة باستحالة تحقق شروط الإيجاب والقبول، والمسألة المهمة في هذا السياق هي عملية الحذف التي انطوى عليها إيراد المتكلم فقط للتركيب غير المستقل بالشكل الذي يترك معه استكمال هذه العبارة الشرطية للمتلقي



وكأن المتكلم يؤسس مراده باستخدام هذه العبارة من طريق اعتماده على الخلفية المشتركة بينه وبين المتلقي، فالمتكلم لديه بهذا افتراضات متعلقة بما يعرفه المتلقي من جانب وما يشكل خلفية يشتركان فيها من

(١) انظر سيبويه: ج ٤ ص ٢٢٤.

(٢) انظر أبا البقاء الكوفي: ص ٧٨٥.

جانب آخر؛ فالحذف هنا وفق التخطيط السابق له دلالته المميزة، فهو «يثير ذهن المتلقي، ويلفت انتباهه؛ فيقوم هذا المتلقي بتخيل ما هو محذوف وصياغته على نحو يؤدي إلى اكتمال المعنى»[١].

والسؤال هنا عن العلاقة التي تجمع هذه العبارة بما سبقها من عبارات وأدوار كلامية ومناسبته لهذه الأدوار، ولعل الجانب التركيبي الذي انطوت عليه هذه العبارة قد يؤشر على نحو دقيق لهذه العلاقة من جانب، وللعلاقة بين هذه العبارة وسابقتها [كبرت كلمة] من جانب آخر؛ فالحذف الواقع في هذه العبارة لابد له من دليل يقوم عليه إذ «يجوز حذف جواب الشرط لقرينة...، ويكثر حذفه إذا تقدم عليه ما ينوب منابه كجواب القسم وكتقديم ما يدل عليه»[٢]، ولعل بيان هذه العلاقة يقتضي النظر إلى ما جاء في النموذج موضع التحليل على النحو التالي:

الحسين: لا رد عندي لمن لا يعرف ما معنى شرف الكلمة

الوليد: قد **بايع كل الناس** يزيدا إلا أنت... فبايعه ←

الحسين: **ولو وضعوا بيدي الشمس**.. ! →

ابن مروان: فلتقتله.. اقتله بقول الله تعالى...

ابحث عن آية... اقتله بقول رسول الله فيمن خرج على الإجماع.

فعبارة [قد بايع كل الناس يزيدا إلا أنت... فبايعه] هنا على علاقة وثيقة بعبارة الحسين، وهي كذلك دليل الحذف الحاصل في تركيب الجواب الذي يؤدي إلى كمال دلالة الجملة الشرطية، ولعل العلاقة بين هذه العبارة وما سبقها من قول الوليد هي ذاتها العلاقة السابقة بين عبارة [كبرت كلمة] وما سبقها أيضا من قول الوليد، مما يدل على أن المتكلم يصوغ دوره بالنظر إلى الدور والمنطوق الذي سبقه.

---

(١) د. فتح الله أحمد أحمد سليمان (١٩٨٦): ص ٢٣٣.

(٢) انظر ابن هشام: ص ٣٤٣. وأبا حيان الأندلسي تحقيق مصطفى أحمد النحاس ١٩٨٧، ج ٢ ص ٥٥٨.

ومن خلال ما سبق في هذا القسم تكون العلاقة بين دراسة التفاعل ودراسة اللغة، والترابط بينهما له أثر كبير في فهم البناء اللغوي للأنماط النحوية المستخدمة في عملية التفاعل، وبناء عليه فإن استخدام الحسين للتركيب الشرطي غير المستقل وحذفه التركيب المستقل جاء وفق محاولته استخدام أنماط تركيبية تسهم بدور فاعل في تنفيذ هذا الحدث الذي تنطوي عليه هذه البنية، وهو [الرفض].

فكأن الحسين بعبارته الأولى يستدعي كبر الكلمة في الافتراء والكذب، والتقليد والقول بغير دليل أو سند. ويستدعي بالثانية الرفض، والإصرار على مواصلة ما هو فيه من الدعوة إلى نفسه، والمعاني جميعها بينها ترابط محدد يجعل هذه المضامين تدور في فلك الرفض.

الإحالة:

لعل قضية الإحالة - من وجهة نظري - قضية متعددة الأبعاد خاصة إذا تم تخصيص هذه الأبعاد بعبارة من نوع متميز كعبارة الاستشهاد، فهي قضية دلالية وسياقية أيضا على النحو الذي نربط به المجال الإحالي والدلالي الخاص بهذه العبارة ربطا وثيقا.

ولقد أشار كل من جارود وسانفورد إلى أن فهم العلاقات الإحالية بين المنطوقات يثير نوعين من المشكلات، أحدهما يتعلق بتقرير أى زوج من الجمل يرتبط على الشكل: [سالف - إحالي]، والنوع الثاني يشير إلى المشكلة التي تتعلق بالتأويل، وهي كيف أن المعلومات التي تستقى من هاتين الجملتين يمكن أن تفسر دلاليا وفق التحديد السابق الخاص بالعلاقة بين زوج من الجمل إحداهما سالفة والثانية إحالية[١] ؟.

وفي النموذج موضع التحليل قد تقع عبارة الاستشهاد الأولى: (كبرت كلمة) في علاقة مع ما سبقها من حديث الوليد التالي:

---

(1) Simon Garrod & Anthony Sanford (1977): P.77.

الوليد: نحن لا نطلب إلا كلمة

فلتقل «بايعت» واذهب بسلام لجموع الفقراء

فلتقلها وانصرف يا ابن رسول الله حقنا للدماء

فلتقلها.. آه ما أيسرها.. إن هي إلا كلمة

وقد تقع كذلك في علاقة مع تلاها من كلام الحسين نفسه:

الحسين: (منتفضاً) كبرت كلمة !

وهل البيعة إلا كلمة ؟

ما دين المرء سوى كلمة

ما شرف الرجل سوى كلمة

ما شرف الله سوى كلمة

وبإمعان النظر في العلاقة بين دور *Turn* كل من الوليد والحسين نرى أن هناك علاقة تضاد من نوع خاص: عبارة الوليد ترى الكلمة [سهلة، يسيرة]، وعبارة الحسين ترى الكلمة [كبيرة، عظيمة الشأن]، إن هذه العبارة (كبرت كلمة) في سياقها القرآني كانت محددة على نحو صريح بكلام الكفر والكذب، أما «الكلمة» في هذا السياق فهي مستخدمة للإشارة إلى حديث قد يطول أو يقصر مفاده كذب القائلين به، ولكنها في سياق منطوق الوليد تعنى «البيعة» أو مجرد النطق بلفظ «بايعت»، وفي سياق منطوق الحسين تعنى مجموعة كبيرة من المفاهيم البعيدة كل البعد عن دلالتها في هذين السياقين وفق أبعاد هذه المفاهيم التي تنطوي عليها، فهي تطرح مجموعة من الدلالات التي تقع تحت مفهوم الكلمة، وهي بذلك تفتح مجالا للحديث يغاير بطبيعة الحال مجال الحديث السابق.

ولكن هل دالة (كلمة) في عبارة الحسين هي بعينها «الكلمة» التي نطق بها الوليد؛ وعليه فالثانية تعتبر إحالية بالنسبة لهذه السالفة؟ وهنا نسوق مثالاً جاء به براون ويول حيث ذكرا أن معرفة الأشياء القديمة أو الجديدة داخل الخطاب تتعلق بصفة أساسية بالصيغة التي تتضمن الوحدات الدالة

على هذه الأشياء[١] وبناء على هذا لو حدث أن راجعنا هذه الصيغة التي وردت ضمنها الدالة موضع التحليل [كبرت كلمة] نجدها تنحو بها بعيدا عن المدلول الخاص بسابقتها [ما أيسرها إن هي إلا كلمة]؛ وذلك حسب الطبيعة الاقتباسية أو الاستخدام الاقتباسي الذي يخص الـ«كلمة» بمفهوم محدد.

ولكن التحليل السابق ونتيجته إنما مأتاها في المقام الأول اعتبار الطبيعة الاقتباسية لعبارة (كبرت كلمة) التي تجعل السلوك الخاص بعناصر العبارة لا يماثل سلوك العناصر التي ترد في الخطاب ولا تحمل إشارة إلى اقتباس، فالطبيعة الاقتباسية لهذه العبارة على سبيل المثال لا تجيز استبدال (كلمة) هنا بالبيعة مثلا أو بغيرها من المفاهيم التي سوف يطرحها الحسين لمفهوم الكلمة مبينا أيديولوجيته تجاه هذا المفهوم.

وهنا لا بد من إيضاح أن عناصر عبارة الاقتباس في بعض السياقات تمتلك التفسير نفسه بالنسبة إلى النص المصدر كما هو لدى المتكلم البديل، وقد لا يحدث هذا في سياقات أخرى، وهذا معناه أنه إذا كانت الكلمات المقتبسة لا تعنى أكثر من دلالتها خارج حدود الاقتباس فإنه بإمكاننا التغاضي عن الطبيعة الاقتباسية لهذه الكلمات، ولكن السؤال هنا عما جعل المتكلم يأتي بعبارة تشير إلى اقتباس ولا تحمل عناصرها إلا الدلالة المعتادة - إن صح هذا التعبير - التي يمكن تحصيلها بالنظر إلى علاقاتها بغيرها من العناصر التي تشترك معها في التركيب ؟.

إن انفصال دلالة الكلمة في منطوق الحسين عنها في منطوق الوليد مأتاه العلاقة التي تجمع بين وحدات التركيب (ما أيسرها من كلمة)، ووحدات التركيب (كبرت كلمة)، بمعنى أن التضاد الحاصل بين التركيبين يتعلق بوصف وتقييم موضوع محدد هو الكلمة، كأن يقول أحدنا غير مقتبس: هذا الرجل طويل، ويقول الآخر: هذا الرجل قصير، وبالتالي فإن

---

(١) انظر براون ويول ترجمة د. محمد لطفي، ود. منير التريكي (١٩٩٧) ص ٢٢٣- ٢٢٤.

العلاقة بين المنطوقين إحالية إذ يتعلقان بموضوع واحد هو الرجل، إذ إن التعبير الإحالي يقدم تعبيرا مقدما عليه أو تاليا له داخل الخطاب يتحدان في المرجع من طريق العلاقة النصية أو الربط النصي، ومعنى هذا أن بين المنطوقين علاقة نصية إحالية [سالف - إحالي] مأتاها من جانب اتحاد المرجع، ومن جانب آخر كون منطوق الحسين مستخدما بطريقة غير اقتباسية تتحصل بها الدلالة المعتادة للعناصر المكونة.

من زاوية أخرى يمكن تبرير العلاقة الإحالية بين المنطوقين، وهي الزاوية التي نعقد فيها الصلة بين موضوع المنطوقين، فكلاهما يتعامل مع موضوع واحد هو الكلمة، ولكن المنطوق الثاني للحسين يلقى على «الكلمة» ظلالا مختلفة الأضواء[1] تجعله ينطوي على تحول في الموضوع وليس على تغيير هذا الموضوع[2].

وإذا عدنا إلى السؤال الخاص بالسبب وراء استخدام عبارة تشير إلى اقتباس ولا تسلك مسلكه فإن الإجابة عن هذا تعيدنا إلى ما ساقه فلويد لونسبرى من الأوضاع النفسية التي تنجم عن استخدام مثل هذه العبارة والتراث الذي تحمله [3] الذي يمارس تأثيرا محددا على المتلقي.

أما مضمون عبارة الحسين الثانية [ولو وضعوا بيدي الشمس..] فإنه يتعلق برد هذا الموقف الذي يتخذه كل من الحسين ومعسكر الوليد إلى ذاك الموقف الذي اتخذه النبي محمد صلى الله عليه وسلم من مشركي مكة في سبيل الدفاع عما أرسل به من دين جديد عارضه فيه هؤلاء المشركون، ومعنى هذا أن الإحالة في هذه العبارة هي إحالة ذهنية خارجية تثير في عقول المستمعين ذلك الموقف المشار إليه، مما يجعل دلالتها تنطوي على رفض المقترح الذي تقدم به هذا المعسكر.

---

(١) راجع مفهوم *Topic Shading* في *Schegloff & Sacks 1973, P. 305.*

(٢) راجع مفهوم *Topic Shift* في *D. W. Maynard, 1980,P.271.*

(3) See F. G. Lounsbury (1968): P. 46.

الدلالة:

ميز سيرل بين معنى المنطوق ومعنى المتكلم معتمدا في ذلك على أن المتكلم قد يعنى شيئا وراء المعنى الحرفي الذي يمكن أن يفهم من الجملة بمعزل عن قائلها؛ وبذلك رأى أنه «في حالة مطابقة المعنى الحرفي لمقصد المتكلم فإن المنطوق نفسه يعد منطوقا حرفيا أي غير محمل بمقاصد وراء التركيب النحوي [الجملة] التي يتلفظ به المتكلم ذاهبا بذلك إلى التفريق بين هذا المنطوق الحرفي والمنطوق الاستعارى»(١).

للوهلة الأولى تبدو عبارة الحسين بناء على ما سبق ذات معنى حرفي حيث قصد المتكلم بها ما يتأتي فقط من الدلالة التركيبية للجملة؛ وبذلك لا يكون التشابه بينها وبين عبارة استعارية مؤكدا إلا من خلال بيان قدرة هذه العبارة على حمل مقاصد المتكلم.

إن المعنى الظاهر من عبارة (كبرت كلمة) هو القول بعظم شأن هذه الكلمة وليس يسرها، والمعنى الكامن وفق التراث الخاص بهذا العبارة يتلخص في عظم «الكلمة» وخطورتها شأنها في ذلك شأن التقول على الله بأن له ولدا وكذب مثل هذا القول مما تستدعيه عبارة الاستشهاد من خلال علاقتها بالسياق السابق؛ وبالتالي فهذه العبارة [كبرت كلمة] تفتح دالة [الكلمة] على مجموعة دلالات مغايرة لمجرد حصرها في التلفظ بما يدل على البيعة، وذلك على النحو الذي يوضحه التخطيط التالي:

البيعـــة – دين المرء – شرف الرجل – شرف الله



الرجـــل – شـــرف الرجـــل – شرف الله – الحصن

---

(١) نقلا عن د.عيد بلبع (٢٠٠٥): ص ١٠٠.

إن هذا المدى الكبير من الدلالات التي تخرج إليها الكلمة يجعلنا نرى الحسين يريد أن يكون متعاونا مع هذا المعسكر على النحو الذي يتمثل فيه هذا التعاون في محاولة إقامة اعتقاد متبادل بينه وبينهم يمكنهم جميعا من فهم قيمة ودلالات الكلمة، وكأن عملية التدليل هنا هي عملية تعاونية قد يقوم بها طرف واحد من أطراف الحوار، وهذا يعيدنا إلى نظرية كلارك وفيلكس جيبس التي مفادها «أن المشاركين في محادثة ما عندما يقدمون مرجعا ما فإنهم يحاولون مع شركائهم إقامة اعتقاد متبادل يمكنهم من فهم هذا المرجع»[١]، وذلك حتى في الحالة التواصلية التي يمكن توصيفها بالمتعارضة؛ فالسلوك التواصلي تعاوني بدرجة كبيرة في جميع الحالات.

وعليه تكون جميع هذه العبارات التي ساقها الحسين قد جاءت لترسم صورة واضحة عن معاني الكلمة المتعددة، فإذا كانت هذه المفاهيم والمعاني الخاصة بالكلمة عند الحسين يشترك معه فيها أطراف الحوار فإن معالجة الحسين وتعدد الأدوار الكلامية التي اتخذها في سبيل بناء هذه المفاهيم وتأسيسها على الصورة التي تبدو بها جزءا من ثقافة هذا المجتمع يشترك فيها هو ومحاوروه تظهر شبيهة بما يسمى التغذية الراجعة التي تسهم من قريب أو بعيد في فتح قنوات التواصل بين الحسين وهذا المعسكر من خلال عملية التأسيس وعملية التراكم الذي يشير إلى ما يضيفه المتحدثون إلى خلفيتهم المشتركة في كل مرة يتواصلون فيها بشكل ناجح[٢]. ومن جانب آخر جاءت هذه الأدوار متسقة مع الدلالة النفسية للعبارة في سياقها المصدر حيث خصت فيه بتعظيم الأمر في نفوس السامعين وهذا يتطلب من المتكلم أن يزيد في بيان جوانب أخرى من جوانب تعظيم أمر هذه الكلمة من خلال تعديد الدلالات التي تنطوي عليها مع ملاحظة أن هذا التعديد

---

(١) راجع هذه النظرية وتطبيقاتها في *Deanna Wilks-Gibbs & H. H. Clark 1986 ; 1992..*

(2) see H. H. Clark & M. F. Schober (1992): P.21-22.

يتوقف على علاقته بالسياق ففي بعض السياقات قد يبدو هذا التعديد إيثارا للغو والثرثرة.

أما عبارة [ولو وضعوا بيدي الشمس] فإن دلالتها تستفاد على نحو جيد من خلال بعدين أحدهما تاريخي خاص بالواقعة التاريخية التي تشير إليها العبارة، والثاني خاص بالواقع الفعلي وما يضفيه البعد الأول عليه من خلال تراثه الخاص(١). فهذه العبارة تقتضى استحالة تحقق الشرط في حد ذاته، واستحالة تحققه من جانب الفاعل المزعوم له، وبناء على هذا فإن حذف الجواب المتعلق بهذا الشرط قد تم بطريقة أو بأخرى لحتمية هذه الاستحالة والوثوق من عدم تحققها؛ مما يزيد الرفض تأكيدا.

العبارة والوظائف التبادلية:

يشير النموذج موضع التحليل إلى حالة من حالات حواجز الاتصال التي تنشأ عن اختلاف المعتقدات والمفاهيم بين المتكلم والمتلقي، وتفترض إحدى المدارس أن التواصل بين *A* و *B*، على سبيل المثال، يفشل عندما لا يقبل *B* ما يقوله *A* كي يبدو حقيقة أو واقعاً، وأن هدف التواصل - في هذه الحالة - هو محاولة جعل *B* متوافقا مع آراء وحقائق وأفكار ومعلومات *A*(٢).

وطبقا لما عرضته هذه المدرسة من أسباب فشل التواصل بين شخصين لا يرى أحدهما ما يراه الآخر ولا يعتقد فيما يعتقده فإن النموذج السابق - موضع التحليل هنا - يمكن تصميمه كي يشير في ذات الوقت إلى الخطط التي يدعم بها كل متحدث رأيه وإلى الاستجابة الخاصة بكل خطة على حدة:

---

(1) see F. G. Lounsbury (1968): P.46.

(2) F. J. Rothlisberger (1952): P.89.

الخطة	المتحدث	الاستجابة	المتحدث
تقديم عرض محدد	[الوليد]	رفض هذا العرض	[الحسين]
تعزيز العرض	[سعيد]	رفض التعزيز	[الحسين]
تقسيم العمل	[الوليد]	تحديد المفاهيم ورفض التقسيم	[الحسين]
الأمر	[الوليد]	عرض حقائق	[الحسين]
الأمر	[ابن مروان]	عرض الحقائق	[الحسين]
طلب النتيجة	[ابن الحكم]	الرفض	[الحسين]
الأمر	[الوليد]	الرفض	[الحسين]

إن تدرج مستوى الطلب من العرض (نحن لا نطلب إلا كلمة) إلى الأمر (فبايعه) دفع المتلقي إلى الرفض بشكل قاطع تؤكده استحالة تحقق شرط قبول هذا العرض أو تنفيذ ذلك الأمر، وذلك في ظل عدم الوصول بالحوار إلى حالة محددة مما يمكن أن تتفق عليه أطراف هذا الحوار من مبادئ تؤسس لنجاح عملية التواصل أو تعزز من القول بأن الحوار كان مثمراً إلى حد كبير.

ومعنية ما سبق تتلخص في القول بأن طرفي الحوار يصدر كل واحد منهما عن خلفية مفاهيمية مختلفة، ويمكن والحال هذه وصف الخلفية المفاهيمية الخاصة بالحسين بأنها متعددة الرؤى أو أنها تقيمية بالمعنى الذي يجعلها تسير خلف مفهوم واحد هو [الكلمة] وتراه بعيد الأغوار يتماس مع العديد من دلالات النبل والشرف والمسئولية، في حين جاءت الخلفية الخاصة بمشاركيه في هذا الحوار خلفية أحادية الرؤية ومنغلقة ترى [الكلمة] لا تزيد عن كونها [كلمة] حتى ولو كانت غير مسئولة.

إن ما سبق قد يساء فهمه إذا لم ننظر إليه على أنه يشير إلى تلك الإمكانية التي يمكن من خلالها تصنيف الأشخاص بناء على ما يقولونه وما يفكرون به وما يعبرون عنه، وهذه الإمكانية تخضع لمباحث عديدة من الدراسات الخاصة بالخطاب التي تنطلق من المقولة التي ترى اللغة «أداة

اجـتـمـاعـيـة تسـتـخـدم في تشكيل الجـمـاعـات وانحـيـازاتهم وهوياتهم الاجتماعية»[1].

وتتـبـدى لنا عـملية التصنيف هذه في خطة تقسـيم العمل أو توزيع الأدوار، وهي الخطة المقترحة من قبل الوليد للدفع بالحسين باتجاه الموافقة على البيعة حيث تنطوي على محاولة الوصول إلى عرض ما يظن المتكلم أن المخاطب سوف يقبل به.

الوليد: أنت والله شعاع

قد تبقى من سنا عصر النبوة

فاعتكف أنت لتدريس علوم الدين، والتقوى

وهم الآخرة.. !

ودع الملك لأهل الملك والدنيا

دع الملك لنا.

هذا القـول ينطوي على خطة يدفع بهـا المتكلم بهـدف الوصـول إلى تسوية يراها من وجهة نظره تبدو مقنعة أو أنها سوف تلقى استجابة لدى

---

(1) see C. Goodwin & M. H. Goodwin (2000): P. 33.

فهارفي ساكس - وفق ما يشير إلى ذلك ديريك إدوارد - قام بدراسة التصنيفات الاجتماعية كجزء من الاهتمام الواسع بالأعمال الخاصة بالمحادثة، ويشير إدوارد إلى نظريتين تقعان في هذا المجال إحداهما يطلق عليها «نظرية الهوية الاجتماعية»، والأخرى تقع تحت مسمى «نظرية التصنيف الذاتي» وتنطوي الأخيرة *S C T* - مع تحليل المحادثة عند ساكس - على الكيفيات التي يصنف بها الأشخاص أنفسهم، ويرى ساكس أن التصنيف الذاتي يتشابه مع تصنيفنا لأي شيء آخر أو مع تصنيف أناس آخرين، فهذا أو ذاك إنما هو أحداث خطابية تتم داخل الحديث وتنجز عبر أعماله الجارية. انظر *Derek Edwards (1998): P.16FF*، وعلى كل فعملية التصنيف هذه قد تتأثر بعوامل سياقية عديدة، ويعكس مثل هذا التأثر إمكانية أن يصنف شيء ما أو شخص ما من قبل نفسه أو شخص آخر بطريقتين مختلفتين، وفى سياقين مختلفين أيضا.

متلقيها المراد بها غير أن مقاطعة مثل هذا القول من جانب المتلقي وسعيه في تحديد المفاهيم تدفع بهذه الخطة بعيدا عن حيز القبول من جانب الحسين الذي يرى أن الملك والإمامة أمران مختلفان تماما.

وعلى ضوء تلك المسافة الشاسعة بين مفهوم الملك ومفهوم الإمامة يعد الطلب الذي حرصت عليه أطراف هذه المحاورة وفق التخطيط السابق غير مقبول من جانب الحسين، فإذا كانوا يطالبونه ببيعة يتم على ضوئها انتقال السلطة، متجاوزا ما تعارف عليه المجتمع آنذاك، إلى ملكية خاصة تورث، فإن قبول مثل هذا من جانب الحسين يعتبر من وجهة نظره اغتيالا لسلوك اجتماعي مقرر.

ولعل محاولة الحسين الوصول إلى مفهوم «الإمامة» والتأكيد عليه يستدعي ما يترتب على هذا المفهوم من خطوات روتينية يتبعها هذا المجتمع في تحديد من يكون جديراً بها؛ مما يدفع بتصنيف الوليد للحسين فقط كرجل دين، وتصنيفه هو وأتباع يزيد كرجال ملك، إلى الخروج من دائرة القبول التي تتأسس وفق معتقدات وأهداف المتلقي.

هذا الرفض من جانب الحسين دفع الوليد إلى استخدام سلوك جديد لمحاولة إقناع الحسين بقبول مثل هذه القسمة:

الوليد: نحن لا نطلب إلا كلمة

فلتقل «بايعت» واذهب بسلام لجموع الفقراء
فلتقلها وانصرف يا ابن رسول الله حقنا للدماء
فلتقلها.. آه ما أيسرها.. إن هي إلا كلمة

إن السلوك المستخدم هنا في التعامل مع الحسين يكمن فيما يمكن أن يسمى اختزال المفهوم، وهذا سلوك عادة ما يتم في التفاعل الاجتماعي بهدف إنقاص قدر المفهوم المثار على الصورة التي يبدو بها هينا أو مباحا، ولعل الاختزال هنا وسيلة دفاعية يلوذ إليها الأفراد ذوى المجال النفسي غير السوي بهدف محاولة تحقيق أهداف خاصة بهم وقمع الإشكاليات التي قد

تثار إذا ما تم التحديد الخاص بهذا المفهوم شأنها في هذا شأن التبرير والإسقاط وغيرها.

إن توزيع الأدوار واختزال المفهوم خطتان سعى صاحب كل واحدة منهما إلى إقناع المتلقي بقبول ما تم عرضه عليه، وعلى ضوء هذين المبدأين العرض والقبول[1] فإن على المتلقي هنا أن يقدم الدليل على فهم وقبول ما تم طرحه، والحقيقة أنه ليس ثمة علاقة شرطية تجمع ما بين الفهم والقبول، فقد يفهم المتلقي ليس فقط معنى العبارة المساقة إليه بل أيضا معنى المتكلم ومقصوده بهذه العبارة، ولكن هذا لا يعنى أنه بالضرورة يقبل ما قد سيق إليه من قول، إذن تصبح المسألة هنا مسألة تقديم دليل القبول بدلا من تقديم دليل الفهم، وذلك في ظل الرغبات المتصارعة والقيم المتضاربة بين كل من المتكلم والمتلقي.

الطلب

الحسين.............|.............. الوليد

بيعة...............|............. كلمة

إمامة..............|.............. ملك

بيعة...............|............. ملك

كلمة

فالاختزال السابق لكل من البيعة والإمامة والملك إلى مجرد الكلمة بهدف قمع الإشكاليات المفاهيمية القابعة خلف تحديدات كل مفهوم من هذه المفاهيم لم يكن ناجعا؛ ذلك أن «الكلمة» وهي المآل الأخير في سلسلة الاختزال السابقة وجدت لها عند المتلقي ذات الأبعاد الدينية والقيمية التي تفوق بالفعل ما قد تم اختزاله، مما يؤشر على أن المتلقي لا يزال يرفض أن يجيبهم إلى هذا الطلب.

---

(1) H. H. Clark & S. E. Brennan (1991): P.130.

الحسين: (منتفضاً) كبرت كلمة !

وهل البيعة إلا كلمة ؟

ما دين المرء سوى كلمة

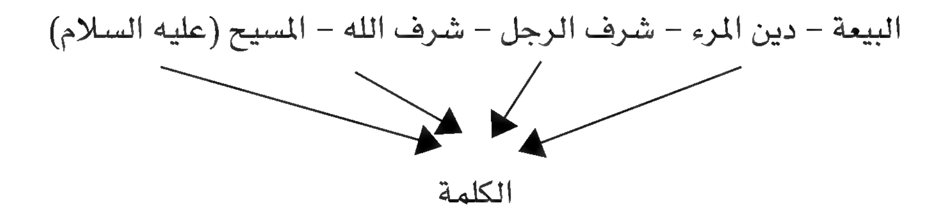
ما شرف الرجل سوى كلمة

ما شرف الله سوى كلمة

في الواقع النموذج موضع التحليل ذو علاقة كبيرة بما يسمى التقييم[١]، فتقييم الحسين للكلمة التي يطلبها الوليد منه كي تبدو مجرد كلمة يبايع بها كما فعل غيره حقنا للدماء، عبرت عنه مجموعة من المفاهيم الخاصة بهذه الكلمة التي تعددت عند الحسين لتصير متماسكة مع عديد من المعاني التي ربما يجب أخذها في الاعتبار عند النطق بمثل هذه الكلمة، ومن هذه المعاني:

---

(١) يعد التقييم هذا أحد الموضوعات الخاصة بدراسات تحليل المحادثة فمن خلال إحدى هذه الدراسات يمكن النظر إلى التقييم على أنه قد يشير إلى وحدة بنائية تقع في مكان محدد من المتوالية الكلامية، على سبيل المثال الصفة «جميل»، وينشأ عنها ما يمكن أن يسمى بوحدة التقييم التي هي جزء من فعالية التقييم، وكوظيفة للغة *]بالمعنى البراغي[* فإن فعالية التقييم هذه لا يمكن حدها بالكلمة أو مستوى تركيبي معين حيث تقع هذه الوحدات فوق الوحدات التركيبية، وعلى جانب آخر يمكن أن يستخدم التقييم ليشير إلى نوع محدد من الفعل الكلامي، ويطلق عليها من هذا المنظور الأفعال التقييمية، وينظر إليها على أنها نشاط تفاعلي لا ينتج الأفراد خلاله أفعالهم التقييمية الخاصة بهم فقط بل تؤخذ الأفعال التقييمية ذات الصلة عن الآخرين بعين الاعتبار، انظر *C. Goodwin & M. H. Goodwin (1987): PP.6-9.* وتتعدد الاستجابات الخاصة بهذا التقييم عند المتلقي، انظر *J. Heritage & G. Raymond (2005):PP.15-38*، وكذلك انظر *E. A. Schegloff (1997): P.179*، فقد يدفع التقييم المتلقي باتجاه استجابة محددة، وقد تكون لدى المتلقي استجابة مختلفة أو غير متوقعة.



ولكن بالرغم من هذا التقييم الذي يقبله العقل من جانب، ويتماشى مع عقائد هذا المجتمع وقيمه التي يعتز بها من جانب آخر إلا أن أطراف الحوار لا يشاطرون الحسين مثل هذا التقييم، ويتبين هذا من المشاركة التالية:

ابن مروان: (بغلظة) فقل الكلمة واذهب عنا.

إن الهدف الكبير الذي يسعى إليه أطراف الحوار هو انتزاع موافقة الحسين على البيعة بغض النظر عما يمكن أن يترتب على هذه الموافقة من نتائج، ولكن الحسين هنا يرفض هذه البيعة من خلال تقديم عدة تقييمات أخرى لما يطلب منه [الكلمة]

الحسين: أتعرف ما معنى الكلمة.. ؟

مفتاح الجنة في كلمة
دخول النار على كلمة
وقضاء الله هو الكلمة
الكلمة لو تعرف حرمة

ولكن هذه التقييمات لا تلقى أثراً ناجعا عند المشاركين في ظل ضغوط سياسية ومصالح شخصية بحتة يصدر عنها هؤلاء المشاركون.

إن استخدام الحسين لهذه التقييمات يمثل لعملية خطابية يطلق عليها كلارك وبرينان «التأسيس» وهو ما قصدا به محاولة المتكلم تأسيس ما يقال على النحو الذي يجعله جزءا من خلفية المشاركين المشتركة بينه

وبينهم[١]، ولكن في ظل مجموعة من الأطر الأيديولوجية التي يتحرك من خلالها مخاطب الحسين فإن نتاج كل هذا كان التغاضي عن هذه التقديرات وغض النظر عما هو كائن في الخلفية المشتركة بينهم.

ابن الحكم: وإذن ؟!

الحسين: لا رد عندي لمن لا يعرف ما معنى شرف الكلمة

الوليد: قد بايع كل الناس يزيدا إلا أنت... فبايعه

الحسين: **ولو وضعوا بيدي الشمس..!**

إن ما قصدنا إليه من خلال التعرف على الخطط والأهداف التي يسعى وراءها كل متكلم، والطريقة التي تمت من خلالها المحادثة بينهم، وكيفية ترتيب المتواليات الكلامية التي تشكلها، كل هذا كان من ورائه السعي إلى إثبات كون هذه الأشياء تشكل «النظام المصاحب لعملية التواصل انطلاقا من القول بأن التواصل نشاط متعدد الأشكال لا ينطوي فقط على استخدام اللغة المنطوقة، بل إن درجات العاطفية، ومحيط الحدث، وتنميط التبادل خلال التفاعل هي [أيضا] وسائل للتواصل بدون استخدام رموز واضحة» [٢] تسهم بدرجة كبيرة في تحقيق الغرض التواصلي الذي يسعى إليه المشاركون؛ ومن ثم يمكن القول بوجود أنظمة تواصلية متعددة يتطلبها تحقيق التفاعل الاجتماعي تشير إلى الميكانيزمات الخاصة بالتواصل[٣].

المظاهر الاستجابية:

توزعت الاستجابات ما بين المقاطعة والانتفاض والغلظة، وهذه المظاهر يمكن لنا تقسيمها إلى أنواع عديدة تبعا لموقعها من الحوار وعملية ترتيبه، أو تبعا لما ترافقه من العبارات؛ وعليه يمكن تصنيف عملية المقاطعة على

---

(1) see H. H. Clark & S. E. Brennan (1991): P.127-149. and R. C. Stalnaker (2002): P.701f.

(2) Ina C. Uzgiris (1996): P.23.

(3) see Tanya Stivers (2004).

أنها مظهر استجابي يتعلق بما يسمى «الدور» ، والدور في المحادثة يتطور وينمو من مجرد العلامة «mm» «التمتمة» أو أقل وحدة يمكن أن يعبر بها المتكلم عن هذا الدور إلى وحدات نحوية معقدة(١) . فالمقاطعة يمكن أن يشار إليها على أنها كسر لنمطية الدور المتاح للمتكلم.

أما مظهر الغلظة فيشير إلى ما يمكن أن نسميه بالسمات شبه اللغوية التي تصاحب المنطوق كأن يمارس على هذا المنطوق تنويع نطقي محدد يبين موقف المتكلم من المخاطب من جهة، أو موقفه من القضية التي يعبر عنها من جهة أخرى.

أما الانتفاض الذي عبر عنه النص المرافق بصيغة الحال [منتفضا] فيشير إلى وقع المنطوق على المتلقي على النحو الذي يشير إلى موقف المتلقي مما سمعه أو فهمه من منطوقات سيقت إليه أو قصد بها. وهنا نستطيع أن نرى مدى التماهي الحاصل بين العملية اللغوية التي تشكل عملية التواصل والعملية المصاحبة للتواصل النطقي والتي لها دور كبير في فهم المنطوق الذي تسايره.

إن تصغير شأن الكلمة من قبل الوليد وتقليص عملية إقرار وطاعة مترتبة على هذه الكلمة إلى مجرد عملية النطق فقط كان من شأنه أن يدفع بالحسين إلى [الانتفاض] الذي صاحب عبارة الاستشهاد والدال في ذات الوقت على الغضب الذي اعترى الحسين لحظة نطقه بهذه العبارة، ولعل الانتفاض من قبل الحسين يشير بطريقة ما إلى ما يطلق عليه اوستين «الأوضاع السلوكية» التي تتضمن مفهوم ردود الأفعال على سلوك الآخرين... وهناك نوع ترابط لتلك الأوضاع مع الممارسات التشريعية؛ لأنه لكي نصادق على أمر ما، يجوز أن تمارس السلطة أو يكون منك رد فعل سلوكي(٢) .

---

(1) see E. A. Schegloff (1968): P.1076.

(٢) ج. ل. اوستين ترجمة عبد القادر قنيني (١٩٩١) ص ١٨٢ - ١٨٣.

وهذا الفهم هو ما دفع الحسين إلى عملية الرفض، ولما كانت العبارة موجزة على نحو دقيق تتعلق بالعلاقة بين الفعل [كبرت] والتمييز [كلمة] دُفع الحسين إلى سرد الحقائق المتعلقة بهذه الكلمة التي تسهم في رسم كثير من السمات التي توضح هذا التمييز وتبين ما ينطوي عليه من الحقائق: [تأسيس + تراكم].

على الجانب الآخر وفي ظل حواجز نفسية وأيدلوجية متعلقة بمتلقي الحسين دفعتهم إلى استجابة لا تتوافق وهذا التأسيس جاءت [الغلظة] التي صاحبت منطوق ابن مروان: [فقل الكلمة واذهب عنا].

ومما سبق يمكن لنا تقسيم المظاهر الاستجابية التي تحدث داخل المحادثة إلى ثلاثة أنواع، أولها خاص بتنظيم الأدوار داخل المحادثة، والثاني موقف المتكلم من القضية التي يعبر عنها، والأخير أثر المنطوق في المتلقي، وقد وقعت هذه الاستجابات مرتبطة بعبارة الاستشهاد وما نجم عنها من أدوار داخل التتابع.

التماسك

في هذا النموذج نرى أن الوليد وسعيد وابن مروان وابن الحكم جميعهم يتعاونون من أجل أخذ البيعة ليزيد من الحسين، وبافتراض التعاون هنا يصح لنا القول بترابط الخطط والإجراءات التي يتخذونها من أجل تحقيق هذا الهدف مع وجوب القول بأن هذه الخطط تتمايز فيما بينها بناء على الاستجابة التي يتخذها المتلقي إزاء بعض هذه الخطط بمعنى أنها تخضع لتعديلات لابد من أن تتماشى أو أن تكون صدى مناسبا لما يسوقه الحسين من عبارات.

تقديم عرض محدد	[الوليد]	رفض هذا العرض	[الحسين]
تعزيز العرض	[سعيد]	رفض التعزيز	[الحسين]
تقسيم العمل	[الوليد]	تحديد المفاهيم ورفض التقسيم	[الحسين]
الأمر	[الوليد]	عرض حقائق	[الحسين]
الأمر	[ابن مروان]	عرض الحقائق	[الحسين]
طلب النتيجة	[ابن الحكم]	الرفض	[الحسين]
الأمر	[الوليد]	الرفض	[الحسين]
التهديد	[ابن الحكم]		

إن جميع الخطط التي تم بناؤها وتنفيذها في النموذج موضع التحليل تذكرنا بمجموعة الخطط التي وضعها شانك وآبسلون ١٩٧٧ لتحقيق الرغبة في أخذ شيء يملكه شخص آخر، ومن هذه الخطط «وهي بالترتيب من أقلها أهمية وتأكيدا إلى أعظمها: اسأل، ذكر، علل، ساوم بالمجاملة، ساوم بالأشياء، هدد، اسرق، اغتصب» [(١)].

---

(١) روبرت دو بوجراند ترجمة د. تمام حسان (١٩٩٨)، ص ٣٨٩. وترتيب هذا الخطط جاء به دو بوجراند تعديلا لترتيب شانك وآبسلون، ويشير دو بوجراند إلى أن هذه المشروعات تتطلب أعمالا خطابية مختلفة لضبط مجرى الأحداث، انظر ص ٣٩٠.

إن هذه الخطط تكشف عن وثاقة العلاقة بين الصيغ اللغوية والعبارات التي يتمثلها المتكلم ويقصد إليها وبين الدافع الكامن وراء استخدام مثل هذه العبارات، وعلى هذا النحو يمكن النظر إلى عبارة الاستشهاد ومملكتها التداولية التي تقيمها على الخطة [استشهد] كفعل خطابي يعبر عن مقصود المتكلم ويكشف سعيه وراء تحقيق غرض محدد، ولكن على هذه الخطة أن تكون مترابطة ومتسقة مع أو مقابل بقية الخطط التي يتألف منها الخطاب ومناسبة من وجهة أخرى للسياق الذي يتضمنها إذ إن من الثابت لدى دو بوجراند أن مجموع الخطط وترابطها «يجعل أعمال الخطاب تتوازى مع استمرار الدوافع والأغراض، ولو نظرنا إلى شروط الصدق أو الإخلاص فقط كما تجرى مناقشتها في الفلسفة (مثلا لدى سيرل ١٩٦٩) فلسوف يبدو الكثير من الكلام غير سليم، ومع ذلك لو وضعنا الموقف في الحسبان فإن صياغة النصوص المكونة للاتصال ستكون موضع تقدير لكفاءتها وتأثيرها في تحقيق الأغراض والتغلب على العقبات التي تعترض الخطط»[(١)].

[١] **العلاقات المرجعية والتداولية:**

- العلاقات المرجعية:

في النموذج موضع التحليل يمكن لنا تمثيل العلاقات المرجعية التي تربط بين المنطوقات على النحو التالي:

إن كنت **تحرص**	ما لي **وللحرص** اللعين
إن للمؤمن في **الدنيا** نصيبا	أنا لا حاجة لي **فيها**
دع **الملك** لنا	ليس **ملكا** بل إمامة
فقل **الكلمة** واذهب عنا	أتعرف ما معنى **الكلمة**

---

(١) روبرت دو بوجراند ترجمة د. تمام حسان (١٩٩٨) ص ٤١٠.

وتساهم مثل هذه العلاقات في الكشف عن ترابط بعض الأدوار التي تتكون منها هذه المتوالية.

- العلاقات التداولية:

القسم الثاني من الترابط هو ذلك القسم الذي يكشف عن العلاقات التي تربط بين الأفعال الكلامية الخاصة بالأدوار التي تتكون منها المتوالية، وهي في النموذج موضع التحليل على النحو التالي:

الوليد(1): (للحسين برقة) إن كنت ترجو يا حسين أن يظل لديك مالك

بل يزاد لك العطاء...

إن كنت تحرص يا حسين على السلامة

واجتناب لظى الفتن

إن كنت تحرص يا حسين على الحياة الآمنة.. [مسوغات]

الحسين: (مقاطعاً) ما لي وللحرص اللعين... ؟

الحرص ينقص قيمة الإنسان

لكن لا يزيد عليه حظه

كالخوف يهدر عزة الرجل الأبي

ولا يضيف لعمره المقدور لحظة ! [تصحيح]

يبدأ الوليد الحوار مقدما مجموعة من [**المسوغات**] التي يحتمل أن تكون دافعا للحسين كي ينطق بالبيعة، ويقر بها ليزيد، غير أن [**المقاطعة**]التي عملت على عدم اكتمال دور الوليد، وكذلك المعاني التي رسمها دور الحسين تشير إلى [**تصحيح**] هذه المسوغات، وتقديم ما يثبت تغاير الرؤى بينه وبين محدثيه.

سعيد: إن للمؤمن في الدنيا نصيباً ينبغي أن يحفظه [فرضية مسبقة]

---

(١) عبد الرحمن الشرقاوي ص ص[٣٧-٤٠].

الحسين: أنا لا حاجة لي فيها.. فواقلة زادي !
آه من بعد السفر !
آه من طول طريقي وعظيم المورد !
إنما عيشك في الدنيا يسير !
كل أخطارك يا دنيا حقير
ايه يا دنيا إليك عنى ! [تصحيح / تأكيد]

يبدو أن سعيداً يحاول أن يقدم [**فرضية مسبقة**] أو قضية معروفة للمستمع قبل الواقعة الاتصالية، هذه الفرضية المسبقة تغذية راجعة تتوافق مع [**المسوغات**] التي قدمها الوليد من قبل، غير أن الحسين يدفع بهذه الفرضية بعيدا عن مجال اهتمامه من خلال تقديمه [**تصحيحا**] ينافي هذه الفرضية، أتبعه الحسين بمجموعة من [**التأكيدات**] والحقائق.

الوليد: أنت والله شعاع [تقسيم العمل]
قد تبقى من سنا عصر النبوة
فاعتكف أنت لتدريس علوم الدين، والتقوى
وهم الآخرة.. !
ودع الملك لأهل الملك والدنيا
دع الملك لنا
الحسين: ليس ملكاً بل إمامة.. [تصحيح / تحديد المفاهيم]

[التأكيدات] السابقة التي قدمها الحسين تعمل عبر المحتوى الدلالي لوحداتها المتفاعلة على إمكانية النظر إلى الحسين كنموذج لشخصية يمكن للمتلقي بناء على معرفته بالعالم تصنيفها وتأكيد انتمائها إلى مجال محدد من وجهة نظر هذا المتلقي، وعليه أمكن للوليد أن يقدم دورا يشير إلى عملية [**تصنيف**] يتبعها داخل هذا المجتمع سلوك محدد يستبعد معه أن يطالب الحسين بحقه بالخلافة فيه، ومن ثم عمل الحسين على [**تصحيح**] مثل هذا التصنيف من أجل تحديد بعض المفاهيم الفاعلة فيه.

الوليد: نحن لا نطلب إلا كلمة

فلتقل «بايعت» واذهب بسلام لجموع الفقراء

فلتقلها وانصرف يا ابن رسول الله حقنا للدماء

فلتقلها.. آه ما أيسرها.. إن هي إلا كلمة [طلب]

الحسين: (منتفضاً) كبرت كلمة ! [رفض / تأكيد]

وهل البيعة إلا كلمة ؟

ما دين المرء سوى كلمة

ما شرف الرجل سوى كلمة

ما شرف الله سوى كلمة

ويبدو أن الوليد تجاهل هذا [**التصحيح**] الذي قدمه الحسين؛ ومن ثم عمل على [**طلب**] البيعة من الحسين، وعليه أتى الحسين على [رفض] هذا الطلب مدعما مثل هذا الرفض بمزيد من [**التأكيدات**].

ابن مروان: (بغلظة) فقل الكلمة واذهب عنا [أمر]

الحسين: أتعرف ما معنى الكلمة.. ؟ [استفهام / إجابة]

مفتاح الجنة في كلمة [رفض]

دخول النار على كلمة

وقضاء الله هو الكلمة

الكلمة لو تعرف حرمة.......

إزاء هذه [**التأكيدات**] التي يقدمها الحسين، يتجلى هدف المتحاورين معه في [**طلب نتيجة**] محددة [**للطلب**] الذي سبق وأن صيغ بأكثر من طريقة، ولكن الحسين مازال مصرا على [**الرفض**].

ابن الحكم: وإذن ؟! [طلب النتيجة]

الحسين: لا رد عندي لمن لا يعرف ما معنى شرف الكلمة [رفض]

وعلى ما سبق يأتي دور الوليد منطويا على [فرضية مسبقة] تضع أمام الحسين [مثالا] ونموذجا على الحسين أن يفكر في تبعاته؛ إذ إن هذا المثال يجعل الحسين وحيدا، لا تقف إلى جانبه إلا جموع الفقراء، مما يجعل ورود

[الأمر] مرة أخرى مبررا، غير أن استجابة الحسين لهذا [الأمر] مازالت هي [الرفض] الذي عبرت عنه عبارة الاستشهاد.

الوليد: قد بايع كل الناس يزيدا إلا أنت... فبايعه [فرضية مسبقة/ أمر]

الحسين: ولو وضعوا بيدي الشمس.. ! [رفض]

ولعل هذا النموذج يقدم لنا صورة واضحة عن التماسك الخاص بمجموعة من الأفعال الكلامية المتصلة والمناسبة لسياق الخطاب، كما ساهم في فهم المضامين التي ينطوي عليها استخدام المتكلم لعبارة الاستشهاد في موقف اتصالي محدد؛ فعبارة الاستشهاد هي إحدى المنطوقات التي تقع داخل الخطاب، وبدورها لابد أن تعبر عن حدث يراعى فيه المتكلم (حسن البناء)؛ ذلك أن «منطوقا ما يعد مقبولا داخل الخطاب فقط إذا كان فعلا كلاميا مناسبا ومتصلا بباقي الأفعال داخل الخطاب أو التفاعل»[1].

[٢] مبدأ الأزواج المتجاورة:

إمعانا في محاولة فهم الكيفية التي تترابط بها أدوار الخطاب، وتتحقق بها المناسبة بينها ومدى مقبوليتها داخل سياق هذا الخطاب، ننتقل هنا إلى مبدأ الأزواج المتجاورة، وذلك في محاولة لتطبيق هذا المبدأ على النموذج موضع التحليل:

---

(1) van Dijk (1974) : P.49.

SPP	FPP
ما لي وللحرص اللعين ... ؟ الحرص ينقص قيمة الإنسان لكن لا يزيد عليه حظه ، كالخوف يهدر عزة الرجل الأبي ولا يضيف لعمره للمقدور لحظة!	إن كنت ترجو يا حسين أن يظل لديك مالك ، بل يزاد لك العطاء إن كنت تحرص يا حسين على لسلامة واجتناب لظى الفتن إن كنت تحرص يا حسين على الحياة الآمنة

SPP	FPP
أنا لا حاجة لي فيها ... فوا قلة زادي آه من بعد السفر ..آه يا دنيا إليك عنى	إن للمؤمن في الدنيا نصيبا ينبغي أن يحفظه

SPP	FPP
ليس ملكا بل إمامة	أنت والله شعاع قد تبقى من سنا عصر النبوة فاعتكف أنت لتدريس علوم الدين والتقوى وهم الآخرة ... ودع الملك لأهل الملك والدنيا، دع الملك لنا.

SPP	FPP
كبرت كلمة وهل البيعة إلا كلمة ما دين المرء سوى كلمة ما شرف الرجل سوى كلمة ما شرف الله سوى كلمة	نحن لا نطلب إلا كلمة فلتقل بايعت واذهب بسلام لجموع الفقراء ، فلتقلها وانصرف يا ابن رسول الله حقنا للدماء فلتقلها ، آه ما أيسرها .. إن هي إلا كلمة

SPP	FPP
أتعرف ما معنى الكلمة ؟ مفتاح الجنة في كلمة دخول النار على كلمة وقضاء الله هو الكلمة الكلمة لو تعرف حرمة	فقل الكلمة واذهب عنا

SPP	FPP
لا رد عندي، لمن لا يعرف ما معنى شرف الكلمة	وإذن.. ؟

SPP	FPP
ولو وضعوا بيدي الشمس	قد بايع كل الناس يزيدا إلا أنت فبايعه

التخطيط السابق يشير بشكل مباشر إلى أن المشاركات والأدوار التي تتكون منها هذه المحادثة قد بنيت على وحدة نمطية من الأزواج المتجاورة التي تكونت فقط من [*FPP, SPP*]، وتوزعت فئة الزوج الأول *FPP* ما بين الإغراء والطلب والأمر، أما فئة الزوج الثاني *SPP* فظلت تلعب على محورين ثابتين هما: النقض والرفض، والسبب وراء هذا إنما يكمن في اختلاف وجهات النظر بين المشاركين؛ لذا تبدو هذه النمطية مبررة إذا أخذنا في الحسبان تلك الحواجز الأيديولوجية التي تفصل بينهم، هذا بالإضافة إلى السياق الانفعالي والتأثيري الذي مارسته وحدات الزوج الأول على ما قدمه الزوج الثاني من وحدات.

إن كل هذا يحيلنا مباشرة إلى السياق الإدراكي الذي بينته هذه الوحدات، الذي يتضح به فهم الحسين للعبارات المقدمة، ووعيه بالأهداف التي يرنو إليها المشاركون من وراء هذه العبارات؛ وبالتالي نجد محاولة الحسين قطع كافة السبل أمام تحقيق مثل هذه الأهداف، وكان من أهم الخطط التي استند إليها الحسين في هذا هي استخدامه للاستشهاد الذي به، أولا تم له التعبير عن الرفض، ثانيا عبر بصورة مقنعة عن مبررات هذا الرفض التي تكشف عن أنه لا يمتلك النية أو أن لديه رغبة في الإذعان لمثل هذا الطلب.

[٣] مبدأ التداخل:

إذا نظرنا إلى عبارتي الاستشهاد من زاوية اللسانيات الإدراكية فسوف نرى أن الوحدات المميزة داخل هاتين العبارتين هما: الكلمة، واليد، فالكلمة داخل البيئة العربية وكذلك اليد تتمتع بخصوصية ثقافية ناهيك عن أن عبارة الاستشهاد ذاتها تتمتع بهذه الخصوصية نفسها.

وعليه جاء استخدام العبارة الأولى [كبرت كلمة] يلعب دورا مجازيا عبرت عنه وحدات التتابع التي تكون منها دور الحسين، ولعل طبيعة هذا الدور المجازي فتحت المجال أمام مفهوم [الكلمة] كي تعبر عن العديد من

المفاهيم التي ترتبط بها من جانب، وترتبط عن طريقها من جانب آخر،؛ وعليه جمع مبدأ التداخل هذه المفاهيم في وحدة تسهم بشكل كبير في الكشف عن المعنى الذي يريد الحسين أن يصل إليه متلقيه داخل سياق الخطاب.

من جانبها جاءت عبارة الاستشهاد الثانية [ولو وضعوا بيدي الشمس...] لتعيدنا إلى أول دور داخل تتابع الخطاب، وهو الدور المنسوب إلى الوليد الذي عبر فيه عن مجموعة من المسوغات التي قد تدفع الحسين إلى استجابة يرتضيها الوليد وصحبه، فقد كان من بين هذه المسوغات [الحرص، والسلامة، والحياة الآمنة، وغيرها...]، فجاءت عبارة الاستشهاد هذه لتضيف إلى هذه القائمة ما لا يستطيع الوليد وصحبه أن يقدموه إلى الحسين من جانب، وما لا يقبل به الحسين إن هم قدروا عليه من جانب آخر، ولعل استعادة دور الوليد بكامل معانيه وقائمته الإغرائية عبر عبارة الاستشهاد هذه يسهم في تحقيق الربط والارتباط بين ما يبدو متباينا ومتفرقا من أدوار المحادثة، كما يسهم في ضبط عملية تدفق الخطاب.

وعليه تترابط العبارتان ترابطا وثيقا؛ فالأولى تقدم قائمة المفاهيم العميقة للفظ [الكلمة]، والثانية تستعيد قائمة مفاهيم، لا ترقى عبر الرفض الذي تحمله هذه العبارة أن تتساوى مع مفاهيم العبارة الأولى.

الفصل الثالث
الاستشهاد وفعل التبرير

تمهيد

يعد التبرير أحد العمليات التي تتم عن طريق استخدام عبارات لغوية محددة يقصد بها أن تقدم مجموعة الأسباب التي يستند إليها المتكلم في اتخاذه سلوكا محددا، وعلى العبارة المقدمة لهذا الغرض أن تفي بالشروط التي يقبلها المتلقي مسوغات لمثل هذا السلوك، كأن تستند هذه العبارة إلى معرفة مشتركة وتجارب مجتمعية متبادلة يقر بها طرفا التواصل.

وفي النموذج التالي نرى أن المتكلم قد وظف عبارة الاستشهاد [المثل] لا لتدل على الرفض فقط، ولكن لتدل على تبرير هذا الرفض وتقديم أحد الأسباب التي تدعو إلى مثل هذا الرفض من خلال الإشارة إلى إحدى التجارب المجتمعية التي تشير إليها قصة المثل، وهذا بطبيعة الحال ينتج عن استخدام عبارة المثل بطريقة اقتباسية حيث يمتلك الاقتباس في مثل هذه الحالة وظيفة تصويرية، فقد كانت النقطة المركزية في دراسة كلارك وجيرج عن الاقتباس هي النقطة التي تشير إلى أن الاقتباسات هي توضيحات في الأساس حيث توضح الحدث التواصلي من طريق نمذجة هذا الحدث بتقديمها المثيل[1].

النموذج

السياق: قضى الله سبحانه وتعالى أن يحارب الحسين وصحبه الجيش

(1) See H. H. Clark & J. R. Gerrig (1990).

المرسل من قبل يزيد بن معاوية، ولما كانوا قلة بالنسبة إلى هذا الجيش؛ فقد استشهد منهم عدد كبير، وفي أثناء توقف المعركة وبعد أن بقى الحسين وحده، إذ لم يكن إلى جانبه إلا أهله، انشغل الحسين بهم، وجرى بينهم الحوار التالي:

الحسين[1]: (شاهراً سيفه)... ايه آل البيت قد آن الرحيل حان والله الوداع

سكينة: فهو والله فراق لا يرجى بعده العمر لقاء !!

زينب: هكذا تسلم للموت حياتك (تتماسك بجهد)

الحسين: فإلى من أتكل ؟ (يتحرك)

سكينة: (صارخة مروعة) أبتي لا... كيف ترحل ؟

الحسين: لم لا يذعن للموت فتى ليس له من ينصره ؟

زينب: (تنهار فجأة)... وا حمزتاه..... وا حمزتاه......
وا أبتاه...... وا أبتاه !

الحسين: (مستمراً) أم ترى أستسلم الآن فتسلمن وأسلم ؟
إنما يأبى على الله هذا يا أخية

زينب / سكينة : وا جداه.... ووا غربتاه

الحسين: لا تبكيا... إن البكاء طويل

سكينة: أبتاه إنك سائر للموت مقهورا عليه

الحسين: هو ذا مصيري يا بنية لا فرار من المصير

سكينة: ارجع بنا لمقام جدي وانج يا أبتي بنفسك

الحسين: **هيهات «لو ترك القطا ليلا لناما»**

---

(١) عبد الرحمن الشرقاوي ج ٢، ص ص/١٢١-١٢٣/.

السياق

إن المثل من بين أنواع عديدة للاستشهاد يختص بسمات مهمة منها التحديد الشكلي للمثل الذي قدمه ريتشارد هونيك حيث اقتضت نظريته النظر إلى الأمثال على أنها «خطاب شاذ، متصل، متماسك، وحالة زمنية حاضرة ليست ماضية، تستخدم علامات لغوية مميزة كي تثير أهدافا معرفية تستخدم في إدراك الموضوعات من أجل إيجاد تحديد تداولي خاص بها»[١].

ويمكن النظر إلى المثل من خلال ثلاث زوايا هي: الطبيعة التركيبية للمثل، والمحتوى الذي يتضمنه، وسمات الموقف الذي قيل فيه، وعليه ففي الزاوية الخاصة بالطبيعة التركيبية للمثل يمكن النظر إلى المثل كوحدة تواصلية تجمع بين موضوع ومحمول على النحو الذي تتحدد به الحركية الخاصة بهذا المثل على ضوء العلاقات التي تجمع بين وحداته، ومدى ما تسهم به هذه الوحدات في العملية الخاصة بإثراء معرفة المستمع عبر المحتوى الذي تتضمنه هذه البنية من خلال استعادة أو استدعاء السمات الخاصة بموقفه.

وعلى ضوء العلاقة التي تجمع هذه الزوايا والتي معها تكون كل زاوية غير منفصلة عن الأخرى، بل على العكس كل زاوية تمد الأخرى وتطور مضمونها إلى أن نصل من خلال هذا التفاعل بينها إلى اعتبار المثل تسمية ميتا لغوية تطلق على خبرة محددة مر بها هذا المستمع أو اكتسبها من خلال المجتمع الذي يعيش فيه، وعليه يمكننا التدرج من بنية المثل إلى المحتوى ومنه إلى سمات الموقف الذي تضمنه، ثم بعد هذا تأتي عملية المعالجة التي يتم فيها التقاط العناصر المتشابهة بين سياقي المثل وعقد الصلات بين هذين السياقين.

هذا التدرج وهذه المعالجة تجعل الحركية الخاصة بالمثل لا تنطوي

---

(1) adpted from Nancy Mason Bradbury (2002): P.270ff.

فقط على حركية مفرداته التركيبية أو طبيعة بنيته الدلالية، بل على حركيته نفسه كتعبير كلى شامل يجري تسمية على خبرة وتجربة سابقة يمكن أن تتقاطع مع عديد من التجارب المحتملة داخل المجتمع صاحب هذه التجربة أو غيره من المجتمعات.

سياق المصدر:

ورد في مجمع الأمثال للميداني[١] «لو ترك القطا ليلا لنام» نزل عمرو بن مامة على قوم من مراد، فطرقوه ليلا، فأثاروا القطا من أماكنها، فرأتها امرأته طائرة، فنبهت المرأة زوجها، فقال: إنما هي القطا، فقالت: لو ترك القطا ليلا لنام. يضرب لمن حمل على مكروه من غير إرادته. وقال المفضل: أول من قال «لو ترك القطا ليلا لنام» حذام بنت الريان، وذلك أن عاطس بن خلاج سار إلى أبيها في حمير وخثعم وجعفي وهمدان، ولقيهم الريان في أربعة عشرة حيا من أحياء اليمن، فاقتتلوا قتالا شديدا، ثم تحاجزوا، وإن الريان خرج تحت ليلته وأصحابه هرابا فساروا يومهم وليلتهم، ثم عسكروا، فأصبح عاطس فغدا لقتالهم، فإذا الأرض منهم بلاقع، فجرد خيله، وحث في الطلب، فانتهوا إلى عسكر الريان ليلا، فلما كانوا قريبا منه أثاروا القطا، فمرت بأصحاب الريان، فخرجت حذام بنت الريان إلى قومها، فقالت:

ألا يا قوم ارتحلوا وسيروا
فلو ترك القطا ليلا لنام

أي أن القطا لو ترك ما طار هذه الساعة، وقد أتاكم القوم، فلم يلتفتوا إلى قولها، وأخلدوا إلى المضاجع لما نالهم من التعب، فقام ديسم بن طارق، وقال بصوت عال:

(١) الميداني تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ج ٢، ص ١٧٤-١٧٥.

إذا قالت حذام فصدقوها
فإن القول ما قالت حذام

وثار القوم فلجؤا إلى واد كان قريبا منهم، فانحازوا به حتى أصبحوا، وامتنعوا منهم.

وذكر الجاحظ في الحيوان[1] «وفي صدق القطاة يقول الفرزدق:

ولو تركت نامت ولكن أعشها
أذى من قلاص كالحنى المعطف

وتقول العرب: **لو ترك القطا لنام** ، ويقال أعششت القوم أعشاشا: إذا نزلت بهم وهم كارهون لك؛ فتحولوا عن منزلهم، والقطاة لم ترد اسم نفسها، ولكن الناس سموها بالحروف التي تخرج من فيها، وزاد في ذلك أنها على أبنية كلام العرب، فجعلوها صادقة ومخبرة ومريدة وقاصدة».

ومن خلال ما سبق نرى أن عبارة «لو ترك القطا ليلا لنام» هي مثل من أمثال العرب اتضح من قصته وسياق ضربه أنه قيل ليفهم عنه ترك المكان والتحول عنه كراهة لقاء من لا تحب أن تلقاه أو لا يسرك لقاؤه، أو ليفهم عنه أن هناك خطراً معيناً لا بد من التعامل معه، ويتضح كذلك من خلال قصة المثل السمة الرمزية التي تمثلت في مثل هذا النوع من الطيور؛ فهو ذو سمات خاصة أهمها الصدق كما ورد عن الجاحظ، وكذلك «المسالمة» التي ربما نفهمها من بيت الفرزدق.

إن ما ثبت من علاقة القطاة بالمسالمة والصدق كإحدى التجارب الحياتية للمجتمع العربي، ومحاولة استفادة العرب من مثل هذه التجارب، وتفاعلهم مع بيئتهم ومكوناتها يعيدنا إلى العلاقة بين اللغة والبيئة على النحو الذي يجعل البيئة عاملا مهما من عوامل أخرى كثيرة تسهم في بناء وتشكيل خصائص هذه اللغة في الوقت الذي تعبر فيه هذه اللغة عن بيئتها التي نشأت فيها وتشكلت، ومن هنا تأتي فكرة القومية والأيديولوجيا

---

(١) الجاحظ *[ب]* ج ٣ ص ٣٠٦.

وغيرها من الأفكار التي تستطيع من خلاها التعبير عن المجتمع من خلال لغته حيث يمكن القول بأن إحدى الوظائف الأساسية للغة هي التعبير عن التجربة الإنسانية[1].

ولعل المثل من بين أصناف عديدة من التعبيرات يمكن له أن يعبر عن وثاقة الصلة بين اللغة والبيئة، ولما كانت البيئة تحوي العديد من الموجودات التي توجد بصور متكررة ومعادة – متشابهة في أجزاء ومختلفة في أخرى – في بيئات اجتماعية عديدة نشأت فكرة العلاقة التي تربط بين مجموعة من التعبيرات المثلية في هذه البيئات لتشابه التجارب وتكرارها أو بسبب من الاحتكاك بين هذه البيئات وتواصلها على الصورة التي يمكن من خلالها النظر إلى المثل كشكل من أشكال التواصل الثقافي بين هذه البيئات.

سياق الخطاب:

ورد هذا المثل في نموذج المحادثة على لسان [الحسين] في إطار التتابع التالي:

سكينة: (صارخة مروعة) أبتي لا... **كيف ترحل** ؟.

الحسين: لم لا يذعن للموت فتى **ليس له من ينصره** ؟.

زينب: (تنهار فجأة)... **واحمزتاه**..... واحمزتاه......
واأبتاه...... واأبتاه !.

الحسين: (مستمراً) **أم ترى أستسلم الآن فتسلمن وأسلم ؟**
إنما يأبى على الله هذا يا أخية.

زينب / سكينة : **واجداه**.... وواغربتاه.

الحسين: لا **تبكيا**... إن البكاء طويل

سكينة: أبتاه إنك سائر **للموت** مقهورا عليه.

الحسين: هو ذا **مصيري** يا بنية لا فرار من المصير.

---

(١) انظر رونالد ايلوز ترجمة د. بدر الدين القاسم (١٩٨٠)، ص ٨٣.

سكينة: **ارجع بنا لمقام جدي وانج يا أبتي بنفسك.**

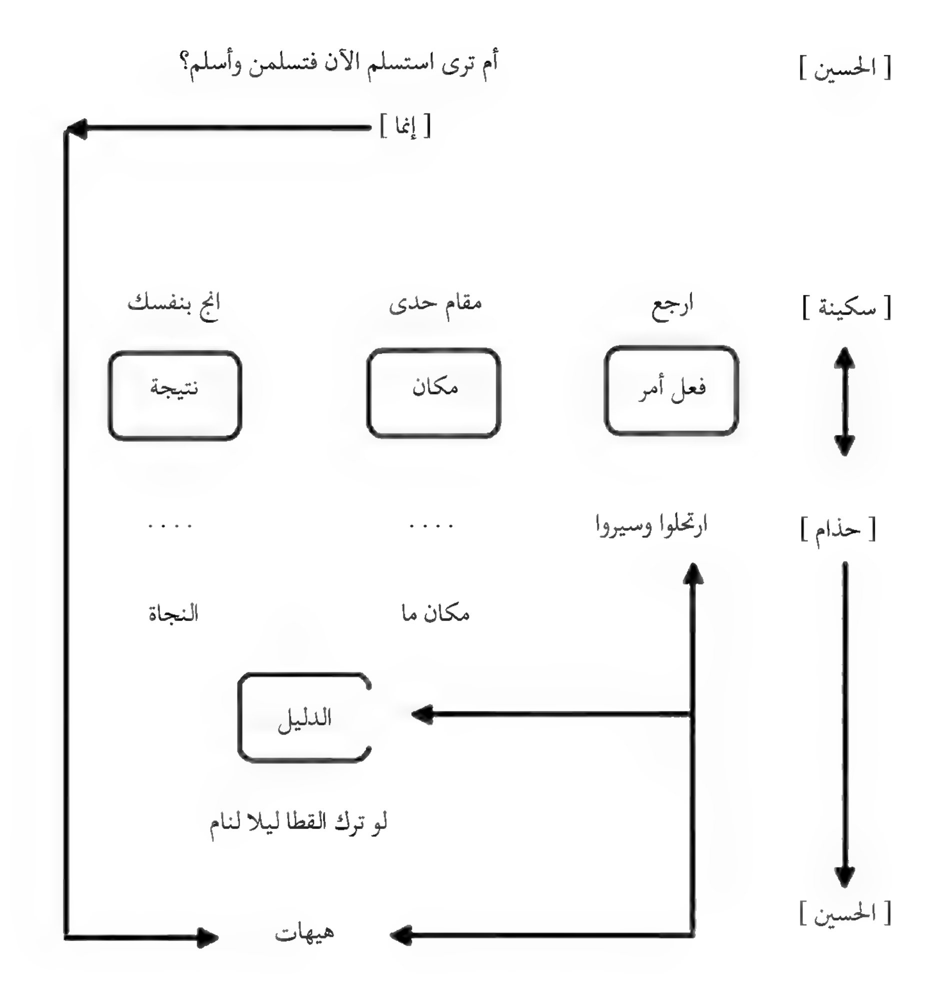
الحسين: **هيهات «لو ترك القطا ليلا لناما».**

زينب: **هيهات لو دفع المريد عن الطريق لما استقاما.**

وعلى هذا نرى [الحسين] عازماً على المضي قدما نحو ملاقاة العدو على الرغم من أنه يسير نحو موت محقق، وعليه اقترحت [سكينة] الرجوع إلى مكة، والنجاة من هذا الموت، لكن [الحسين] ما زال مصرا على ملاقاة العدو قائلا: هيهات لو ترك القطا ليلا لنام، فلا يتسنى له الهرب، أو النجاة بنفسه وأهله كما حدث مع القوم أهل حذام في قصة المثل، وهذا الإصرار كان قد بينه بقوله: أم ترى أستسلم الآن فتسلمن وأسلم ؟ إنما يأبى على الله هذا يا أخية.

وعلى ضوء هذا نرى أن [سكينة] اقترحت ترك المكان والتحول عنه إلى مكان آخر كوسيلة للفرار من هذا المصير، وكأنها بهذا أثارت في [الحسين] قصة المثل الذي نحن بصدده «لو ترك القطا ليلا لنام»، ويستفاد عزم الحسين بصورة مباشرة من توظيفه لاسم الفعل [هيهات] قبل المثل مباشرة، و[هيهات] اسم فعل ماض بمعنى [بعد]؛ فتصدير المثل باسم الفعل هذا جعل المثل يبدو في هذه الحالة واردا في سياق صحيح حسب رؤية الحسين لما ينبغي أن تكون عليه الأمور في مثل هذه الحالة.

وفي سياق المناسبة بين سياق المصدر [مضرب المثل وقصته] وسياق المحادثة نرى التشابه قائما بين السياقين، ومن جانب آخر يعد إيراد المثل في هذا السياق مبنيا بصورة ما على العلاقات التي أثارها منطوق [سكينة]: ارجع بنا إلى مقام جدي وانج يا أبتي بنفسك. فهذا المنطوق يشير إلى العلاقات التالية:



ومما سبق نستطيع استنتاج أن الحسين قصد إلى رفض المقترح، ولكن بتأمل الحالة الخاصة التي عليها هذا الرفض، والحالة الخاصة التي يجسدها المثل، نرى أن الرفض هنا رفض يشوبه التبرير أكثر ما يكون رفضا قاطعا، وذلك وفق العلاقة التي تجمع بين طرفي التواصل، وكذلك وفقا للقوة الإنجازية التي يكون عليها مثل هذا الرفض إذ إنه رفض خافت الصوت رقيق النبرة يقترب كثيرا وفق ما تطرحه بنيته من تبرير الرفض بدلا من الرفض.

العبارة

يمكن النظر إلى دلالة العبارة التي تم الاستشهاد بها هنا (عبارة المثل) عبر المحتوى أو الرسالة التي ينطوي عليها استخدام المتكلم في هذا الموقف، غير أن التركيز على المحتوى وتتبع دلالة العناصر التي يتكون منها المثل لا يجدي نفعا في تحديد الدلالة التي قصد إليها هذا المتكلم؛ ومن ثم يكون السعي وراء اكتشاف العامل التداولي وراء هذا الاستخدام هو البديل المتاح من أجل بيان السبب وراء استخدام هذه العبارة.

ومن خلال النظر إلى الطبيعة الدلالية التي يقوم عليها هذا المثل بعيدا عن اسم الفعل [هيهات]؛ نراه وحدة دلالية تمتلك معنى محددا تنطوي عليه، يشير داخل سياق الخطاب إلى عملية تبرير، تنطلق في ضوء البنية التركيبية [التركيب الشرطي]من سبب إلى نتيجة، وتتأكد عملية التبرير هذه من خلال النظر إلى الدليل المقدم على العلاقة بين [[فعلي الأمر: ارتحلوا [في قصة المثل] - وارجع [في قول سكينة]]. أما اسم الفعل [هيهات] الذي تم تصدير هذه البنية به، فهو يشير إلى [حقيقة] سياقية خاصة تفترق عن السياق المصدر الذي تضمن هذا المثل.

وهنا لا يكون استخدام المثل محكوما فقط بعناصر التشابه بين سياق المصدر وسياق الموقف، بل قد تكون المخالفة بينهما هي إحدى الدواعي التي تتيح للمثل أن يبرز في موقف محدد بناء على مجموعة من المحددات التي تفرق بين هذين السياقين، وهي محددات موقفية بمعنى أن الموقف الذي يجد المتكلم نفسه فيه بعيدا عن مرمى المثل هو الموقف الذي لا يجعل المثل بما ينطوي عليه من عناصر لغوية ومعرفية واجتماعية واقعا في سياقه على نحو صحيح.

الإحالة:

ذكر ابن الأثير في المثل السائر أن «الأمثال كالرموز والإشارات التي

يلوح بها على المعاني تلويحا[١]، فإذا كان لبنية المثل في حد ذاتها معنى يستقى من الوحدات التركيبية المكونة لعبارة المثل والعلاقة التركيبية التي تجمع هذه الوحدات، فإنها وفق رؤية ابن الأثير تشير داخل السياق الذي يتضمنها إلى ما يسمى «معنى المعنى»، كما أنه إذا أضفنا إلى رؤية ابن الأثير هذه رؤية هونيك السابقة، التي رأى فيها المثل «خطابا شاذا، متصلا، متماسكا، حالة زمنية حاضرة ليست ماضية»[٢]، رأينا أن بنية المثل - بما أنه حالة زمنية حاضرة - بنية مستقلة عن المرجع والسياق اللذين تتضمنهما بسبب من كونها حالة ليست ماضية.

ومعنية ما سبق أن بنية المثل بنية غير إحالية تنفصل، وفق استخدامها في سياقات عديدة، عن أي مرجع أو سياق، ولكن إذا كانت بنية المثل غير إحالية، فكيف يكون السبيل إلى فهم دلالتها ؟ هنا نعود إلى تحديد هونيك للمثل بكونه خطابا متصلا متماسكا، فكون المثل خطابا يشير إلى كونه وحدة تواصلية تفاعلية بين شخصين أو أكثر، كما يشير إلى اتفاق بين هؤلاء يحصل بشأن الرموز التي تنطوي عليها بنية المثل، أو بتعبير آخر هناك حالة من التأسيس - باصطلاح هربرت كلارك وسوزان برينان[٣] - يتعاون خلالها أطراف هذا الخطاب حتى يبدو ذا معنى يشتركون فيه، أو يحاولون تأسيسه على النحو الذي يضاف به هذا المعنى أو تلك الخبرة إلى الخلفية المعرفية الخاصة بهم أو المشتركة بينهم.

أما كونه متصلا فيطرح السؤال حول طبيعة هذا الاتصال من جانب، وحول ذاك الشيء الذي يتصل به هذا المثل من جانب آخر، على الجانب الأول يمكن النظر إلى طبيعة اتصال المثل من الوجهة الدلالية وفق مفهوم «الوحدات المعنوية المجردة» الذي قدمه دير *M. G. Dyer 1983* حيث رأت

---

(١) ابن الأثير القسم الأول ص ٥٥.

(2) see Nancy Mason Bradbury (2002): P.270f.

(3) see H. H. Clark & S. E. Brennan (1991): P.128.

كريستن ميشو *C. Michaux 1999* من خلال توظيفها هذا المفهوم في دراستها للمثل أن كل مثل ينطوي على «وحدات معنوية مجردة هي التي تربط المثل بسائر الوضعيات التي يستخدم فيها وتنزله في سياق بعينه»[1]، ولعل هذا المفهوم يجعل اتصال المثل بسياق معين مشروطا بمبدأ «رقابة المتكلم» الذي يشير إلى قدرته على رصد أنماط التماثل بين الوضعيات التي ينطوي عليها سياق المثل، والوضعيات التي يريد معالجتها أو إيصال محتوى محدد إزاءها.

ولعل عملية الربط بين هذه الوضعيات لا تقوم فقط على قدرة المتكلم على رصد أنواع التماثل، بل قدرته أيضا على تحديد أنماط الاختلاف، ومعنى هذا أن الوحدة المعنوية المجردة للمثل إما أنها تتساوق مع السياق، وإما أنها تختلف معه، وكل هذا يخضع في جانب كبير منه لما يقصد إليه المتكلم من خلال توظيفه لمثل معين في سياق معين، ويعتبر التماثل والتخالف الحاصل بشأن الوحدة المعنوية المجردة عاملا مهما في تأويل المتلقي لهذا المثل، وأحسب أن تأويل المثل القائم على التماثل ربما يكون أيسر مما إذا كان يقوم على التخالف بينه وبين الوضعيات التي يعالجها المتكلم.

ويمكن القول إن العلاقة بين الوحدات المعنوية المجردة وبنية المعلومات الخاصة بمثل معين علاقة وثيقة تعكس في جانب كبير منها خاصية الفراغ الإحالي لهذا المثل، فالوحدة المعنوية المجردة لهذا المثل تتجاوز البناء التركيبي إلى الدلالة التي يفيدها المتلقي، بمعنى أن دلالة الوحدات التركيبية لهذا المثل تتجاوز معانيها القاموسية إلى دلالة أخرى تتخطى الحدود التي تعينها هذه المعاني، ففي المثل الذي بين أيدينا [لو ترك القطا ليلا لنام] القطا هنا هو موضوع هذه الجملة في سياقها المصدر، وهو

---

(١) انظر: د. حاتم عبيد (٢٠٠٥) ص ٥٢. وسوف يشار إلى هذا المفهوم في الصفحات التالية بالاختصار *TAU*.

العلامة التي من أجلها تم ضرب هذا المثل، ومن أجله تم توجيه الأمر [سيروا وارتحلوا]، فكانت العلاقة بين هذا الأمر وبين المثل مبنية على العلاقة بين طرفي التركيب الشرطي [ترك القطا] و [نام] من خلال نفي هذه العلاقة من طريق استخدام أداة الشرط [لو]، وعلى جانب آخر يشير بناء الفعل [ترك] للمجهول إلى كون هذه الجملة جاءت دالة على الفاعل المحذوف، وهو المعتدى الذي نزل ديار القوم؛ ومن ثم تم تجريد هذه البنية كي تشير أن هناك سببا من أجله يترك هذا الطائر المسالم مكانه، وعليه أصبح المثل علامة على وجود خطر يستدعي الارتحال أو التصدي له.

وإذا كانت بنية المثل قد قدمت دليلا على القضية التي يثيرها فعل الأمر أو النصح بترك المكان فقد يلزم أن يكون هذا الدليل قائما يراه متلقي هذه العبارة حتى يتم له الاقتناع بلزوم الارتحال، بمعنى أن قائلة هذا المثل قد اعتمدت على دليل ظاهر موجود في السياق الخارجي للعبارة كي تفعل هذه العبارة فعلها التأثيري لدى المتلقي، ولكن في سياق آخر لا يوجد فيه هذا الدليل المادي فسوف يعتمد فعل المثل وتأثيره على الوحدة المعنوية المجردة، تلك التي تجعل المثل ذاته علامة على القضية المثارة ودليلا على ما سوف يترتب عليها.

إن لفظة [القطا] وهي مركب اسمي ورد - داخل سياق المحادثة موضع التحليل - دون أن يحيل إلى سابق يعود إليه داخل المتوالية الكلامية السابقة عليه، ودون أن تتم تنميته كي يكون سابقا تحيل إليه عبارات تالية، وقد ورد أيضا دون أن يكون موجودا في السياق الخارجي، كل هذا يجعل عبارة المثل تعبيرا غير إحالي، ويتم التأكيد على هذا الفراغ الإحالي لمثل هذا التركيب من خلال النظر إلى ظرف الزمان الذي تضمنته هذه العبارة [ليلا]، فهل يمتنع مع هذا الظرف إيراد هذا المثل في نقطة زمنية تبعد عن منطقة هذا الظرف أو عن المنطقة الزمنية الخاصة بعبارة المثل ؟، ولعل هذا يشير إلى التحديد الذي خص به ريتشارد هونيك المثل من حيث كونه حالة زمنية حاضرة وليست ماضية.

إن مثل هذا التوتر الزمني لعبارة المثل يسمها أيضا بالفراغ الإحالي خاصة إذا ما تم النظر إلى الإحالة على أنها «عامل يحكم النص كاملا في تواز مع العامل التركيبي والعامل الزمني»[١]، فمثل هذا التوتر يقطع تلك الصلة بين المتلفظ والملفوظ، فالملفوظ «عندما ينجز إنما يحيل دائما على المتلفظ من حيث ينجزه»[٢].

ومعنية ما سبق يمكن استنتاجها من الافتراض الخاص بكون المثل تعبيرا أو قولا مقتبسا عن شخص آخر أو موقف آخر، فكونه اقتباسا يثير مشكلة العلاقة بين هذا القول وقائله، حيث لا يشير هذا القول إلى ذات القائل، و تزداد المشكلة تعقيدا إذا لم نجد داخل إطار الخطاب ما يحدد مثل هذه العلاقة، مما يجعل اللجوء إلى الوحدات المعنوية المجردة *TAU* أمرا مبررا، ويجعل اعتبار كليبر المثل جملة عامة اعتبارا فاعلا في تحديد دلالة المثل، ليس فقط دلالته، بل أيضا المقاصد التداولية التي يقصد إليها المتكلم من توظيفه، ويتماشى هذا مع ملاحظة هونيك التي رأى فيها أن المثل يستخدم علامات لغوية مميزة كي يستثير في المتلقي استجابة محددة[٣]، ويتماشى كذلك مع ملاحظة ميسون *N. Mason* أن الرموز اللغوية داخل المثل تستخدم من أجل «التلميح»[٤]، وملاحظة ابن الأثير التي ذكر من خلالها أن «الأمثال ... يلوح بها على المعاني تلويحا»[٥].

إن خاصية الفراغ الإحالي تعمل إذا ما وجدت في تعبير ما على أن ينبه هذا التعبير المتلقي إلى كونه وحدة تركيبية تمتلك قضية محددة تبرهن عليها وتكشف عنها من خلال اتخاذها شكلا رمزيا ينفتح على عديد من التأويلات.

---

(١) الأزهر الزناد (١٩٩٣) ص ١٢٤.

(٢) السابق نفسه.

(3) adapted from Nancy Mason Bradbury (2002): P.277.

(4) Ibid.

(٥) ابن الأثير: القسم الأول ص ٥٥.

الدلالة:

- المقاربة الدلالية للمثل:

نتناول هنا عرضا موجزا لدراسة سابقة خصت المثل باهتمام كبير يسعى إلى اكتشاف الكيفية التي تشتغل بها الأمثال من وجهة دلالية وتداولية، وهي دراسة كليبر حول المثل[١]، وتقوم هذه الدراسة على أمرين متلازمين هما:

أولاً: اعتبار المثل اسما:

التسمية من وجهة نظر كليبر نوعان: تسمية عادية تكون فيها العلاقة مباشرة بين فرد بعينه واسم يعينه كما نرى في أسماء الأعلام، وتسمية ميتا لغوية يحيل فيها الاسم على متصور عام أي على دلالة من أمر اللسان تم الاتفاق عليها من قبل الجماعة المتكلمة ولا يمكن إجراء هذا الاسم على فرد بعينه إلا إذا طابق هذا الفرد ذاك المتصور في مجموعة من الصفات وشابهه في بعض الأشياء، وعليه فالمثل يتصف بقدر من التحجر يجعله لا يفارق وضعه الأول ويحيل بمقتضى التواطؤ والمواضعة على متصور عام غير قابل للتجزؤ وغير ناجم عما تدل عليه البنية التركيبية [٢].

ثانيا: اعتبار المثل جملة عامة:

مثلما يأخذ المثل بعض خصائص الاسم فيما يتصل بعلاقة الدال والمدلول فإنه يشبه نوعا من الجمل في بعض الجوانب وهي «الجمل العامة» وهي تختلف عن الجمل التي تعرض أحداثا ووقائع وتدور على ما هو ظرفي وعرضي، فالجمل العامة والمثل يشتركان في كونهما يحيلان على وضعيات

---

(١) نعتمد في عرض هذه الأفكار هنا على العرض الذي قدمه الدكتور حاتم عبيد (٢٠٠٥) في مقاله: المثل قضاياه ومعناه ص ٣٤ - ٥٩.

(٢) انظر د. حاتم عبيد (٢٠٠٥) ص ٤٦ بتصرف.

عامة ومواقف محتملة، وهو ما يجعلها غير مرتهنة بسياق بعينه كما أنها تخلو من كل ما من شأنه أن يحيل على مقام التلفظ كالقرائن الدالة على الشخص والزمان والمكان، ومما يشترك فيه المثل والجملة العامة أن وجود أمثلة مناقضة لا يبطل الحقائق التي يحملها كل واحد منهما، وكل من المثل والجملة العامة يسمح بفعل استدلالي يتصل بما سيقع أو بما يمكن أن يقع، والمثل في نظر كليبر لا يحتفظ بهويته وانخراطه في صنف الأمثال إن تم تحويله من جملة عامة إلى جملة حدثية(١).

وفي سياق البحث عن الكيفية التي تصير بها الجملة العامة مثلا وعما هو من الجمل العامة مرشح لكي يكون مثلا يقدم كليبر شرطين ينبغي توافرهما في الجملة كي تصير مثلا، **أولهما**: أن يدور موضوعها ومحتواها على الإنسان؛ ذلك أن الجملة العامة تدور على الإنسان وغير الإنسان، بينما المثل لا يخرج معناه على دائرة الإنسان، وهذا الشرط لا يرده وجود أمثال تدور على غير الإنسان طالما أن تأويلها يرجعها إلى عالم الإنسان من خلال تجاوز المعنى الحرفي لمثل هذه الأمثال إلى المعنى الاستعاري من طريق تحوير استعاري يجعلها تتعلق مباشرة بالإنسان(٢).

الشرط الثاني: أن تقوم الجملة العامة على بنية استلزامية، فالجمل التي لها محتوى دلالي تضمني هي وحدها المؤهلة لكي تضحى أمثالا، والبنية الاستلزامية لا يوقفنا عليها المعنى الحرفي للمثل وإنما علينا أن نلتمسها في معنى المثل، والمعنى الاستلزامي، هو ما يعينه المثل باعتباره اسما، وهو بذلك معناه وبنيته الدلالية، إن لم ننفذ إليه فإن الحاصل لدينا جمل عامة لها شكل المثل، ولكنها تفتقد إلى بنية استلزامية، فهذه البنية إن لم تكن على سطح المثل فهي ثاوية في قراره تقوم منه مقام البنية الدلالية(٣).

---

(١) انظر د. حاتم عبيد (٢٠٠٥) ه ص ٤٧ بتصرف.

(٢) السابق ص ٤٨ بتصرف.

(٣) انظر السابق ص ٤٩.

وإذا كانت البنية الاستلزامية لا تدرك إلا إذا فهمنا معنى المثل فإن من الأمثال ما له مستويان من المعنى: معنى أول، وهو المعنى السفلى، ومعنى ثان، هو المعنى العلوي، فكأن المعنى العلوي غاية بعيدة موغلة في التجريد، نعرج إليها عبر مرقاة تتمثل في المعنى السفلى للمثل[١].

ولعل هذه الفكرة الخاص بوجود بنية استلزامية للمثل على المعنى الذي يكون به ذا بنيتين دلاليتين تتشابه مع جوهر الفكرة التي تشكل نظرية المثل عند كل من لاكوف وتيرنر والتي تتمثل في القول بأن الأمثال «تتطلب مثل معظم الاستعارات أن يمسك متلقوها بإطار مجال المصدر الذي يقدمه المثل، عندها يشكل المتلقون هذا المجال على مجال الهدف الذي ربما يكون محددا عبر السياق أو غير محدد»[٢].

فالمعنى الأول أو السفلى عند كليبر يتشابه مع مجال المصدر عند لاكوف وتيرنر، ويتشابه المعنى الثاني أو العلوي مع مجال الهدف، وفي ضوء العلاقة بينهما والقول بأن مستخدمي المثل يمتلكون معرفة تجريبية مفصلة عن مجال المصدر تقارب تلك الطبيعة المجردة لمجال الهدف، فإن الأمثال «تكشف العلاقة بين ما يبدو متباينا من المواقف»[٣].

فاحتواء المثل على بنية استلزامية عليا تحيل على وضعية عامة هي التي تمكن من إجرائه على وضعيات مختلفة شبيهة بتلك العامة وتسمح للمتكلم بأن يستحضره في مواقف مختلفة تنضوي تحت تلك الوضعية.

ويشير ريتشارد هونيك إلى أن «الأمثال هي مشكلات تتطلب حلولا مثلما أن القصائد تتطلب التأويل»، وتفترض نظرية هونيك عن المثل وجود بيئتين معرفيتين مختلفتين لاستخدام المثل هما: موقف السياق غير المناسب، وموقف السياق المناسب، وطبقا لهونيك فإن المستمع ينتقل من

---

(١) انظر السابق ص ٥٠.

(2) see Nancy Mason Bradbury (2002): P. 267.

(3) Nancy Mason Bradbury (2002): P. 267.

المعنى الحرفي إلى المعنى المجازي التصوري في حال فشله في التقاط معنى مناسب من المعنى الحرفي، ثم يحاول أن يختار معنى يمكن تطبيقه على عدد متنوع من السياقات الجديدة(١).

وفي نموذج هونيك الخاص بالسياق «غير المناسب» يُعطى المستمع فقط «مجال المصدر» الخاص بالاستعارة [عند لاكوف وتيرنر]، ويجب عليه في هذه الحالة أن يكتشف أو ربما يجب عليه أن يخترع «مجال الهدف». أما في «السياق المناسب» فإن كلا المجالين [المصدر والهدف] يمكن تحديدهما، وتكون المهمة في هذه الحالة هي محاولة الربط بينهما بطريقة مناسبة ذات معنى(٢).

- الشفرة المرجعية للمثل:

في ضوء العرض السابق ينبغي على المتلقي أن يعتمد على شفرات وسياقات اجتماعية معينة لكي يفهم دلالة المثل، ولا بد أن تتناغم هذه الشفرات وهذه السياقات مع بعضها البعض حتى توجه الدلالة التي ينطوي عليها المثل.

والمطلع على كتب الأمثال بوجه عام يرى أن بعض هذه الأمثال تتكرر

---

(1) see Ibid., P.269.

(2) see Ibid., P.270.

ولعل فكرة الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى المجازى تجابه اتجاها آخر ورد عند العرب القدماء يتمثل في قول ابن الأثير: «إذا ورد عليك كلام يجوز أن يحمل معناه على طريق الحقيقة وعلى طريق المجاز باختلاف لفظه، فانظر، فإن كان لا مزية لمعناه في حمله على طريق المجاز، فلا ينبغي أن يحمل إلا عن طريق الحقيقة لأنها هي الأصل، والمجاز هو الفرع». ابن الأثير: القسم الأول ص ٨٩. وتشترك الرؤيتان – بالرغم من خصوصية فكرة الأصل والفرع العربية – في بحث المتلقي عما يناسب السياق من هذه المعاني سواء أكانت حقيقية أم مجازية.

معناها أو تتكرر ألفاظها ومثل هذا النوع من الأمثال قد يوجد في سياقات مختلفة، الأمر الذي يدفعنا باتجاه القول بأن ليس ثمة طريقة محددة تجعل مثالا واحدا يختص بدلالة واحدة دون غيرها، ولكن لهذه الأمثال – كما لغيرها من العبارات التي نستشهد بها – تراثاً تاريخياً محدداً تختلف به المعاني التي تسند إلى كل مثل في إطار السياق الذي نتج عنه، هذا التراث يجعل العلاقة بين هذه المعاني الخاصة بمثل واحد أو تلك التي يتم التعبير عنها بطرق وصياغات لفظية مختلفة مترابطة وبالتالي يمكن لهذا التراث أن يكون سببا في ترابط السياقات التي ترد فيها مثل هذه الأمثال والتي يتم فيها تحويل معاني هذه الأمثال.

ولعل القول بوجود شفرة مرجعية للمثل يعتمد على البعد السيميائي للألفاظ التي يتضمنها، فالشفرة المرجعية تصل الطريق بين المثل والمجتمع «لأن العلامات عادة ما يستخدمها الناس في ممارساتهم الاجتماعية للتواصل بطرق معينة، وهذه الاستخدامات العملية هي المعاني المختلفة للكلمة... [فـ]تحديد هوية الكلمة في المقام الأول يتضمن بمعنى ما استخداماتها الاجتماعية العملية»(١)، وهذا معناه أن الاستخدامات الاجتماعية لتعبير أو لفظ معين تحكم على حد تعبير تيري إيجلتون «بحثي عن سياقات ملائمة للمعنى»(٢)، هذا البحث إنما هو بحث خاص بالدلالة الاجتماعية لعبارة المثل التي يمكن على ضوءها تفسير الدلالة التعبيرية [الذاتية] لهذه العبارة.

على ضوء ما سبق يمكن النظر إلى دلالة المثل باعتباره تلويحا وتلميحا على أنه رمز لمحتوى يتحدد داخل الموقف بناء على العلاقات التي تجمع بين هذا الموقف وسياق المصدر، فإذا كان المثل في سياق المصدر ينطوي على نصيحة واجبة التنفيذ بالابتعاد عن المكان المحاط بالخطر وتعليل هذا

---

(١) تيري إيجلتون ترجمة أحمد حسان (١٩٩١) ص ١٠٩ – ١١٠.

(٢) السابق ص ١١١.

الابتعاد بدليل مادي يتمثل في ترك القطا أعشاشها بسبب من أعشها، فإنه في سياق الموقف مازال محتفظا بهذا المحتوى غير أن المتكلم صاحب المثل [الحسين] يثير مسألة وجود فجوة أيديولوجية بين هذين السياقين من خلال تصديره لهذا المثل باسم الفعل [هيهات]، هذه الفجوة تشير إلى أهمية العامل المعرفي في بيان العلاقة بين عبارة الاستشهاد والموقف، وعلاقة هذا برقابة المتكلم مما ينعكس بدوره على دلالة هذه العبارة، فباعتبار المثل عبارة وردت في هذا السياق عن طريق آلية الاقتباس، فهو بنية معادة مصكوكة على ذات القالب النحوي لبنية وردت في سياق مختلف، ولكن مازالت هذه البنية داخل الموقف الجديد تحمل بعض تراثها الخاص بهذا الشكل أو القالب القديم مع بعض الاختلافات في مواقف كل من المتكلم والمتلقي من هذه العبارة[١].

بمعنى أن مثل هذه العبارة باعتبارها اقتباسا تشير إلى ما يسمى بالمحتوى المرفق، ويشير هذا المصطلح وفق دراسة بردلي إلى أن العبارات والجمل التي يشار إليها على أنها اقتباس تقترن بمحتوى معلومات إضافي بجانب رسالتها المعتادة التي تريد إيصالها[٢]، ومعنى هذا أن هذا المحتوى يسير متوازيا مع مقصد الرسالة «العبارة»، ولكنه ليس جزءا من هذا المقصد، فالعلاقة التي تقوم بين مكونات هذا المثل: [لو ترك القطا ليلا لنام] تشير إلى مجموعة من المعلومات بشأن [القطا] على النحو الذي يكون به القطا هو موضوع هذه العبارة، ولكن مقصد العبارة ذو شان مختلف؛ فهي تقتضى البدء بترك المكان هربا من الخطر.

ولعل لهذا الأمر علاقة بما ساقه كرافشينكو من أننا في كل مرة نستخدم اللغة نعالج المعلومات المتاحة عبر البنى اللغوية من خلال قيم معرفية تشير إلى مواقفنا من هذه البنى ومضامينها، فأن نتحدث عما

---

(1) see F. G. Lounsbury (1968): P.46.

(2) adapted from S. Predelli (2003): P.26.

نعرفه هو أن نضع أنفسنا في مستوى المعرفة المشتركة الذي يقودنا إلى نظام المعتقدات الموجه نحو العالم الذي نعيشه[١].

العبارة والوظائف التبادلية:

انطوى استخدام المثل السابق على رفض المقترح الذي تقدمت به [سكينة]بالعودة إلى مقام جدها والنجاة من الشر الذي يقدم عليه [الحسين]، ومن ثم قصد الحسين إلى استخدام المثل الذي يجسد هذا المقترح [لو ترك القطا ليلا لنام] مسبوقا بما يعبر من جانب عن انفصال العلاقة بين هذا المثل وهذا السياق، ومن جانب آخر عن رفض الحسين ترك هذا المكان والعودة إلى مكان جده؛ لذا قدم [الحسين] هذا المثل مسبوقا باسم الفعل الماضي [هيهات] الذي يجسد هذين التعبيرين.

إن رفض الحسين لهذا المقترح ينطوي على موقف أيدلوجي محدد تجاه فكرة [ترك المكان] التي أثارتها [سكينة]، والتي تجسد فيها دلالة هذا المثل أحد أهم العوامل الحجاجية التي تؤيد هذه الفكرة، ولكن هذه الفكرة لها جوانب أيديولوجية بينها قول الحسين: إنما يأبى على الله هذا يا أخية.

إن هذا المثل بما هو رمز على النجاة ودليل إليها وفق ما هو مصاغ في سياق المصدر وعلاقته بقصته، فإن الجزم ببعده عن هذا السياق الذي يتضمن المتكلم والمستمع من خلال استخدام المتكلم [هيهات]، ومن خلال علاقة هذا المثل بقوله: [إنما يأبى الله على هذا يا أخية] صار عنوانا على أيديولوجية ترى من فكرة ترك المكان [استسلاما وهروبا]، وقد ترجمت هذه الأيديولوجية من خلال استخدام لفظ [هيهات]، وبالتالي فإن القول إن «المفردات تشفر الأيديولوجيا وأنساق الاعتقادات المتعلقة بالطرق التي نظم بها العالم»[٢] يعد قولا مبرهن عليه من خلال هذا الموقف.

---

(1) adapted from A. Kravchenko (2002): P.48.

(٢) انظر روجي فولر ترجمة د. محمد خطابي (٢٠٠٥)، ص ٧٨.

التماسك

يعد بناء الخطاب على صورة مخصوصة جزءا من الاستراتيجية التواصلية وذلك على المعنى الذي يستبعد فهم هذه الصورة خارج سياقها المقامي والاجتماعي(١)، فهناك أنظمة تواصلية محددة ومتعددة يتطلبها تحقيق التفاعل الاجتماعي تشير إلى الاستراتيجيات التي يعمل بها التواصل(٢)، فإذا تم توصيف الخطاب التالي بأنه خطاب حدث داخل أسرة واحدة لها أهداف مشتركة ومصالح تسعى إلى تحقيقها وأن هذا الخطاب تم في سياق شديد التأزم؛ فإن درجة العاطفية التي تظهر خلاله وتنميط التبادل هي إحدى الاستراتيجيات التواصلية التي تسهم في تشكيل نظام التواصل(٣)، ويتعلق بتنميط التبادل هذا بحث التماسك والترابط الحاصل بين أدوار هذا التبادل؛ إذ لا يتعلق التماسك «بمستوى التحقق اللسانى، ولكنه يتعلق بالأحرى بتصور المتصورات التي تنظم العالم النصي بوصفه متتالية تتقدم نحو نهاية»(٤)، ونشير هنا إلى إحدى أهم العلاقات التي يتحقق بها التماسك في النموذج موضع التحليل، وذلك على النحو التالي:

- العلاقات التداولية:

الحسين: (شاهرا سيفه) ايه آل البيت قد آن الرحيل، حان والله الوداع.

سكينة: فهو والله فراق لا يرجى بعده العمر لقاء

زينب: هكذا تسلم للموت حياتك

الحسين: فإلى من أتكل ؟ (يتحرك)

---

(١) انظر جان ماري ترجمة د. منذر عياشي (٢٠٠٤)، ص ١٢٨.

(2) see Tanya Stivers (2004): P.260 ff.

(3) adapted from Ina C. Uzgiris (1996): P.23.

(٤) جان ماري ترجمة د. منذر عياشي (٢٠٠٤)، ص ١٣٣.

سكينة: أبتي لا... كيف ترحل ؟

الحسين: لم لا يذعن للموت فتى ليس له من ينصره ؟

زينب: واحمزتاه... واحمزتاه... وا أبتاه... وا أبتاه.

قدمت العبارتان الثانية والثالثة **تخصيصا** للعبارة الأولى؛ بمعنى أنهما قدمتا مزيدا من التحديد للحقيقة التي قدمتها العبارة الأولى من خلال **رصد** الموقف الذي يتحدث عنه الحسين، ولما كانت العبارة الثالثة تقدم **رصدا** لحقيقة الموقف، فإن الحسين قدم في العبارة المرتبطة بها **السبب** الذي يكمن خلف هذه الحقيقة معطيا بهذا مزيدا من **التأكيد** على السعي نحو محاربة جيش يزيد، وأشار النص المرافق إلى بداية تحرك الحسين نحو هذا الجيش؛ ومن ثم جاءت عبارة سكينة تنطوي على **طلب** بعدم التحرك. فقدم الحسين استفهاما لا يريد الإجابة عنه **مؤكدا** بهذا ضرورة المواجهة، وإزاء هذه الضرورة لم تملك زينب أو سكينة إلا البكاء وانتداب حمزة رضي الله عنه **كمثال** لمن كان جديرا بالدفاع عن الحسين ومواجهة هؤلاء.

الحسين: (مستمرا) أم ترى استسلم الآن فتسلمن وأسلم ؟

إنما يأبى على الله هذا يا أخية.

زينب - سكينة: واجداه... وواغربتاه

ويستمر الحسين في تقديم الأسئلة التي تضع **احتمالات** لما يمكن أن تفكر به سكينة وزينب، ثم يدفع بهذا الاحتمال بعيدا عن دائرة التحقق من طريق تقديم التأكيد على عدم استسلامه، في مقابل هذا **التأكيد** لم تجد كلتاهما إلا البكاء.

الحسين: لا تبكيا... إن البكاء طويل.

سكينة: أبتاه إنك سائر للموت مقهورا عليه

الحسين: هو ذا مصيري يا بنية لا فرار من المصير

فتأتي عبارة الحسين منطوية على **طلب** بعدم البكاء مشفوعا بتأكيد

على طول البكاء، ومن ثم قدمت سكينة **السبب** الذي جعلهما تبكيان عارضة به لحقيقة اضطرار الحسين إلى المواجهة والموت، فقدم الحسين **حقيقة** أخرى مبررة **بفرضية مسبقة**.

سكينة: ارجع بنا لمقام جدي وانج يا أبتي بنفسك

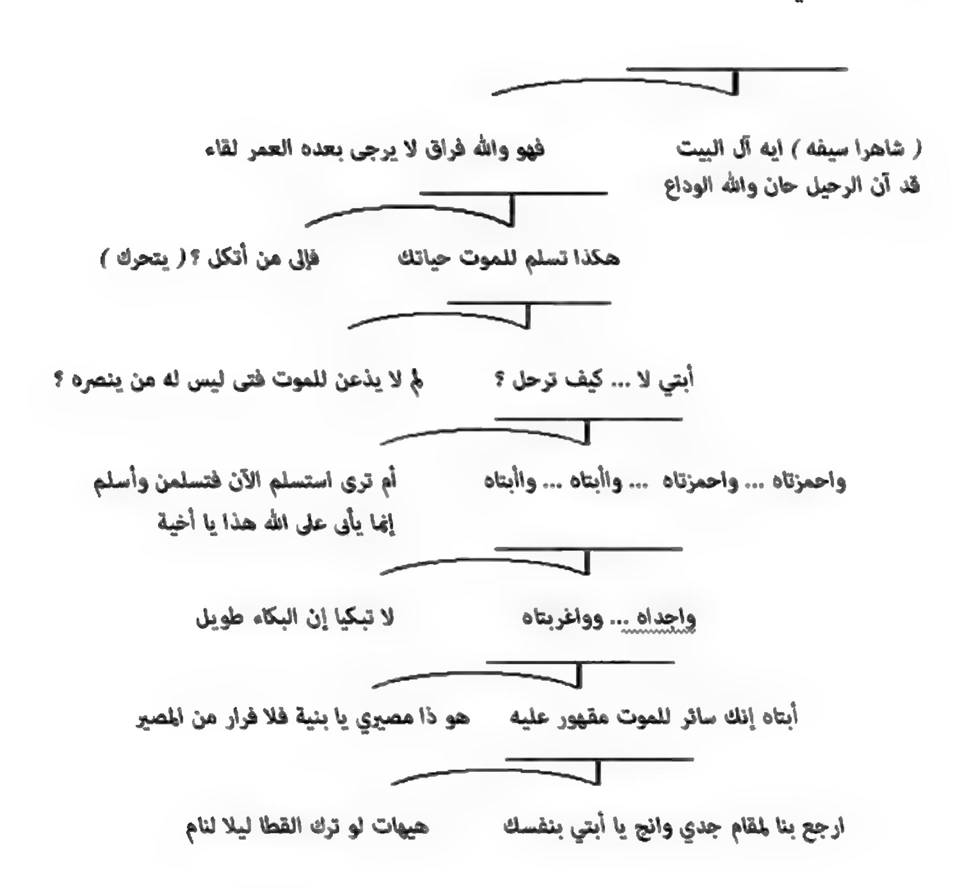
الحسين: هيهات لو ترك القطا ليلا لنام

وعلى ضوء هذا قدمت سكينة اقتراحا بالرجوع والعودة، وهو اقتراح ينطوي على **طلب**، ولكن الحسين يرفض هذا الطلب مبررا سعيه نحو العدو بعبارة المثل الذي استشهد به.

ومن ثم فقد تم بناء هذا الخطاب على متوالية متماسكة من الأفعال الكلامية التي تتسق والأهداف التي يسعى إليها كل مشارك داخل الخطاب.

[٢] مبدأ الأزواج المتجاورة:

يمكن تمثيل النموذج موضع التحليل وفق مبدأ الأزواج المتجاورة على النحو التالي:

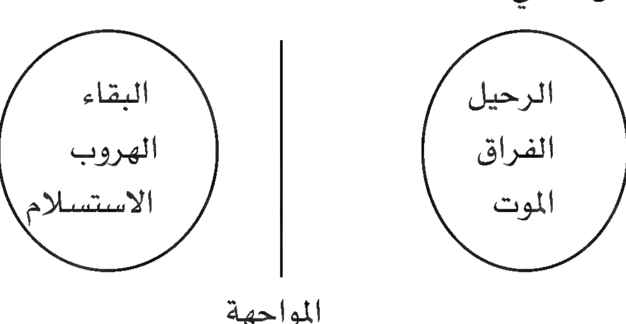


ويشير التخطيط السابق إلى أن الخطاب قد تم بناؤه على صورة الزوج المتجاور [*FPP, SPP*] مما يحقق قدرا من التماسك بين الأدوار التي يتكون منها.

[٣] مبدأ التداخل:

في هذا النموذج ثمة دوائر متداخلة على الصعيد السيميائي، تلعب دورا بارزا في ترابط الخطاب، فالرحيل الذي سعى إليه الحسين في بداية الخطاب استدعى التعبير عنه من قبل مشاركيه بمفهوم الفراق، والموت، ولعل هذه المفاهيم الثلاثة بدت متماسكة ومترابطة في مقابل الدوائر الخاصة بمفهوم البقاء والاستسلام والنجاة، وهذا معناه أن العلاقة بين هاتين المجموعتين من المفاهيم هي علاقة التضاد.

ولعل مفهوم المواجهة الذي تم التعبير عنه من خلال استخدام الحسين لعبارة الاستشهاد يتخذ لنفسه مكانا محوريا يفصل به بين الدائرة الخاصة بمفاهيم الموت والفراق والرحيل، والدائرة الخاصة بالنجاة والاستسلام، كما يبين الشكل التالي:



وجاء التعبير عن مفاهيم الدائرة الأولى من خلال رصد الحسين وآل البيت لمحيط الحدث الذي يعبر عنه هذا الخطاب، أما مفاهيم الدائرة الثانية، فقد وردت في سياق انفعالي عاطفي أراد به آل البيت التأثير على الحسين، هذه المفاهيم كلها مستبعدة؛ ذلك أن الحسين يدرك أولاً أنه قد بقى وحيدا [أم ترى استسلم **الآن** فتسلمن وأسلم]، وثانيا المصير المحتوم الذي يرى الحسين أنه لا فرار منه.

إن عبارة الاستشهاد هنا هي العبارة التي تشكل المواجهة من جانب وتتم بها عملية التبرير من جانب آخر؛ وبالتالي فهي تجمع الدائرتين في نقطة لا تتماسان فيها بل تفترقان، وإن كانت بالرغم من هذا قادرة على عقد علاقة بينهما.

الفصل الرابع
الاستشهاد وفعل التأكيد

تمهيد

علاقة اللغة بالفعل في أحد أبعادها المختلفة هي علاقة الآلة بما ينتج عنها، فنحن على حد تعبير فان دايك «لا نريد أن نعرف فقط «الصيغ» و«المضامين» التي يمكن للنص أن يمتلكها، ولكن نريد أن نعرف أيضا الوظائف الممكنة التي يستطيع أن يملأها بفضل هذه الصيغة وذلك المضمون المخصوصين»[1] غير أن إنجاز مثل هذه الوظائف مشروط بتلبية مجموعة من الشروط من أهمها المناسبة والمقبولية.

ولعل إحدى أهم الوظائف التي قد يروم المتكلم تأديتها من طريق استخدامه لعبارة الاستشهاد هي التأكيد على فعل محدد يسلكه، وينطوي التأكيد بطبيعة الحال على مجموعة من المبررات أو المسوغات التي تجعل مثل هذا الفعل مقبولا من وجهة نظر المتكلم أو المستمع أو كليهما، وذلك في ظل مجموعة من الأيديولوجيات التي يتبناها كل منهما والتي يتم اكتسابها من المجتمع الذي يشتركان فيه.

وفي بعض الأحيان قد تتصادم مثل هذه الأيديولوجيات الأمر الذي ينعكس على حالة التواصل من ناحية، وعلى العلاقات التي تربط بين متوالية المنطوقات التي تشكل الخطاب من جانب آخر، وفيما يلي نموذج يمثل فعل التأكيد بوصفه فعلا خطابيا يتطلب إنجازه مجموعة من الشروط التداولية تعكسها العلاقات التي تربط بين وحدات عبارة الاستشهاد من ناحية، وعلاقات هذه العبارة بغيرها من عبارات الخطاب من ناحية أخرى.

---

(١) فان دايك ترجمة د. منذر عياشي (٢٠٠٤): ص ١٧٠، ١٧١.

النموذج

السياق: دارت معركة بين الحسين ورجال يزيد، ولما كان رجال يزيد كثرة؛ فقد تغلبوا على أصحاب الحسين وقتلوهم جميعا، ولم يبق إلا الحسين وبعض أهل بيته؛ فأخذوا يمطرونه بالنبال...

الحسين: يا ابن سعد... يا ابن سعد

أسد: فلتكفوا النبل عنه، ربما استسلم يا قوم وجنبنا قتاله

الحسين: يا ابن سعد قطع الله تعالى رحمك، أنا أدعو الله أن تذبح بعدى في فراشك

عمر: أفلا استسلمت لي ؟ يا ابن على ؟

كل أصحابك ماتوا

كل إخوانك... أبنائك.... أبناء أخيك

كلهم ماتوا... وما عاد سواك

يا حسين... أنت فرد

ما عسى يصنع فرد واحد واجه آلافا كثيرة ؟

الحسين: أنا أدعو الله أن يمسخكم

أنتم يا أجرأ الناس على الله قرودا

وخنازير حقيرة

سلط الله عليكم ظالميكم

أسد: اتركوه لحظة....

(لعمر) اتركوه قد يستسلم الساعة لك

(للحسين) أفلا تنجو بنفسك ؟

فلتبايع ولتعد من حيث جئت

فلتعد... لا تمض فيما أنت ماض فيه بعد

إنه الموت كما شاهدته الآن فعد...

الحسين: «سأمضى وما بالموت عار على الفتى

إذا ما نوى حقا وجاهد مسلما

وواسى الرجال الصالحين بنفسه
وخالف مثبورا وفارق مجرما
فإن عشت لم أندم وإن مت لم ألم
كفي بك ذلا أن تعيش وترغما »
عمر: (للرجال) اذهبوا عنه إلى أن تسمعوا أمري إليكم
فأفيضوا بسهام ونبال ورماح [١].

السياق

ورد في الكامل في التاريخ لابن الأثير أن الحر ذكر للحسين ناصحا أنه إن قاتل فسوف يقتل، فقال له الحسين: أبالموت تخوفني ؟ وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني ؟، وما أدرى ما أقول لك !، ولكنى أقول كما قال أخو الأوسي لابن عمه وهو يريد نصرة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال له: أين تذهب ؟ فإنك مقتول!، فقال[٢]:

سـأمـضى ومـا بالموت عـار على الفـتى
إذا مـا نوى خـيـرا وجـاهد مـسلمـا
وواسـى رجـالا صـالحين بـنفـسـه
وخـالف مـثـبـورا وفـارق مـجـرمـا
فـإن عـشت لـم أندم وإن مـت لـم ألم
كـفي بك ذلا أن تعـيـش وترغـمـا

---

(١) عبد الرحمن الشرقاوي ٢/ ١٢٠- ١٢١.

(٢) أبو الحسن على بن أبى الكرم (ابن الأثير): مج ٤ ص ٤٩. ولقد وردت أخطاء عديدة داخل مادة الدراسة فيما يتعلق بهذه الأبيات، من هذه الأخطاء: قوله «وداس الرجال» والأصل «واسى رجالا»، قوله «وفارق مثبورا وخالف مجرما» والأصل «وخالف مثبورا، وفارق مجرما»، ولعل هذه الأخطاء تشير إلى ما يعترض الاستشهاد من أخطاء النقل وتغيير الصياغة.

فالحسين في هذا السياق يريد تأكيد عزمه على السعي نحو مصيره، وهدفه مادام هذا الهدف سيجعله ينتصر لرسول الله ويرضي ربه، والحسين في هذا السياق يسوق هذا الشعر مقرونا بسياقه السابق؛ فهو يذكر قصة أخي الأوسى الذي ذهب مناصرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فحاول ابن عمه أن يصده ناصحا له ومؤكدا على إنه إن خرج قتل، فذكر هذه الأبيات التي تدل في مجملها على تأكيد العزم على الفعل متبوعا بمبرراته ونتائجه.

ومن خلال هذا نرى إصرار الحسين على المضي نحو الموت ونحو نصرة الحق من خلال التماسه تلك العبارة وذكره لقصتها كاملة مما ينعكس على صورة سياقها وملابساته.

كما يذكرنا هذا بأهمية رقابة المتكلم في عملية الاستشهاد، وهي ما يعكس الوعي المعرفي بالقضية التي يتحدث عنها وموقفه منها، فالحسين يعي تماما المناسبة بين السياقين؛ فهما يشتركان في التعبير عن دلالة الإصرار وتأكيد العزم وإن كان هناك من الأسباب ما يدعو إلى غير هذا العزم.

وبالتالي لا تختلف دلالة هذه الأبيات داخل السياق الجديد؛ فما زالت المعاني قائمة تبوح بالإصرار ومبرراته ونتائجه، كل هذا يؤكد لنا على أهمية المناسبة بين العبارة والخطاب الذي يتضمنها، وعلى كون هذه المناسبة شرطا مهما في عملية الاستشهاد.

العبارة

الإحالة:

أحد أهم أجهزة الخطاب المسئولة عن بناء خطاب متماسك هي وقوع الضمائر التي يتضمنها هذا الخطاب في مواقع مناسبة من هذا الخطاب بحيث يتم تحديد الثنائية الإحالية: [سالف / إحالي] بوضوح داخل تتابع المنطوقات التي يتضمنها الخطاب، ولقد تنوعت الضمائر داخل عبارة الاستشهاد، وقسمت على ثلاثة أنماط:

النمط الأول: ضمائر المتكلم [ياء المتكلم، وتاء الفاعل].

النمط الثاني: ضمائر المخاطب [أنت المستتر في الفعل]

النمط الثالث: ضمائر الغيبة [هو المستتر في الفعل]

ولعل ورود هذه الأنماط الثلاثة داخل عبارة واحدة يثير المسألة الخاصة بتحديد المراجع التي تحيل إليها هذه العبارات، وجمع هذه الضمائر ومراجعها داخل البنية الإحالية [سالف / إحالي]، ولكن ليست كل هذه الأنماط من الضمائر يمكن جمعها تحت هذه البنية، حيث تشير هذه البنية إلى ما يتم تحديده من عناصر الخطاب داخل العبارة؛ ذلك أن من هذه الأنماط ما يحيل إلى خارج هذه العبارة، مما يستدعي تقسيم الإحالة داخل هذه العبارة إلى: إحالة خارجية، وإحالة داخلية.

والنوع الأول تمثله أنماط الضمائر الدالة على المتكلم والمخاطب، في حين تمثل النوع الثاني من أنواع الإحالة أنماط الضمائر الدالة على الغائب، وذلك على النحو التالي:

ياء المتكلم في [سأمضى] تشير إلى المتكلم [إحالة خارجية].

تاء الفاعل في [عشت / مت] تشير إلى المتكلم [إحالة خارجية].

ضمير الغائب [هو] في [نوى / جاهد / واسى / فارق / خالف] تشير إلى [الفتى] [إحالة داخلية].

ولكن أزعم أن التحليل السابق يصدق فقط على عبارة لغوية لا تحمل علامات اقتباس منطوقة أو مكتوبة؛ إذ إن الطبيعة الاقتباسية لعبارة

الاستشهاد تقتضى تحليل الإحالة داخلها وخارجها وفق منظور مختلف، مما يقتضي الوقوف على مجموعة من العناصر التي تشكل الثنائية [سالف/إحالي]؛ فبعض هذه المجموعة من العناصر يتخذ دلالة تختلف عن دلالته في حال الاستشهاد، وبعضها يقف عند هذه الدلالة في الحالتين.

فالضمائر التي تحيل إلى المتكلم والمخاطب داخل عبارة الاستشهاد هي تلك المجموعة من الضمائر التي تقتضى دلالة مختلفة داخل سياق الخطاب، في حين تظل ضمائر الغائب مقيدة بشروط محددة حتى يصدق عليها مبدأ الدلالة المختلفة، فإن كنا نستطيع فصل ضمائر الغائب في هذا المثال عن دائرة العناصر التي تقتضى دلالة مختلفة، فإن هناك من السياقات ما يجعلها تشير إلى هذا النوع من الدلالة.

فضمائر المتكلم والمخاطب بفضل فعل الاقتباس تشير إلى ما يمكن أن يسمى «الوحدات ثنائية الدلالة»؛ وهذا معناه أن هذا النوع من الضمائر يشير إلى عناصر السياق السابق [المتكلم والمخاطب] في الوقت الذي تعبر فيه هنا عن [المتكلم والمخاطب] داخل سياق الخطاب. ومعنى هذا أن هذه العناصر يتم النظر إليها من خلال ما يسمى «بارميتر سياقي معدل»[1]، إذ بينما يتنوع المحتوى الدلالي للعنصر الإشاري من سياق إلى آخر فإن معناه لا يتغير، فمعناه غير المتنوع سياقيا يقيد هذا العنصر بأن ينضم محتواه الدلالي إلى خواص محددة يتيحها السياق الذي يتضمنه، فمحتوى [أنا] هو فاعل السياق، ومحتوى [الآن] وقت السياق، ومحتوى [بالفعل] هو عالم السياق، وفي حالات أخرى يقيد معنى العنصر المحتوى الدلالي كي يتناسب وأحد الشروط كأن يكون محتوى [هو] مذكر، و [هي] مؤنث، و[نحن] مجموعة الأشخاص بينهم فاعل السياق[2].

وبالتالي يتم تحديد إحالة هذه الضمائر بما يتطابق مع السمات

---

(1) See Scott Soames (2002): P.445.

(2) Ibid., P.445.

الدلالية التي يتركها استعمال هذه الضمائر داخل المركب الفعلي؛ بمعنى أن [سأمضى، مت، عشت] تشير إلى مجموعة من السمات الدلالية مثل [كائن حي، إنسان، متكلم، فاعل، مفرد، مذكر]، وتشير [بك، تعيش] إلى السمات [كائن حي، إنسان، مخاطب، فاعل، مذكر، مفرد]، وبالتالي فإن هذه السمات تشير إلى عمومية إحالية أو إلى مجال إحالي واسع، يتحدد في السياق الأول بالمتكلم والمخاطب الأصليين، ويتحدد في سياق الخطاب البديل بالمتكلم الذي يقتبس هذه العبارة ومخاطبه.

وعليه تبقى هذه العبارة أو الأبيات مجالا إحاليا واسعا يمكن أن تشمله وتحدده سياقات الاستخدام، في حين تبقى المجموعة الأخرى التي تحدد عنصرا لغويا ورد داخل العبارة محددة الدلالة وأحادية الإحالة تشير فقط إلى هذا العنصر كما في [الفتى] و[نوى/جاهد/واسى/فارق/خالف].

الدلالة:

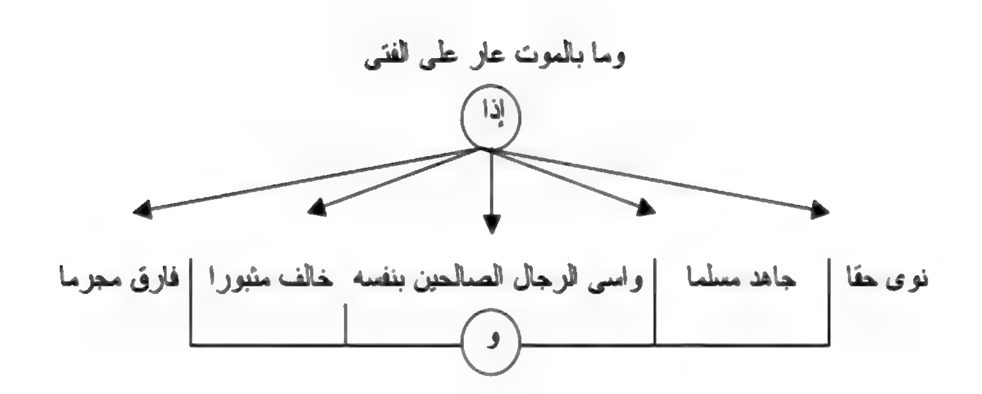
إن ورود عبارة استشهاد تحمل مجموعة من الضمائر والمقولات، تشير فيها ضمائر [المتكلم والمخاطب] إلى شخصين في وقت واحد، وتشير فيها المقولات إلى قضية محددة تترجمها مجموعة من المؤشرات الدلالية، كل هذا يحتاج بالتأكيد إلى استنتاجات دلالية إضافية إن صح هذا القول، وهذا معناه أنه إذا كانت هذه العبارة قد تعبر عن قضية ما، فإن الاستشهاد ربما يحتاج إلى بحث موقف المستشهد من هذه القضية، هذا من جانب، ومن آخر يمكن النظر إلى البعد التداولي وراء توظيف مثل هذه العبارة.

على المستوى الدلالي تشير العبارة إلى الصلة التي يمكن عقدها بين صاحب العبارة الأصلي والحسين، بمعنى أنها تحمل لديهما التأويل ذاته، وذلك من طريق فعل الاقتباس بجانب العلاقات الدلالية التي تتيحها عبارته المقتبسة.

من الوجهة التركيبية نرى أن الفعل [سأمضى] لابد أن يكون – كما تشير إلى هذا سماته المعجمية الانتقائية – متبوعا بحرف الجر [إلى]، ثم

بمجرور هذا الحرف، أو الظرف [نحو] ومضاف هذا الظرف، وتأويل شبه الجملة هذه هو قوله [إلى الموت/نحو الموت]، وهذا في ذاته يشير إلى حذف وقع في الكلام، ودليل هذا الحذف ورد في التتابع السابق على عبارة الاستشهاد في قول أسد [لا تمض فيما أنت ماض فيه بعد، إنه الموت] فالنهي هنا رابط بين التتابعين من طريق تضاد دلالة قوله [سأمضى] المؤكدة المثبتة والتي تشير إلى رفض هذا النهي من جانب وتأكيد العزم على الفعل من جانب آخر.

أما قوله [وما بالموت عار على الفتى] فهو مرتبط كذلك بقول أسد [إنه الموت]، فكأنما كانت العلاقة بينهما هي الشرح والتفسير للفعل [سأمضى] في علاقته بمتعلقه السابق [إلى الموت / نحو الموت]، ولكن لما كانت مسألة السعي إلى الموت مرتبطة من الوجهة الأيديولوجية الخاصة بالحسين بمجموعة من الشروط الخاصة التي تبيح مثل هذا السعي، جاءت الجملة الشرطية الموسعة من طريق العطف إذ يتم تقييد هذا السعي بمجموع الشروط التي تتيحها هذه الجملة، وهي على النحو التالي:



ويتحقق الربط بين جميع أجزاء هذه الجملة من طريق:

استخدام الرابط الشرطي [إذا].

استخدام رابط العطف [الواو].

هذا بالإضافة إلى الترابط المنطقي بين هذه الشروط؛ إذ جميعها خاص بحالة محددة من حالات ذلك الفتى موضوع هذه الجمل[١]، ويشار إلى موضوع الربط العطفي بين هذه الجمل بما يسمى التراكيب الشرطية الممتدة إذ ترد العبارة هنا على منحى تركيبي متعدد العلاقات، وذلك بأن تمتد هذه الجمل؛ فلا يتم معناها إلا بقراءتها كاملة، وتتعدد علاقات التراكيب المكونة لها من خلال التداخل التركيبي الحاصل بين أجزاء هذه التراكيب، ولكن مع هذا الامتداد والعلاقات الكثيرة هناك هاديات تركيبية تحيلنا إلى الكيفية التي تم بها الربط بين أجزاء هذه الجمل[٢].

وإذا كانت هذه التراكيب تشير إلى مجموعة شروط القضية السابقة عليها [وما بالموت عار على الفتى]، فإن نتائج القضية الأولى [سأمضى] المتعلقة بها وردت في قوله [فإن عشت لم أندم وإن مت لم ألم]، فهي تراكيب تعبر عن نتائج هذا المضي، وتترابط هذه التراكيب بما سبقها من خلال استخدام حرف العطف [الفاء] بالإضافة إلى الترابط الناجم عن الصياغة الشرطية واستخدام العطف بالواو بين هذه التراكيب، وفي نهاية الأبيات يقدم الحسين مأتى آخر للمضي نحو الموت وهو ما يتمثل في قوله [كفي بك ذلا أن تعيش وترغما]. والملاحظ هنا غلبة الصياغة الشرطية في التعبير عن قضايا أو قل عن معنى المتكلم، فإذا عطفنا على هذا الخاصية الإحالية كان استخدام هذا النوع من التراكيب ذا أهمية مخصوصة لإنتاج

---

(١) من جانب آخر يعد العطف وسيلة واضحة الإشارة على الارتباطات الواقعة بين الحوادث والمواقف إذ يربط الوصل هنا بين أشياء لها نفس المكانة. انظر دو بوجراند وآخرين ١٩٩٢ ص ١٠٧.

(٢) انظر منتصر أمين عبد الرحيم (٢٠٠٤) ص ٥٥، ولعرض الأحكام القواعدية المتعلقة بالعطف على الشرط انظر: ابن هشام المصري تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (١٩٩٦) ص ٢٣٩، وأبا حيان الأندلسي تحقيق د. مصطفى أحمد النحاس (١٩٨٧) ٢ /٥٦٢، والرضي ٢/ ٢٦١ وخالد الأزهري ٢/ ٢٥١.

ضروب التعميم[١]. وهذه العبارة في مجملها تشير إلى دلالة التضحية بالنفس في سبيل الحق، وهي تعلل لها وتسوق كذلك النتائج الخاصة بها.

أما على الجانب التداولي نرى أن الحسين يعي الغرض الذي من أجله ساق هذه العبارة أو قل اختار بعناية شديدة هذه العبارة، فهي ترتبط مع وحدات التتابع السابق [لا تمض - إنه الموت]، كما أنها وردت من موقف شبيه كل الشبه بموقف الحسين هنا مما يحقق الصلة والمناسبة، كل هذا يعكس لنا اعتماد الحسين للغرض التداولي الخاص بهذه العبارة في سياقها المصدر، فكل من قائل هذه الأبيات وكذلك الحسين قصد بهذه العبارة تأكيد العزم على فعل محدد نهضت العبارة ببيان مشروعيته الأيديولوجية والاجتماعية المبررة من خلال مجموعة من الوحدات الدالة على هذا التبرير مثل [الحق / الجهاد / الإسلام / مواساة الصالحين / مفارقة ومخالفة المجرمين،....].

---

(١) راجع فان دايك ترجمة عبد القادر قنيني (٢٠٠٠)، ص ١١٦ وما بعدها.

التماسك

- العلاقات التداولية:

إذا ما راجعنا التتابع السابق للخطاب نلحظ أن عبارة الاستشهاد ترتبط مع ما سبقها من منطوقات من طريق رفض الدعوة ونفي التأكيد وطرح تأويل جديد لدالة الموت، على النحو التالي:

أسد: اتركوه لحظة....

(لعمر) اتركوه قد يستسلم الساعة لك

(للحسين) أفلا تنجو بنفسك ؟

فلتبايع ولتعد من حيث جئت

فلتعد... لا تمض فيما أنت ماض فيه بعد

إنه الموت كما شاهدته الآن فعد...

الحسين: «سأمضى وما بالموت عار على الفتى

إذا ما نوى حقا وجاهد مسلما

وواسى الرجال الصالحين بنفسه

وخالف مثبورا وفارق مجرما

فإن عشت لم أندم وإن مت لم ألم

كفي بك ذلا أن تعيش وترغما»

فأسد قد أمر الحسين قائلا [فلتعد]، ونصحه [لا تمض فيما أنت ماض فيه بعد]، وفي مقابل هذا نرى الحسين يستشهد بما أوله [سأمضى]، ثم ذكر أسد للحسين [إنه الموت كما شاهدته الآن فعد...] فذكر الحسين قوله [وما بالموت عار على الفتى....]، وبالتالي فإن العبارة مرتبطة بما سبقها من جانب، وتطرح تأويلا جديدا للقضية كما يراها الحسين من وجهة نظره من جانب آخر.

أسد: أفلا تنجو بنفسك ؟ فلتبايع ولتعد من حيث جئت

فلتعد.... لا تمض فيما أنت ماض فيه بعد

إنه الموت كما شاهدته الآن فعد....

الحسين: سأمضى وما بالموت عار على الفتى....

إن العلاقة التي تربط بين هاتين العبارتين داخل التتابع هي علاقة تداولية في مجملها؛ فالعبارة الأولى يسوقها المتحدث بقصد النصيحة، ويدعو من خلالها الحسين إلى النجاة ووسيلتها في هذا الموقف هي البيعة ليزيد، فبعد هذه المعاناة وهذا القتل والموت ينصح أسد الحسين بالعودة عما هو ماض إليه، ولما كانت العلاقة بينهما داخل هذا الموقف لا تؤهل أسد لأن يكون ناصحا للحسين، فإن العبارة الثانية، وهي عبارة الاستشهاد، جاءت لتؤكد تصميم الحسين على المواجهة وإن كانت عاقبتها الموت؛ ذلك أنه موت يقنع به الحسين لما هو فيه من نصرة للحق ومواساة للصالحين ومخالفة للظالمين المجرمين، ولما له من عاقبة يرتضيها الحسين لنفسه.

فالترابط بين العبارتين ترابط تداولي لأنه يعبر عن أحد الطرق المهمة في الربط بين الأفعال الكلامية، وهو العلاقة بين حالة الحدث في العبارة الأولى [عبارة أسد]، وبين حالته في العبارة الثانية [عبارة الحسين]، إذ إن العلاقة بين حدثين بينهما ترابط يشترط فيها أن تكون على النحو التالي: «الحالة النهائية للحدث [i^a] متطابقة مع الحالة الابتدائية للحدث التالي [$i+1^a$] داخل نفس سياق الحدث» [1]، وهذا ما يتضح من التتابع التالي:

أسد:......

لا تمض فيما أنت ماض فيه بعد

إنه الموت كما شاهدته الآن فعد....

الحسين:

سأمضى وما بالموت عار على الفتى....

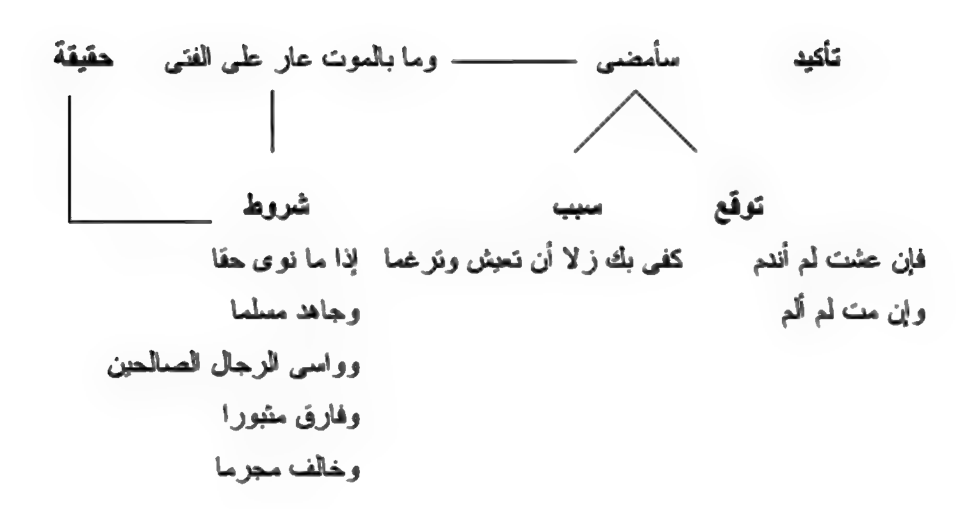
ويتحقق مع هذا الشرط أن ينظر إلى الفعل الكلامي الأول كأنه يقوم

---

(1) adapted from van Dijk (1979): P.447.

بتقديم ما يكون به الفعل الثاني ممكنا، وتسمى هذه العلاقة بين الفعلين علاقة التمكين(1).

أما عن العلاقات التداولية التي تربط بين أجزاء عبارة الاستشهاد فيمكن تقديمها من خلال المخطط التالي:



فالتأكيد يرتبط بالحقيقة.

والحقيقة ترتبط بشروطها.

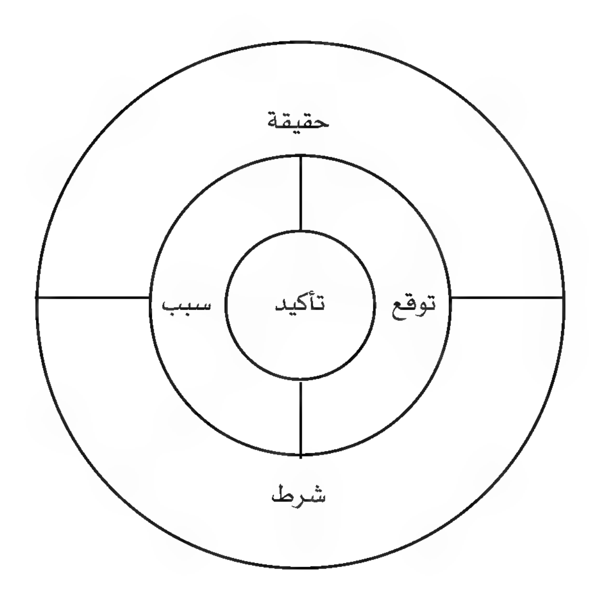
ويأتي التوقع المرتبط بالتأكيد مرتبطا بالشروط المرتبطة بالحقيقة.

ويأتي السبب المرتبط بالتأكيد مرتبطا بالحقيقة.

---

(1) see Ibid., P.448.

ويمكن التعبير عن هذه العلاقات على النحو التالي:



وتعكس هذه العلاقات مكونات السياق التداولي حيث إن هناك العوامل النفسية والاجتماعية التي أثرت في استخدام الحسين لهذه العبارة، كما تعكس هذه العلاقات بعناصرها المختلفة وجهة النظر التي ساقها فان دايك قائلاً: «إننا لنستطيع... على وجه العموم، أن نجعل فعل اللغة معقولا أو مصدقا، وذلك من طريق فعل آخر. وهكذا، فإننا نرى أنه توجد بين أفعال اللسان هذه علاقات تقارن...» [1].

---

(١) فان دايك ترجمة د. منذر عياشي (٢٠٠٤)، ص ١٧٣.

[٢] **مبدأ الأزواج المتجاورة:**

ارتبطت الأدوار الكلامية التي يتكون منها الخطاب موضع التحليل وفق مبدأ الأزواج المتجاورة على النحو التالي:

يا ابن سعد ... يا ابن سعد

FPP فلتكفوا النبل عنه ، ربما استسلم يا قوم وجنبنا قتاله

يا ابن سعد قطع الله تعالى رحمك، أنا أدعو الله أن تذبح بعدي في فراشك

أفلا استسلمت لي ؟ يا ابن علي ؟ كل أصحابك ماتوا كل إخوانك ... أبنائك .... أبناء أخيك كلهم ماتوا ... وما عاد سواك يا حسين ... أنت فرد ما عسى يصنع فرد واحد واجه آلافا كثيرة ؟

أنا أدعو الله أن يمسخكم أنتم يا أجرأ الناس على الله قرودا ، وخنازير حقيرة ، سلط الله عليكم ظالميكم .

اتركوه لحظة ....

....

(لعمر) اتركوه قد يستسلم الساعة لك

....

(للحسين) أفلا تنجو بنفسك ؟ ، فلتبايع ولتعد من حيث جئت ، فلتعد ... لا تمض فيما أنت ماض فيه بعد، إنه الموت كما شاهدته الآن فعد ...

" سأمضي وما بالموت عار على الفتى

إذا ما نوى حقا وجاهد مسلما

وواسى الرجال الصالحين بنفسه

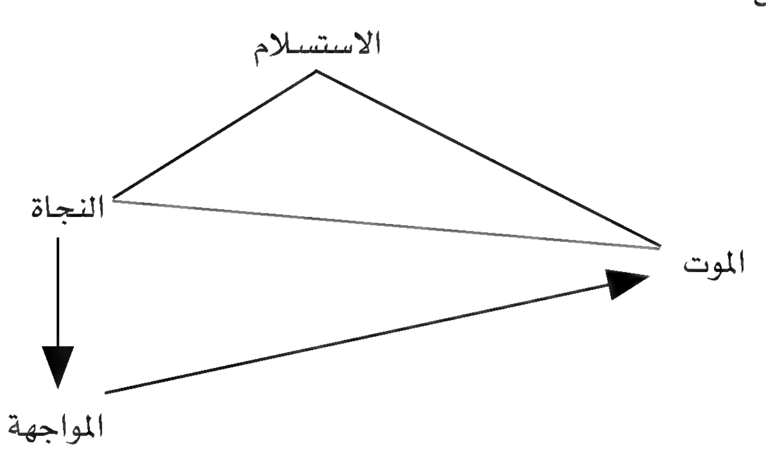
وخالف مثبورا وفارق مجرما

فإن عشت لم أندم وإن مت لم ألم

كفى بك ذلا أن تعيش وترغما"

[٣] مبدأ التداخل:

لنعود الآن إلى مبدأ التداخل بوصفه أحد النماذج التي يمكن بها الكشف عن الكيفية التي ترتبط من خلالها وحدات الخطاب، ولقد يشير هذا المبدأ إلى العلاقات التي تربط بين مجموعة من المقولات في سياق خطابي واحد عبر استخدامه لمفهوم «الدوائر» التي ترتبط ببعضها من طريق الإيحاء، لكن برأيي يشترط في الوحدات التي يتحقق من خلالها هذا المبدأ أن تخضع بجانب الإيحاء لمجموعة من العلاقات الأخرى القادرة على توضيح مثل هذا التداخل، فداخل النموذج مجموعة من المقولات المتداخلة مثل:



ولكن اختيار هذه المقولات فقط من بين مقولات كثيرة قد ترتبط وتتداخل في إطار الخطاب مأتاه القدرة على إدراك المتلقي لموضوع الخطاب، وللعلاقات التي تربط هذه المقولات بعضها ببعض من جانب آخر، فمقولة الموت تقع في علاقة تضاد مع مقولة النجاة، ومقولة النجاة ترتبط في بعض الأحيان بشكل سببي مع مقولة الاستسلام؛ بمعنى أن الاستسلام قد يكون سببا في النجاة، ولكن هذه المقولة تمارس تأثيرا انفعاليا معينا يجعل أفراد المجتمع ينفرون منها وذلك في ظل ما يعتنقه هؤلاء الأفراد من أيديولوجيات تضبط سلوكهم في مثل هذه المواقف.

تعليق عام

تعليق عام

حاولت الدراسة من خلال فصولها السابقة المساهمة في وضع إطار تداولي مقترح للكشف عن الحركية التواصلية لعبارات الاستشهاد داخل الخطاب لا يتوقف عند حدودها التركيبية إنما يتجاوز هذا إلى بيان القوى الإنجازية الخاصة بهذه العبارات داخل خطابات ذات أبعاد تواصلية مختلفة، وذلك من خلال رصد مجموعة الخواص التي تميز مثل هذه العبارات، ونسوق فيما يلي بعض الملاحظات المتعلقة بالاستخدام التداولي لعبارة الاستشهاد.

الاستشهاد والسياق:

يمكن القول إن أية عبارة تقع داخل خطاب يقتضي تحليلها في المقام الأول تحليل كل من سياق العبارة وسياق الخطاب الذي يتضمنها، ولكن إذا كان أمر هذا التحليل يتعلق بعبارة الاستشهاد فإن الأمر يختلف اختلافا تحدده التفاصيل المتعلقة بطبيعة هذه العبارة، فعبارة الاستشهاد تشير إلى سياقها الأصلي من جانب، ومن آخر تشير داخل الخطاب إلى دلالة ووظيفة تتعلق بسياق بديل، الأمر الذي يجعل تفسير وتحليل هذه العبارة يتم على ضوء علاقتها بهذين السياقين.

العبارة في سياقها الأصلي تقف عند دلالة ووظيفة تخصها في هذا السياق، وهي في سياقها البديل ذات دلالة ووظيفة تتفق أو تختلف مع سابقتها، ويتم تحديد هذا الاختلاف أو التشابه عبر الطريقة التي يتم من خلالها استخدام هذه العبارة داخل الخطاب؛ فإذا كانت العبارة مستخدمة بطريقة غير اقتباسية توقف تحليلها على معرفة دلالتها ووظيفتها داخل

السياق البديل؛ وبالتالي تصبح إشارتها إلى سياق أصلى تتعلق بأحد التأثيرات النفسية التي يمارسها هذا السياق على المتلقي، ومثال هذه العبارة (كبرت كلمة) التي تم تحليلها في الفصل الخاص باستشهاد الرفض.

أما إذا كانت العبارة مستخدمة بطريقة اقتباسية فإن عناصرها تقف عند دلالة ووظيفة محددة داخل السياق البديل يتم بيانها وتفسيرها من طريق سياقها الأصلي؛ إذ لا ينضم محتوى العبارة إلى الدلالة التي تعبر عنها، ولكن هذا المحتوى يشترك في بناء المعنى الكلي للمنطوق داخل السياق البديل، ومثال هذه العبارة (لو ترك القطا ليلا لنام) المستخدمة في التعبير عن وظيفة التبرير.

ويمكن البرهنة على هذين السلوكين من خلال النظر إلى إحالة العناصر التي تتكون منها كل عبارة، فإذا استخدمنا العبارة بطريقة غير اقتباسية فإن المتوقع لعناصر هذه العبارة أن تقع في علاقة إحالية؛ كأن تكون إحدى عناصر الزوج [سالف - إحالي]، ولكن في حال استخدامها بطريقة اقتباسية فإن عناصرها تتسم بكونها غير مرجعية على المستوى النصي.

ومن الأمور الأخرى المتعلقة بالعلاقة بين عبارة الاستشهاد والسياق أيضاً «المقبولية»، فهناك ما يشير إلى عدم مقبولية العبارة في سياق من السياقات كأن نعلق على عبارة من هذا النوع بقولنا: «اقتباس خارج السياق»، ولعل تحديد مقبولية العبارة يتوقف على تفسير العبارة في ظل علاقتها بالسياق كأن تكون العبارة ذات علاقة بموضوع الحديث والقضية التي تتم مناقشتها داخل هذا السياق، ومن زاوية أخرى يمكن تبرير مقبولية العبارة من خلال محاولة الوصول إلى تحديد خاص بمقصد المتكلم من وراء استخدامه للعبارة.

زاوية أخرى من زوايا العلاقة التي تربط بين العبارة وسياقها هي الزاوية الخاصة بالعناصر الإشارية التي قد تحملها عبارة الاستشهاد، هذه العناصر تتميز بأن محتواها إنما يتحدد من طريق علاقتها بالسياق، فإذا استعدنا عبارة الحسين:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى.....

فإن عشت لم أندم وإن مت لم ألم كفي بك ذلا أن تعيش وترغما

نرى أن الضمائر التي تتضمنها هذه العبارة تشير داخل السياق إلى الحسين، وإذا كانت هذه الأبيات مقتبسة فإن السياق قام بعملية تحديث لدلالة هذه العناصر فبات محتواها يتحدد من خلال علاقتها بمتكلم وسياق بديل.

والسؤال الآن فيما يخص هذه الأبيات هو على النحو التالي: هل اقتصر دور السياق على هذا التحديث ؟، وللإجابة عن هذا نسوق التالي:

هذه الأبيات في سياقها المصدر جاءت على لسان أخي الأوسي لابن عمه حينما أراد نصرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، فقال له ابن عمه: أين تذهب؟ فإنك مقتول !، فقال هذه الأبيات. أما السياق البديل الذي ذكر في كتب التاريخ فيتلخص في أن الحسين استشهد بهذه الأبيات حينما نصحه الحر [وكان الحر لا يبغى قتال الحسين فاستبدل به عبيد الله بن زياد رجلا آخر هو عمر بن سعد بن أبى وقاص؛ فانضم الحر إلى معسكر الحسين وقاتل معه حتى قتل] فنصح الحر الحسين أنه إن قاتل قتل، فقال له الحسين: أبالموت تخوفني ؟ وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟، وما أدرى ما أقول لك، ولكنى أقول كما قال أخو الأوسي لابن عمه وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: أين تذهب ؟ فإنك مقتول، فقال [وذكر الحسين هذه الأبيات].

أما السياق الذي رسمه الكاتب ففيه تم استبدال أطراف الحوار المشاركين للحسين، فقد أورد الكاتب هذه الأبيات ردا على قول أسد: أفلا تنجو بنفسك؟ فلتبايع ولتعد من حيث جئت، فلتعد ... لا تمض فيما أنت ماض فيه بعد، إنه الموت كما شاهدته الآن فعد.

وبالرغم من تشابه هذه السياقات إلا أن أثر هذه السياقات على العبارة يتلخص في القوة الإنجازية لمحتوى هذه الأبيات من جانب، وفي أثر هذه الأبيات على متلقيها من جانب آخر، فلا أحسب أن وقع هذه الأبيات على

المشاركين [ابن عم الأوسي – الحر – أسد] يمتلك مسارا واحدا، فسياقات النصح تختلف عن سياقات التهديد الأمر الذي ينعكس على تعديل القوة الإنجازية للأبيات وفق كل سياق من هذين السياقين، ووفق العلاقة التي تجمع بين طرفي الحوار.

ويتعلق بما سبق مجيء التحليل السابق منطويا على أمثلة لعبارات الاستشهاد التي سيقت جميعها – ما عدا عبارة واحدة لسعيد في النموذج الأول – على لسان متكلم واحد هو الحسين، وصادف كذلك تنوع عبارات الحسين ما بين عبارات مقتبسة من النص القرآني وأخرى مقتبسة من الحديث الشريف، وثالثة من أمثال العرب، ورابعة مقتبسة من الشعر، وهذه الملاحظة تعكس لنا بعض مبادئ التواصل الفاعلة في الاستخدام الاقتباسي، منها رقابة ووعى المتكلم لما يبدو متسقا وذا صلة بالسياق من جانب، ووعيه بما يبدو مؤثرا ومقبولا منها لدى أطراف الحوار من جانب آخر.

بنية الاستشهاد:

عبارة الاستشهاد عبارة يتم استخدامها داخل الخطاب كبنية معادة مسكوكة على نحو محدد، ولكن هذا لا يمنع أن تكون هناك بعض الحالات التي يستطيع فيها المتكلم أن يغير الهيئة التركيبية للعبارة، والمعيار في هذه الحالة هو تحديد العلاقات الفاعلة التي يمكن من خلالها اعتبار العبارة ذات طبيعة اقتباسية والمحافظة على هذه العلاقات، فعبارة مثل عبارة (ليس على الأعمى حرج) يمكن أن يتم استخدامها على الصورة (ما على الأعمى حرج)، والعبارة التي ساقها الحسين في النموذج الأول جاءت على الصورة (إنما تعمى قلوب في الصدور) وهي مأخوذة من قوله تعالى: (ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)، فالعلاقة بين عمد الإسناد ما زالت قائمة، والمسألة هنا تتعلق بمدى العلاقة بين المتكلم صاحب العبارة والنص الذي يتم منه اقتطاع هذه العبارة.

والمسألة الأخرى ذات الصلة ببنية العبارة تتلخص في السؤال عن حدود عبارة الاقتباس بدايتها ونهايتها؛ فهل عبارة مثل: إنما تعمى قلوب في الصدور يتم فيها تحديد بداية الاقتباس عند الكلمة [تعمى] ونهايتها عند [الصدور] أم يمكن تعيين [إنما] ضمن حدود هذا الاقتباس ؟، والمسألة هذه تتعلق بمدى الانزياح أو الابتعاد بصورة العبارة المقتبسة عن وضعها التركيبي داخل النص المصدر، ولعل الإجابة عن هذا السؤال تتلخص في القول باعتبار [إنما] في قوله: (إنما تعمى قلوب في الصدور)، و[هيهات] في قوله: (هيهات لو ترك القطا ليلا لنام) ليست واقعة ضمن حدود الاقتباس، ولكنها تحمل دلالة معينة إذ بها تتعين ماهية المحتوى الذي يريد المتكلم إيصاله إلى المتلقي تحت ضغط سياقي محدد يبيح للمتكلم مثل هذا الانزياح، والإضافة هنا شأنها شأن الحذف الذي تم في قوله: (ولو وضعوا بيدي الشمس...)، ومعنى هذا أن لنا أن نتصرف في تركيب العبارة بما يحقق مقاصدنا داخل السياق وبما يحافظ في ذات الوقت على الطبيعة الاقتباسية للعبارة بأن تظل تشير إلى مصدرها.

معنى الاستشهاد ومعنى المتكلم:

إحدى أهم الأفكار التي تنطوي عليها الأبحاث المتعلقة بالصلة التي تربط بين المنطوقات داخل الخطاب هي الفكرة التي تفرق بين معنى العبارة أي ما يتم التواصل من خلاله، ومعنى المتكلم أي المعنى الذي يتم إيصاله إلى المتلقي، فللعبارة داخل الخطاب مظهران: الأول يتعلق بالمعلومات التي يمكن توصيلها إلى المتلقي، ولا يتعلق هذا المظهر بتفسير الأهداف المحددة وراء استخدام هذه المعلومات، وهذا المظهر يمكن أن يطلق عليه المظهر المعلوماتي، والمظهر الثاني هو المظهر القصدي، وهو يتعلق بتصور الأسباب التي تبرر استخدام هذه العبارة داخل موقف تواصلي محدد.

ولعل تقسيم الجملة إلى موضوع ومحمول يتعلق بالمظهر الأول الخاص بالمعلومات التي يتم نقلها عن طريق العبارة، فموضوع العبارة يقع أولاً ثم

يأتي بعده المحمول، والموضوع يحمل درجة حركية تواصلية أقل لأنه لا يقدم جديدا، والمحمول يحمل درجة أكبر من الحركية التواصلية لأنه يقدم جديدا أو مهما أو شيئا غير متوقع، ولكن جدوى هذا التقسيم لا يمكن بيانها إلا من خلال فحص وتحليل العبارة داخل الخطاب، أي فحص معلومات العبارة كخطة يرمي المتكلم من ورائها إلى تحقيق غاية محددة، بهذا المعنى يصبح المظهر القصدي طريقة لاكتشاف الاستخدامات التي توضع لها مثل هذه المعلومات.

إن الوصول إلى ما هو جديد أو مهم أو غير متوقع داخل الخطاب لا يتوقف فقط على بيان تلك الثنائية بل يلعب القصد دورا فاعلا في تحديد مسارات هذا الوصول، ليس من الصعب أن يتعرف أبناء لغة ما على موضوع جمل هذه اللغة أو محمولها، ولكن الأمر الأهم أن يتم التعرف على السياقات التي يمكن أن تشتمل على هذه الجمل.

وأحسب أن تجربة نجريها حول عبارة الاستشهاد وتصور المختبرين للسياقات التي يمكن أن تتضمن هذه العبارة، أو تجربة أخرى نطلب فيها من المختبرين إعادة تنظيم محادثة تمت تجزئتها إلى قصاصات ورقية إحداها تتضمن عبارة استشهاد قد تبين إلى أي مدى يكون اعتمادهم على القصد فاعلا في تصورهم لسياق هذه العبارات، وإلى أي مدى تكون العلاقات بين هذه العبارة وغيرها داخل الخطاب فاعلة أيضا في بيان مقصدية هذه العبارة.

موضوع الاستشهاد وموضوع الخطاب:

يمكن تقسيم بنية عبارة الاستشهاد إلى الثنائية الوظيفية [موضوع + محمول]، ولكن في ظل تفاعل بين موضوع الجملة وموضوع الخطاب فإن هذا التقسيم لابد وأن ينسجم بطريقة محددة في التعبير عن موضوع الخطاب، بمعنى أن بنية العبارة لابد وأن تسلط الضوء على مواضع محددة من الموضوع الذي يتم الحديث عنه أو الذي تجري مناقشته.

داخل الخطاب تؤدي عبارة الاستشهاد هذا الانسجام والتناغم بطريقة مختلفة عن الطريقة التي تسلكها العبارات غير الاستشهادية، ففي حال استخدام عبارة الاستشهاد بطريقة غير اقتباسية فإن العبارة تقدم موضوعا لا يمكن لنا توصيفه بالموضوع الجديد داخل الخطاب وبالتالي يقع موضوعها في علاقات نصية تساهم في بناء تصور محدد عن التماسك الخاص بخيوط كثيرة لموضوع واحد، ومثال هذا عبارة [كبرت كلمة] في النموذج الدال على الرفض.

أما إذا استخدمت العبارة بطريقة اقتباسية فإن موضوع العبارة والحال هذه يبدو غريبا داخل نسيج الخطاب ولا يؤدي تعرفنا على البنية الحملية لهذه العبارة إلى خطوة ذات شأن في التعرف على موضوع الخطاب والتناغم بينه وبين هذا الموضوع، فعبارة [لو ترك القطا ليلا لنام] تقدم موضوعا جديدا لا يقع في علاقات ترابط مع بقية موضوعات الخطاب، فجهاز الإحالة هنا يعمل بطريقة مختلفة إذ علينا ترجمة هذه الوحدات التي تطرحها العبارة إلى وحدات أخرى تشكل دخلا جديدا يمكن معه تبرير وجود بنية العبارة الحملية هذه داخل سياق الخطاب، ومن ثم فإن ارتباط هذه العبارة بغيرها داخل الخطاب يتم عن طريق رابط المعرفة *Knowledge Link* التي يمتلكها كل من الباث والمتلقي.

من زاوية أخرى إذا أمكننا القول بأن عبارة الاستشهاد تقدم داخل الخطاب دليلا على قضية محددة مطروحة داخل هذا الخطاب، فإن وضع هذه العبارة يتأخر عن هذه القضية وبالتالي فإن العبارة بكاملها تقع جزءا من المكونات الريمية المتصلة بموضوع هذه القضية بالنظر إلى الحالة الكلية لتتابع أدوار الخطاب المعبرة عن مكونات هذا الموضوع.

تعاضد الاستشهادات

من الأمور اللافتة في الاستخدام الاقتباسي - إن صح كون هذا التعبير معبرا عن طريقة محددة يلتمسها المشاركون في المحادثة بهدف إبراز

التعاون أو الحد من فاعليته - تعاضد العبارات المستخدمة بطريقة اقتباسية أو تعارضها، ففي النموذج الأول رأينا عبارتين جاء ترتيبها داخل الخطاب على النحو التالي:

١. ليس على الأعمى حرج.

٢. لست أعمى.

٣. إنما تعمى قلوب في الصدور.

إن ارتباط ٣ بالعبارة السابقة عليها ٢ علاقة يمكن أن يطلق عليها «التصحيح»، وتبدو العلاقة بين ١ و ٣ علاقة تعاضد يتبين من خلالها «التعاون» كمبدأ من أهم مبادئ المحادثة.

وإن كانت مادة الدراسة لم تشتمل على نموذج يبين التعارض بين عبارتين من عبارات الاستشهاد فإن تحوير النموذج السابق كي يبدو على الصورة التالية:

١. ليس على الأعمى حرج.

٢. إنما تعمى قلوب في الصدور.

فإن العلاقة بين ١ و ٢ علاقة تعارض وتضاد تعدل مسار التعاون إلى شيء مختلف تماماً.

فإذا بدت الملاحظة السابقة صحيحة ومبرهن عليها من خلال هذين النموذجين فإن ما نستنتجه من هذا أن يكون فهم عبارة الاستشهاد على ضوء علاقتها بسابق وتال داخل الخطاب أفصح بيانا من مجرد تقسيم بنيتها إلى موضوع ومحمول، وبالتالي فإن حركيتها تتلخص في دورها الفاعل داخل تتابع محدد من المنطوقات التي تتفاعل عناصرها المعلوماتية بهدف الكشف عن مقصد محدد يعلل لاستخدام هذه العبارة.

وبالإجمال فإن من بين ما توصلت إليه الدراسة من نتائج يمكن سرده فيما يلي:

- ❖ تتميز عبارة الاستشهاد بانطوائها على دائرتين تواصليتين.
- ❖ حركية عبارة الاستشهاد يتم الكشف عنها من خلال النظر إليها كأحد أدوار التتابعات التي يتكون منها الخطاب إذ لا يكون مجرد تقسيمها إلى موضوع ومحمول فاعلا في فهم سلوك هذه العبارة داخل الخطاب.
- ❖ هناك تفاعل بين موضوع العبارات التي يتكون منها الخطاب من أجل التعبير عن موضوع محدد هو موضوع ذلك الخطاب؛ وبالتالي فإن العبارة ينظر إليها من خلال علاقاتها التي تربطها بهذا الموضوع.
- ❖ وضعية عبارة الاستشهاد داخل الخطاب تتلخص في كونها عنصراً ريمياً يحدد أحد جوانب السيم النصي سواء أكان هذا السيم موجودا داخل الخطاب أو مفهوما من خلاله.
- ❖ تستخدم العبارة في بعض السياقات بطريقة اقتباسية، وفي أخرى بطريقة غير اقتباسية، ولكلتا الطريقتين تأثيرهما في سلوك العبارة داخل الخطاب على المستوى الدلالي والنصي.
- ❖ دلالة العبارة المستخدمة بطريقة اقتباسية تسهم في تشكيل دلالة التعبير في الوقت الذي تحتفظ فيه بدلالتها الخاصة، أما دلالة العبارة المستخدمة بطريقة غير اقتباسية فيتم تحصيل دلالتها عبر تفاعل عناصرها المكونة.
- ❖ إمكانية التغيير في بنية عبارة الاقتباس دون أن يفقدها ذلك طبيعتها الاقتباسية.
- ❖ لرقابة المتكلم دور كبير في توظيف هذا النوع من العبارات، وللعلاقات التي تربطه بمتلقيه دور أكبر في فهمها.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

القرآن الكريم

عبد الرحمن الشرقاوي: ثأر الله، القاهرة: دار الكاتب، بدون تاريخ.

ثانياً: المراجع العربية

د. ابتسام مرهون الصفار (١٩٦٨):

التعابير القرآنية والبيئة العربية، النجف: مكتبة الآداب.

(١٩٧٩): الألفاظ العربية بين المعنى اللفظي والدلالة الفكرية والاجتماعية، مجلة اللسان العربي: مج ١٧، الجزء الأول.

ابن الأثير (ضياء الدين):

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق د. أحمد الحوفي، ود. بدوى طبانة، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ,١٩٦٢

ابن الأثير (عز الدين أبى الحسن الشيباني):

الكامل في التاريخ، بيروت: دار صادر (١٩٧٩).

د. أحمد المتوكل (١٩٨٥):

الوظائف التداولية في اللغة العربية، الدار البيضاء: دار الثقافة، الطبعة الأولى.

د. أحمد عارف حجازي (١٩٩٤):

دراسات لغوية في الحديث الشريف، المنيا: دار حراء.

د. الأزهر الزناد (١٩٩٣):

نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى.

الألوسي (أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود):

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق د. السيد محمد سيد، سيد إبراهيم عمران (٢٠٠٥)، القاهرة: دار الحديث.

الإمام الطيبي:

التبيان في البيان، تحقيق ودراسة: عبد الستار حسين، بيروت: دار الجيل، الطبعة الأولى، ,١٩٩٦

أبو البقاء الكوفي:

الكليات، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ,١٩٦٣

دو بوجراند وآخرون (١٩٩٢):

مدخل إلى علم النص، مطبعة دار الكاتب، الطبعة الأولى.

الجاحظ:

البيان والتبيين، بيروت: دار الكتب العلمية.

الحيوان، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.

الجرجاني (عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد):

دلائل الإعجاز، القاهرة: دار القلم للتراث.

الجرجاني (محمد بن على بن محمد):

الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق: د. عبد القادر حسين، القاهرة: مكتبة الآداب، ١٩٩٧.

د. جمعة سيد يوسف (١٩٩٠):

سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، عالم المعرفة، الكويت: المجلس الوطني للثقافة، العدد ,١٤٥

د. جميل عبد المجيد (٢٠٠٠):

البلاغة والاتصال، القاهرة: دار غريب.

حاتم عبيد (٢٠٠٥):

المثل قضاياه ومعناه، مجلة فصول، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٦٧: ٣٤ - ٥٩.

د. حسن الهلالي (٢٠٠٦):

التواصل غير اللفظي في الثقافة العربية الإسلامية ملاحظات أولية، مجلة علامات المغربية، العدد ٢٦.

أبو حيان الأندلسي:

ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق د. مصطفي أحمد النحاس (١٩٨٧)، القاهرة: مطبعة المدني.

الرازي:

التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٠.

د. سعيد بنكراد (٢٠٠٤):

استراتيجيات التواصل، مجلة علامات، العدد ٢١.

د. سعيد حسن بحيرى (١٩٩٧):

علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، القاهرة: لونجمان، ط ١.

سيبويه:

الكتاب، تحقيق وشرح. عبد السلام هارون، الجزء الأول، القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.

د. السيد أحمد الهاشمي:

جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة السادسة، بدون تاريخ.

ابن سينا:

الشفاء (الخطابة)، تحقيق محمد سليم سالم، تقديم ومراجعة د. إبراهيم مدكور، القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩٥٤.

الشوكاني:

فتح القدير، تحقيق سيد إبراهيم، القاهرة: دار الحديث، ج ٥.

د. عادل فاخوري (١٩٨٩):

الاقتضاء في التداول اللساني، مجلة عالم الفكر، الكويت: المجلس الوطني للثقافة، مج ٢٠، ع٣.

عبد العليم عبد الفتاح مدكور (٢٠٠٥):

التوجيه الفني الناجح، صحيفة دار العلوم، ع ٢٣.

د. عبد المنعم السيد أحمد جدامي (٢٠٠٥):
دلالة السمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي في عملية التواصل (مقبول للنشر في مجلة علوم اللغة، القاهرة: دار غريب).
د. عبد الواحد حسن الشيخ (١٩٩٩):
العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي دراسة تطبيقية، الإسكندرية: مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الطبعة الأولى.
عفاف البطاينة (٢٠٠٢):
النصوص وسياقاتها: دراسة في الأدبية، الأيديولوجيا والخطاب، مجلة فصول، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٥٨: ٥٧ – ٧٥.
د. على حداد (٢٠٠٠):
الخطاب الآخر: مقاربة لأبجدية الشاعر ناقداً، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
د. على أبو زيد (١٩٨٣):
البديعيات في الأدب العربي، بيروت: عالم الكتب، الطبعة الأولى.
د. عيد بلبع (٢٠٠٥):
الرؤية التداولية للاستعارة، مجلة علامات، المغرب: مكناس، العدد ٢٣.
د. فتح الله أحمد أحمد سليمان (١٩٨٦):
قضايا التركيب في شعر البارودي دراسة أسلوبية، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الآداب.
القرطبي:
الجامع لأحكام القرآن، تحقيق د. محمد إبراهيم الحفناوي، د. محمود حامد عثمان، المجلد الثامن.

ابن كثير:
تفسير القرآن العظيم، القاهرة: البابي الحلبي، ج١.
د. كريم ذكي حسام الدين (١٩٩٢):
الدلالة الصوتية دراسة لغوية لدلالة الصوت ودوره في التواصل، القاهرة: مكتبة الأنحلو المصرية.
د. مازن الوعر (١٩٨٩):
دراسات لسانية تطبيقية، دمشق: دار طلايس للدراسات والترجمة والنشر، الطبعة الأولى.
(١٩٩٤): الاتجاهات اللسانية ودورها في الدراسات الأسلوبية، عالم الفكر: مج ٢٢، ع ٣-٤، الكويت: المجلس الوطني للثقافة.
د. محمد بوقرة (٢٠٠٥):
نظرية الحجاج، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، العدد ٤٠٧.
د. محمد سالم ولد محمد الأمين (٢٠٠٠):
مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، عالم الفكر: مج ٢٨، ع ٣، الكويت: المجلس الوطني للثقافة.
د. محمد العبد :
(١٩٩٥): العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال، القاهرة: دار الفكر العربي.
(٢٠٠٢) حبك النص - منظورات من التراث العربي، مجلة فصول،القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٥٩.
(٢٠٠٥): تعديل القوة الإنجازية، مجلة فصول، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٦٥.
د. محمد العمرى (١٩٨٦):
في بلاغة الخطاب الإقناعي، سلسلة الدراسات النقدية (٥)، الدار البيضاء: دار الثقافة، الطبعة الأولى.

د. محمد الولى (١٩٩٨):

مفاهيم بلاغية، مجلة علامات، المغرب: مكناس، العدد ١٧.

د. محمود فهمى حجازى (١٩٩٨):

مدخل إلى علم اللغة، القاهرة: دار قباء.

د. مصطفي مندور:

اللغة والحضارة ، القاهرة: مكتبة الشباب.

د. معتز سيد عبد الله (١٩٩٠):

الدافعية، ضمن كتاب «علم النفس العام» : ٤١٥-٤٥١.

منتصر أمين عبد الرحيم (٢٠٠٤):

بناء الجملة الشرطية في رواية الأيام دراسة لغوية، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة المنيا.

الميداني:

مجمع الأمثال، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت: دار القلم.

د. نور الهدى لوشن (١٤٢٤هـ):

التناص بين التراث والمعاصرة، مجلة أم القرى، المجلد ١٥، العدد ٢٦.

ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين):

شرح شذور الذهب، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد (١٩٥٣)، القاهرة: المكتبة التجارية، الطبعة السادسة.

ابن هشام المعافرى:

السيرة النبوية، تحقيق محمد بيومى (١٩٩٥)، القاهرة: مكتبة الإيمان، الطبعة الأولى.

د. يحيى أحمد (١٩٨٩):

الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، الكويت: المجلس الوطنى للثقافة، المجلد ٢٠، ع ٣: ٦٩ - ٩٨.

ثالثاً: المراجع المترجمة

إدوارد سعيد:

العالم والنص والناقد، ترجمة: عبد الكريم محفوض (٢٠٠٠)، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

اوستين:

نظرية أفعال الكلام العامة «كيف ننجز الأشياء بالكلمات ؟»، ترجمة عبد القادر قنيني (١٩٩١)، أفريقيا الشرق.

تشومسكي:

المعرفة اللغوية، طبيعتها، وأصولها، واستخدامها، ترجمة: د. محمد فتيح (١٩٩٣)، القاهرة: دار الفكر العربي، الطبعة الأولى.

توماس لوكمان:

علم اجتماع اللغة، تعريب د. أبو بكر أحمد باقادر، جدة: النادي الثقافي، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

تيري إيجلتون:

مقدمة في نظرية الأدب، ترجمة أحمد حسان (١٩٩١)، سلسلة كتابات نقدية رقم ١١.

ج. براون، ج. يول:

تحليل الخطاب، ترجمة د. محمد لطفي، ود. منير التريكي (١٩٩٧)، الرياض، جامعة الملك سعود.

جان كلود مارتان:

ما التواصل ؟، ترجمة: سعيد بنكراد (٢٠٠٤)، مجلة علامات، مكناس، المغرب، العدد ٢١: ٤٤ - ٤٩.

جان مارى سشايفر:

النص، ترجمة د. منذر عياشى (٢٠٠٤)، ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص، بيروت / الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى.

جوناثان كلر:

التفكيك، ترجمة: حسام نايل (٢٠٠٥)، مجلة فصول، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد ٦٦.

روبرت دو بوجراند:

النص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان (١٩٩٨)، القاهرة: عالم الكتب، الطبعة الأولى.

روجي فولر:

وسائل الإعلام وإعادة إنتاج السلطة، ترجمة د. محمد خطابي (٢٠٠٥)، مجلة علامات، المغرب، العدد٢٤.

رونالد إيلوز:

مدخل إلى اللسانيات، ترجمة د. بدر الدين القاسم (١٩٨٠)، مطبعة جامعة دمشق.

ستروسن:

الدلالة وقيمة الصدق، ترجمة وتعليق عبد القادر قنينى (٢٠٠٠)، ضمن كتاب المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، أفريقيا الشرق.

غاستون باشلار:

اللغة العلمية لغة محدثة، ضمن كتاب «اللغة» إعداد وترجمة د. عبد السلام بنعبد العالي، ود. محمد سبيلا (١٩٩٤)، سلسلة دفاتر فلسفية، العدد الخامس، الرباط: دار توبقال، الطبعة الأولى.

فان دايك:

النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنينى (٢٠٠٠)، المغرب: أفريقيا الشرق.

علم النص: مدخل متداخل الإختصاصات، ترجمة: د. سعيد حسن بحيرى (٢٠٠١)، القاهرة: دار القاهرة، الطبعة الأولى.

النص: بنى ووظائف، مدخل أولى إلى علم النص، ترجمة د. منذر عياشى (٢٠٠٤)، ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص، بيروت / الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى.

فلاديمير بروب:

مورفولوجية الخرافة، ترجمة د. إبراهيم الخطيب، الدار البيضاء: مطبعة النجاح، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

فولفجانج إيسر:

فعل القراءة، نظرية في الاستجابة الجمالية، ترجمة د. عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة (١٢٦).

فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر:

مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: د. فالح بن شبيب العجمي (١٩٩٩)، سلسلة اللغويات الجرمانية، ع ١١٥، جامعة الملك سعود.

ليونيل بلينجر:

الآليات الحجاجية للتواصل، ترجمة: عبد الرفيق بوركي (٢٠٠٤)، مجلة علامات، المغرب: مكناس، ع ٢١.

ماريا دل كارمن بوبيس:

سيمولوجية العمل الدرامي، ترجمة د. خالد سالم، القاهرة: وزارة الثقافة، مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي رقم ١٣.

مايكل كاريذرس:

لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة ؟ الثقافات البشرية نشأتها وتطورها، ترجمة د. شوقي جلال (١٩٩٠)، عالم المعرفة، الكويت: المجلس الوطني للثقافة، ع ٢٢٩.

ميشيل تومبسون، ريتشارد إليس، و آرون فيلدافسكي:

نظرية الثقافة، ترجمة: د. على سيد الصاوي (١٩٩٧)، عالم المعرفة، الكويت: المجلس الوطني للثقافة، ع ٢٢٣.

رابعاً: المراجع الأجنبية

Alessandro Duranti (1985):

Sociocultural Domensions of Discourse.

In Van Dijk (Ed.): Handbook of Discourse Analysis. Vol. 1: Disciplines of Discourse. New York: Academic Press. P. 193 - 230.

Alexander V. Kravchenko:

(2002): Cognitive Linguistics as a Methodological Paradigm.

In B. Lewandowska-Tomaszczyk& K. Turewicz (Eds.). Cognitive Linguistics Today. Frankfurt/Main: Peter Lang. P. 41 - 55.

(2006): Cognitive Linguistics, Biology of Cognition and Biosemiotics: Bridging the Gaps.

Language Sciences 28: 51 - 75.

Alvin Leong Ping (2003):

Theme as Constraining Force.

Language and Linguistics2 (2): 261 - 281.

Andrea Bonomi & Sandro Zucchi (2003):

A Pragmatic Framework for Truth in Fiction.

Dialectica 57 (2): 103-120.

Andrea Tyler & Vyvyan Evans (2003):

The Semantics of English Prepositions, Spatial Scenes, Embodied meaning and Cognition. Cambridge University Press.

B. Grosz & C. Sidner (1986):

Attention, Intention and the Structure of Discourse.

Computational Linguistics 12: 175 - 204.

B. Malinowski:

Phatic Communication.

In J. Laver & S. Hutcheson 1972 (Eds.): Communication in Face to Face Interaction, Penguin Books. P. 146 - 152.

Barry Smith (1990):

Toward a History of Speech act Theory.

In A. Burkhardt (Ed.): Speech Acts: Meaning and Intentions. Berlin / New York: de Gruyter. P. 29 - 61.

Caroline Kroon & Mike Hannay (2005):

Act and the Relationship between Discourse and Grammar.

Function of Language 12 (1): 87-124.

Chao-Chih Liao (2002):

EFL for Interculture Understanding.

Language and Linguistics 1 (2): 132 - 168.

Charles Goodwin:

***(1980)**: Restarts, Pauses, and the Achievement of a State of Mutual Gaze at Turn-Beginning.*

Sociology Inquiry 50 (3-4): 272-302.

***(1981)**: Conversational Organization: Interaction between Speakers and Hearers. AP Academic Press.*

***(1986)**: Audience Diversity, Participation and Interpretation.*

Text 6 (3): 283 - 316.

Charles Goodwin & M. H. Goodwin (1987):

Concurrent Operations on Talk: Notes on the Interactive Organization of Assessments.

IPRA Papers in Pragmatics 1 (1): 1 - 54.

Charles Goodwin & M. H. Goodwin (2000):

Emotion within Situated Activity.

In Ina Uzgris & James V. Wertsch (Eds.): Communication. Stanford CT: Ablex. P. 33 - 54.

C. Ford & S. A. Thompson (1996):

Interactional Units in Conversation: Syntactic, Intonational and Pragmatic Recourse for Management of Turns.

In E. Ochs, E. A. Schegloff & S. A. Thompson (Eds.): Interaction and Grammar. Cambridge: Cambridge University Press. P.134 - 184.

David A. Evans & Jerry R. Hobbs (1980):

Conversation as Planned Behavior.

Cognitive science, 4 (4): 349 - 377.

Deanna Wilkes-Gibbs & H. H. Clark (1986):

Referring as a Collaborative Process.

Cognition 22: 1 - 39.

***(1992)**: Coordinating Beliefs in Conversation.*

Memory and Language 31: 183 - 194.

Derek Edwards (1991):

Categories Are for Talking: on the Cognitive and Discursive Bases of Categorization.

Theory and Psychology 1 (4): 515 - 542.

***(1998)**: The Relevant Thing about Her: Social Identity Categories in Use.*

In C. Antaki & S. Widdicombe (Eds.): Identities in Talk. London: Sage. P.15- 33.

Dimitrios Thanasoulas (2005):

Fictitions Discourse in Language Teaching.

AS/SA 15: 24-30.

Duglas W. Maynard (1980):

Placement of Topic Changes in Conversation.

Semiotica 30 (3-4): 263-290.

D. Wilson (1998):

Discourse, Coherence and Relevance: A Reply to Rachel Giora.

Pragmatics 29: 57-74.

D. Wilson & D. Sperber (2004):

Relevance Theory.

In L. R. Horn & G. Ward (Eds.): The Handbook of Pragmatics.

Oxford: Blackwell. P. 607- 632.

E. A. Schegloff (1972):

Notes on a Conversational Practice: Formulating Place.

In D. N. Sudnow (Ed.): Studies in Social Interaction. NewYork: Free Press. P. 75 - 119.

***(1990)**: On the Organization of Sequences as a Source of Coherence in Talk-in-Interaction.*

In Bruce Dorval (Ed.): Conversational Organization and its Development. NorWood, New Jersey. P. 51 - 77.

***(1997)**: Whose text ? Whose context?.*

Discourse and Society 8 (2): 165 - 187.

E. A. Schegloff & H. Sacks (1973):

Opening Up Closings.

Semiotica 8: 289 - 327.

E. Sapir (1927):

Speech as a Personality Trait.

In J. Laver & S. Hutcheson 1972 (Eds.): Communication in Face to Face Interaction, Penguin Books. P. 71 - 81.

Ellen A. Isaacs & Herbert H. Clark (1987):

References in Conversation Between Experts and Novices.

Experimental Psychology General 116 (1): 26 - 37.

Elizabeth Bates , Antonella Devescovi & Simona D<Amico (1999):

Processing Complex Sentences: A Cross-Linguistic Study.

Language and Cognitive Processes 14 (1): 69 - 123.

Elizabeth Couper-Kuhlen & Sandra A. Thompson (2005):

The Clause as a Locus of Grammar and Interaction.

Discourse Studies 7 (4-5): 481 - 505.

Fenfang Hwu (2005):

Spanish Preterite and Imperfect in Conversation: The Pragmatic Meaning.

Language and Linguistics 4 (2): 183 - 206.

F. j. Roethlisberger (1952):

Barriers to Communication between Men.

ETC; A review of General Semantics, Vol. IX, No. 2: 89 - 93.

Floyd G. Lounsbury:

Linguistics and Psychology.

In J. A. Fishman, 1968 (Ed.): Readings in the Sociology of Language. Mouton: The Hague- Paris. P: 38 - 67.

Gail Gefferson (1974):

Error Correction as Interactional Resource.

Language in Society (2): 181 - 199.

Gene H. Lerner (1991):

On the Syntax of Sentences-in-progress.

Language in Society 20: 441 - 458.

G. McKoon , G. Ward , R. Ratcliff & R. Sproat (1993):

Morphosyntactic and Pragmatic Factors Affecting the Accessibility of Discourse Entities.

Memory and Language 32: 56- 75.

Guy Cook (1989):

Discourse. Oxford: Oxford University Press.

G. W. Allport & H. Cantril (1972):

Judging Personality from Voice.

In J. Laver & S. H. Hutcheson 1972 (Eds.): Communication in Face to Face Interaction, Penguin Books. P. 155 - 171.

H. H. Clark & R. J. Gerrig (1983):

Understanding Old Words with New Meaning.

Verbal Learning and Verbal Behavior 22: 591- 608.

*(**1990**): Quotations as Demonstrations.*

Language 66 (4): 764 - 805.

H. H. Clark & M. F. Schober (1989):

Understanding by Addressees and Overhearers.

Cognitive Psychology (21): 211 - 232.

(1992) Asking Questions and Influencing Answers.

In Judith M. Tanur (Eds): Questions about Questions. Inquiries into the Cognitive of Surveys, New York. P. 15 - 22.

H. H. Clark & S. E. Brennan (1991):

Grounding in Communication.

In L. B. Resnich, J. M. Levine & S. D. Teasley (Eds): Perspectives on Socially Shared Cognition. Washington, DC: APA Books. P. 127 - 149.

Herman Cappelen & Ernest LePore (2005):

Quotation.

URL http:www.plato.stanford.edu/enteies/quotation.html

H. Sacks , E. Schegloff & G. Gefferson (1977):

The Preference for Self-Correction in the Organization of Repair in Conversation.

Language 53 (2): 361 - 382.

Ina C. Uzgiris (1996):

Together and Apart: The Enactment of Values in Infancy.

In E. S. Reed , E. Turiel & T. Brown (Eds): In Values and Knowledge. Mahwah, NJ: L. Erlbaum Associates. P. 17 - 39.

Ivana Kruijff-Korbayova & Mark Steedman (2003):

Discourse and Information Structure. Netherlands: Kluwer Academic Publishers.

Janet Pierrehumbert & Julia Hirschberg (1990):

The Meaning of Intonational Contours in the Interpretation of Discourse.

In P. Cohen, J. Morgan & M. Pollack (Eds.,): Intentions in Communication. MIT Press, Cambridge MA. P. 271- 311.

John Heritage & Geoffrey Raymond (2005):

The Terms of Agreement: Indexing Epistemic Authority and Sub-

ordination in Talk-in-Interaction.

Social Psychology Quarterly 68 (1): 15 - 38.

Jonathan Potter & D. Edwards (1999):

Social Representations and Discoursive Psychology: From Cognition to Act.

Culture & Psychology 5 (4): 447- 458.

Karen Tracy (1998):

Analyzing Context: Framing the Discussion.

Research on Language and Social Interaction 31 (1): 1 - 28.

Kawai Chui (2002):

Discontinuity of Conversational Topics.

Studies in English Literature and Linguistics. 28 (2):149-174.

Keith M. Murphy (2003):

Building Meaning in Interaction: Rethinking Gesture Classifications.

Crossroads of Language, Interaction and Culture 5: 29- 47.

Kent Bach (1994):

Conversational Impliciture.

Mind and Language 9: 124-162.

M. A. K. Halliday:

(1975): Learning How to Mean. London.

(1994): An introduction to functional grammar. Second Edition. London: Edward Arnold.

Marcel Danesi (1999):

The Interconnectedness Principle and the Semiotic Analysis of Discourse.

AS/SA (6-7): 394-401.

M. Argyle & J. Dean (1965):

Eye Contact, Distance and Affiliation.

In j. laver & S. Hutcheson 1972 (Eds.): Communication in Face to Face Interaction, Penguin Books. P. 301 - 316.

M. Argyle & A. Kendon (1967):

The Experimental Analysis of Social Performance.

In j. laver & S. Hutcheson 1972 (Eds.): Communication in Face to Face Interaction, Penguin Books. P. 19 - 63.

Martin J. Pickering & Simon Garrod (2004):

Toward a Nechanistic Psychology of Dialogue.

Behavioral and Brain Sciences 27 (2): 1 - 57.

Mohammed N. AL-Ali (2005):

Communicating Messages of Solidarity, Promotion and Pride in Death Announcements Genre in Jordanian Newspapers.

Discourse and Society 16 (1): 5 - 31.

Miao-Hsia Chang (2002):

Discourse Functions of Anne Taiwanese Southern Min.

Studies in English Literature and Linguistics 28 (2): 85-115.

Mitchell Green (2000):

Illocutionary Force and Semantic Content.

Linguistics and Philosophy 23: 435 - 473.

Nancy Mason (2002):

Transforming Experience into Tradition: Two Theories of Proverb and Chaucer's Practice.

Oral Tradition. 17 (2): 261-289.

Nicole Tersis & Shirly Carter-Thomas (2005):

Integrating Syntax and Pragmatics: Word Order and Transitivity Variations in Tunumiisut.

IJAL 71 (4): 473-500.

Pal Heltai (2003):

Similarities and Differences between Monolingual Communication and Translation.

In Laszlo Komlosi, Peter Houtlosser and Michiel Leezenberg (Eds): Communication and Culture. Amsterdam: SicSat. P. 43-52.

Paul Piwek (1998):

Logic , Information and Conversation. Netherlands.

Paulo C. Gago & Sonia B. Silveira (2006):

Question-Answer Sequences in Conciliation Hearings and Interwiews with Political Candidates.

Estudios de Sociolinguistica 7 (1): 83-99.

R. C. Stalnaker (2002):

Common Ground.

Linguistics and Philosophy 25: 701 - 721.

R. Gibbs & J. O'Brien (1991):

Psychological Aspects of Irony Understanding.

Pragmatics 16 (6): 523 - 530.

R. L. Birdwhistell:

Paralanguage Twenty - Five Years after Sapir.

In J. Laver & S. H. Hutcheson 1972 (Eds.): Communication in Face to Face Interaction, Penguin Books. P. 82-99.

Ronald Wardbaugh (1986):

An Introduction to Sociolinguistics. Basil Blackwell.

Scott Soames (2002):

Replies.

Philosophy and Phenomenological Research: 429-452.

Sidney Greenbaum (ed.)(1977):

Acceptability in Language. The Hauge: Mouton.

Simon Garrod & Anthony Sanford (1977):

Interpreting Anaphoric Relations: The Integration of Semantic Information while Reading.

Verbal Learning and Verbal Behavior 16: 77 - 90.

Stephen C. Levinson (1997):

(1997): Contextualizing Contextualization Cues .

In S. Eerdmans, C. Previganano & P. Thibault (Eds.): Discussing Communication Analysis 1: John J. Gumperz. P. 24 - 30.

(2001): Covarition between spatial Language and Cognition, and its implications for Language Learning.

In Melissa Bowerman & Stephen C. Levinson (Eds.): Language acquisition and conceptual development. Cambridge University Press. P. 566 - 588.

S. Predelli (2003):

Scare Quotes and their Relation to other Semantic Issues.

Linguistics and Philosophy 26: 1 - 28.

Tanya Stivers (2004):

'No no no' and other Types of Multi Saying in Social Interaction.

Human Communication Research 30 (2): 260 - 293.

Tanya Stivers & Jack Sidnell (2005):

Introduction: Multimodal Interaction.

Semiotica 156 (1-4): 1 - 20.

Van Dijk:

(1977a): Sentence Topic and Discourse Topic.

Papers in Slavic Philology (1): 49 - 61.

(1977b): Context and Cognition: Knowledge Frames and Speech Act Comprehension.

Pragmatics (1): 211 - 232.

(1979): Pragmatic Connectives.

Pragmatics (3): 447 - 456.

(1980): The Semantics and Pragmatics of Functional Coherence in Discourse.

In A. Ferrara (Ed.): Speech Act Theory: Ten Years Later, Special issue of versus (Milano) , 26/27: 49 - 65.

*(**1993**): Discourse and Cognition in Society.*

In D. Crowley & D. Mitchell (Eds.): Communication Theory Today. Oxford: Pergamon Press. P. 107 - 126.

*(**1995**): Discourse Analysis as Ideology Analysis.*

In C. Schaffner & A. Wenden (Eds.): Language and Peace. Aldershot: Partmouth Publishing. P. 17 - 33.

W. L. Chafe (1994):

Discourse, Consciousness and Time. Chicago: University of Chicago Press.

تم بعون الله وتوفيقه